

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الأول ــ المجلد الخامس والستون

١٤٣٩هـ ــ ٢٠١٨م

(شروط النشر وضوابطه)

١. تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢. لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣. يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .

٤. تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥. هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦. لاتنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا اوتنظيما خاصا .

٧. لاتنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة .

٨. لاتنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لاي من المؤسسات .

٩. لاتنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولايمكن اصلاحها .

١٠. يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ- ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص **CD** ومرفق بنسخة ورقية .

ب- ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت- يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة .

ث- أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١. يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلة مع عشر مستلات من بحثه .

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

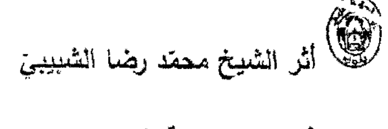
توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

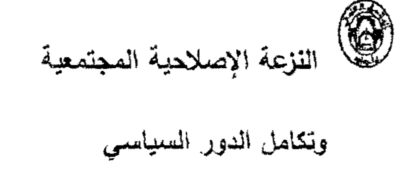
الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠) الف دينار سنويا . iraqacademy@yahoo.com

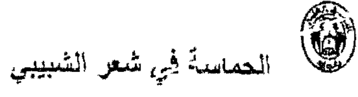
خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا . journalacademy@yahoo.com

محتويـــات

الجزء الأول / المجلد الخامس والسـتون







الشّيخ مُحَمَّد رِضَا الشَّبِيبِيّ
في رِحَابِ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العِرَاقِيِّ

الأستاذ الدكتور محمّد حسين علي زعَيْن
جامعة كربلاء – كليَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة
قسم اللغة العربية

الملخص :

تمضي الأيّامُ وتمرُّ السّنون ، ويأتي رجالٌ ويذهبُ آخرون ، ويبقى التّاريخُ شاهدا حَيًّا على مَنْ قَدَّمَ خدمةً مِنْ هؤلاءِ في شَتَّى العلومِ والفنون ، على أنّهُ لا يُمكنُ بأيِّ حالٍ من الأحوالِ – على الرَّغمِ من تقادُمِ الزَّمنِ – أنْ تُطوَى الصَّفحاتُ المُضيئةُ في سِفْرِ الأعلامِ الّذينَ صَدَقُوا ما عاهدوا اللهَ عليه ، فلا بُدَّ أنْ يأتيَ اليومُ الّذي تُدَوَّنُ فيهِ مآثرُهُم ومنجزاتهم وجهودُهُم ولو بعدَ حين ، وها قد آنَ لنا أنْ نجمعَ ما توافرَ بينَ أيدينا من صحائف وصفحات تُوَثِّقَ جزءً يسيرا وجانبا مشرقا من جهود عالمٍ عاملٍ نَذَرَ نفسه وأوقفَ حياتَه وعلمَهُ لخدمةِ اللّغةِ العربيَّةِ والحفاظ عليها والدفاع عنها .

هذهِ الإضمامةُ من الورقاتِ وثيقةٌ ناصعةٌ ناصَّةٌ على مسيرةِ الشيخ محمد رضا الشبيبيّ – رحمهُ اللهُ – في المَجْمَعِ العلميِّ العراقيِّ بدءً من انتخابه أول رئيس لهذا المجْمع مرورا بأهم لجانِ المَجْمَعِ الّتي عملَ فيها معَ الإشارةِ إلى ما قَدمه من منجزٍ بحثيٍّ أو مقالاتٍ ضمتها مجلةُ المَجْمَعِ العراقيِّ أو ضمّتها مؤلَّفاتٌ لها صِلَةٌ بالمَجْمَعِ ، فضلا عن كلماتٍ له في أثناءِ رئاستِهِ المَجْمَعِ ، وصولاً إلى كلماتِ التأبين الّتي قيلت في حقّه .

نكتبُ عن الشبيبيّ بعدَ أكثر من خمسينَ عاما على وفاتِهِ ، وقد تكونُ هذهِ الخطوةُ متأخرةً كثيرا ، ولكنّها – بلا شك – مهمّة لتؤرّخَ حقبةً أفنَى فيها المُتَحَدَّثُ عنه جُلَّ وقتِهِ وجهدِهِ لخدمةِ هذهِ المؤسَّسة العلميَّة اللغويَّة العريقة .

في رحابِ المَجْمَع :

سَبَقت علاقةُ الشَّيخ الشبيبيّ بالمَجْمَع العلميّ العراقيّ في سنة ١٩٤٨م علاقةٌ أمَدها ربع قرنٍ مع المَجْمَع العلميّ العربيّ (مَجْمَع اللغة العربية في دمشق لاحقا) ، واستمرّتْ تلك العلاقةُ حتَّى وفاتِهِ ؛ إذ تمّ انتخابهُ عضوا في هذا المَجْمَعِ في أثناءِ الجلسة الّتي عُقِدَت بتأريخ ١٩ كانون الثّاني في سنة ١٩٢٣م[1] ، أي : بعدَ أربعِ سنواتٍ من إنشاءِ المَجْمَع ، فالشبيبيّ بدأ مَجْمَعيا عربيا قبلَ أن يكونَ مَجْمَعيا عراقيا ، ومسألة اختيارهِ عضوا في أولِ مَجْمَع عربيّ ليست بغريبةٍ عنه أو عن العلماءِ العراقيّين الّذينَ عاصروه أو الّذين جاءوا من بعدِهِ حتى يومنا هذا ، فالكثيرُ منهم كانوا ولا يزالون يُنتخبون أعضاء عاملين أو أعضاء مراسلين أو أعضاء مؤازرين أو أعضاء شرف في أغلبِ المجامع اللغويّة العربيّة لما يتمتعون به من سمعةٍ علميَّة ومكانةٍ لغويَّة وجهود بحثيَّة متميّزة ، وعلى الرّغم من هذا المنجز الذي حقّقهُ الشيخ

---

(1) يُنظرُ : المَجْمَعيّون في العراق ١٩٤٧– ١٩٩٧ ، صباح ياسين الأعظميّ ، إشراف : الدّكتور صالح الزّاويّ والدّكتور جواميز محيت ، مطبعة المجْمع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، الصّفحة ٨ ، مُذكّرات الشّيخ محمّد رضا الشّبيبيّ ورحلاته ، الدّكتور كامل سلمان الجبوريّ ، الرّافدين للطّباعةِ والنّشرِ والتّوزيع ، بيروت – لبنان ، الطّبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م ، الصّفحة ٢٩ .

الشبيبيّ إلّا أنَّ عينيه بقيتا ترنوان نحو رؤيةِ مَجْمَع علميّ لغويّ في بلدهِ (العراق) ، فسعى مع مجموعةٍ من زملائهِ لتأسيس أولِ نادٍ أدبيٍّ علميٍّ في بغداد فتحقَّقَ لهم ذلك وأطلقوا عليه اسم (نادي القلم العراقيّ)[٢] ، وتألَّفَ من السّادة الآتية أسماؤهم :

١- محمد رضا الشبيبيّ .
٢- محمد فاضل الجمّاليّ .
٣- عبد الكريم الأُزريّ .
٤- رفائيل بطّي .
٥- عبّاس العزّاويّ .
٦- إبراهيم حلمي العمر .
٧- عليّ الشّرقيّ .
٨- باقر الشّبيبيّ .
٩- عبد المسيح الوزير .
١٠- أمت سعيد .
١١- عبد الجبّار الجلبيّ .

وكانَ النّادي يهدفُ إلى تعارفِ المؤلّفينَ ، وحملةِ الأقلامِ في هذهِ البلادِ ، وإحكامِ الرّوابطِ بينَهم ، وتعزيزِ الأدبِ العربيّ ، وتعضيدِ البحثِ العلميّ ، وإيجادِ الصّلاتِ بينَ حَمَلَةِ الأقلامِ وأمثالِهم في البلادِ الأخرى ؛

---

[٢] يُنظرُ : المجمع العلميّ العراقيّ (نشأتهُ ، أعضاؤهُ ، أعمالُهُ) ، عبدالله الجبوريّ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، الصّفحات ٣٢ - ٣٦ .

وقد أصبحَ أوّلَ رئيسٍ لـه المرحوم : جميل صدقي الزّهاويّ (توفي سنة ١٩٣٦م) ، ثم خلفَهُ الشيخ محمد رضا الشّبيبيّ ، واستمرَّ هذا النّادي حتَّى قيامِ ثورةِ ١٤ تمّوز سنة ١٩٥٨ م ، وكانت تُلقى في هذا النادي المباحثَ الجليلةَ والمحاضرات القيّمة ، وقد أصدرَ في سنةِ ١٩٥٨م مجموعتَهُ اليتيمةَ الّتي أسماها (مجموعة نادي القلم العراقيّ) – المجموعة الأولى – ، ولم يعقبها بأخرى ، وطُبِعَت في مطبعةِ الجزيرة ، وتقعُ في ٣١٥ صفحة من القطعِ الكبير ، وتضمُّ المباحثَ الآتية :

- المجريطيّ : الشّيخ محمد رضا الشّبيبيّ .
- قصّة فتح بغداد : الشّيخ محمّد رضا الشّبيبيّ .
- مذهب التّحليل النّفسيّ : الدّكتور محمد فاضل الجمّاليّ .
- المذاهب النّاشئة من مذهبِ التّحليل النّفسيّ : الدّكتور محمد فاضل الجمّاليّ .
- جهود ديوي والفلسفة الاختياريّة : الدّكتور محمد فاضل الجمّاليّ .
- الانقلابات الاقتصاديَّة الحديثة : الأستاذ عبد الكريم الأزري .
- الدّولة بين الواقعيّين والمثاليّين : الأستاذ عبد الكريم الأزري .
- مشروع التّعليم الإجباريّ : الدّكتور متّى عقراوي .
- النّزاع الحبشيّ – الإيطاليّ : الأستاذ عبد المجيد القره غوليّ .
- الغلاة : الأستاذ أحمد حامد الصّرّاف .
- المؤتمر الرّابع عشر العالميّ لنوادي القلم : الأستاذ مجيد خدّوري .
- الحركة العلميَّة في العهدِ العبّاسيّ : الأستاذ عبد المسيح وزير .

وتوالَت بعدَ ذلكَ المحاولاتُ من أجلِ إنشاءِ مَجْمَعٍ علميٍّ لغويٍّ في بغداد ، إذ تشكّلَت لجنةٌ تُسَمّى (لجنة التّأليف والنّشر) في سنة ١٩٤٥م ، وفي سنة ١٩٤٧م ألغَت وزارةُ المعارف العراقيّة تلكَ اللجنةَ[٣] ، وانشأت في ١٢ محرّم من سنةِ ١٣٦٧هـ ، الموافق ٢٦ تشرين الثّاني ١٩٤٧م (المجْمَع العلميَّ العراقيّ) بديلا عن تلكَ اللجنةِ ؛ ليكونَ أبعدَ هدفا ، وأوسعَ عملا ، وأجدَى نفعا ، وقد صدرَت الإرادةُ الملكيَّةُ بالموافقةِ على تأسيسِ المَجْمَع في يوم ١٢ محرّم من سنة ١٣٦٧هـ ، الموافق ٢٦ تشرين الثّاني ١٩٤٧م ، وتمّ نشرُ نظام المَجْمَع في العدد ٢٥٦٠ من جريدة (الوقائع العراقيّة) الصّادر في ١١ / ١٢ / ١٩٤٧م ، وبعدَ ذلكَ شرَعَتْ وزارةُ المعارف[٤] في تنفيذِ أحكامِ المادة الثّامنة من النّظام ، فاختارَ وزيرُ المعارف آنذاك (توفيق وهبي) أعضاءَ عاملين على وفقِ الفقرة (أ)[٥]

---

[٣] يُنظَرُ : المجمع العلميّ العراقيّ (نشأتهُ ، أعضاؤهُ ، أعمالُهُ) ، عبدالله الجبوريّ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، الصّفحة ٣٦ .

[٤] نصّت المادةُ الأولى من نظام المَجْمَع العلميّ العراقيّ رقم (٦٢) لسنة ١٩٤٧م على أن يؤسّس مَجْمَع علميٌّ عراقيٌّ يرتبطُ بوزيرِ المعارف ، يُنظَرُ : المَجْمَعُ العلميُّ العراقيّ في خمسينَ عاما ١٩٤٧-١٩٩٧، سالم الآلوسيّ ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، الصّفحة ٤٧ .

[٥] نصّت الفقرةُ (أ) من المادةِ الثّامنةِ من نظامِ المَجْمَع على ما يأتي : يختارُ وزيرُ المعارف أربعةَ أعضاء عاملين ممّن تحقّقت فيهم شروطُ العضويّة في المادة السّادسةِ ، على أنْ يُمثّلَ كلُّ واحدٍ منهم علما من العلومِ الآتية :

أ - اللغة العربيّة وآدابها . ب - تأريخ العرب أو العراق أو المسلمين . ت - العلوم الحديثة ، يُنظَرُ : المَجْمَعُ العلميُّ العراقيُّ في خمسينَ عاما ١٩٤٧-١٩٩٧، سالم الآلوسيّ ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، الصّفحة ٥٠ .

من المادة المذكورة ، وهم الأساتذة [6] :

١- الشّيخ محمّد رضا الشّبيبيّ .

٢- الدّكتور محمّد فاضل الجمّاليّ .

٣- الدّكتور متّى عقراوي .

٤- الدّكتور هاشم الوتري .

وبعدَ ذلكَ اجتمعَ هؤلاءِ الأساتذةُ الأربعةُ لغرضِ تنفيذِ الفقرة (ب)[7] من المادة الثّامنةِ من نظامِ المَجْمَع ، فانتخبُوا الأساتذةَ :

١- توفيق وهبي (وزير المعارف) .

٢- محمد بهجة الأثريّ .

٣- الدّكتور جواد علي .

---

(٦) يمكنُ ملاحظةُ أنَّ الأسماءَ الثلاثةَ الأولى قد كانوا من ضمن المؤسّسينَ لـ (نادي القلم العراقيّ) .

(٧) نصّت الفقرةُ (ب) من المادة الثّامنةِ من نظامِ المَجْمَع على ما يأتي :

ينتخبُ هؤلاءِ الأعضاءُ ثلاثةَ آخرينَ ، ثُمَّ ينتخبُ الأعضاءُ السّبعةُ ثلاثةَ آخرين مراعين تنوّع الاختصاص ، وبذلكَ يتألّفُ المَجْمَع ، وللمَجْمَع أنْ ينتخبَ العددَ الباقي بحسبِ الحاجةِ ، وينْهِي ذلكَ إلى وزيرِ المعارفِ لاستصدارِ الإرادةِ الملكيّة ، وتُراعى هذه القاعدةُ في كلِّ انتخابٍ جديد ، وعضويَّةُ المَجْمَع دائمةٌ ، وعند استقالةِ العضوِ أو وفاته يُراعَى في انتخابِ العضوِ الجديد ما وردَ في هذا النّظام ، يُنْظَرْ : المَجْمَعُ العلميُّ العراقيُّ في خمسين عاما ١٩٤٧-١٩٩٧، سالم الآلوسيّ ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، الصّفحة ٥٠ .

أعضاءَ عاملين في المَجْمَع ، ثُمَّ انتخبَ هؤلاءِ الأعضاءُ السّبعةُ ثلاثةً آخرين ، وهم الأساتذة :

١- نصرةَ الفارسيّ .

٢- منير القاضي .

٣- الدّكتور شريف عسيران .

وبذلكَ تألّفَ المَجْمَع ، وصدرتِ الإرادةُ الملكيّةُ بالموافقةِ على هذا الانتخابِ في اليومِ الثّاني والعشرين من صفر ١٣٦٧هـ الموافق لليومِ الرّابع من شهر كانون الثّاني سنة ١٩٤٨م ، وقد عقدَ المَجْمَع أُولَى جلساتِهِ في ١٢ / ١ / ١٩٤٨م ، وانتخبَ ديوانَ رئاسة المَجْمَع[8] الّذي تألّفَ من :

١- الأستاذ الشّيخ محمد رضا الشبيبي / رئيسا المَجْمَع .

٢- السّيّد توفيق وهبي / نائبا أول لرئيس المَجْمَع .

٣- الدّكتور هاشم الوتريّ / نائبا ثانيا لرئيس المَجْمَع .

وقد أُعِيد انتخابُ هؤلاءِ السّادة مرةً ثانيةً في الأولِ من شهرِ تشرين الأوّل[9] سنة ١٩٤٨م .

---

[8] نصّت المادّةُ التاسعةُ من نظام المَجْمع على ما يأتي : يجتمعُ الأعضاءُ العاملون فينتخبون منهم بالاقتراع السّريّ الأكثريّة المطلقة رئيسا ونائبين للرّئيس ، ومنهم يتألّفُ ديوانُ الرّئاسة ، يُنْظَرُ : المَجْمَعُ العلميُّ العراقيُّ في خمسين عاما ١٩٤٧-١٩٩٧، سالم الآلوسيّ ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، الصّفحة ٥٠ .

[9] نصّت المادةُ (العاشرةُ) من نظامِ المَجْمَع على ما يأتي : يتجدَّدُ انتخابُ الديوان في الأسبوع الأوّل من تشرين الأول من كل سنة ، ويجوز إعادة انتخاب الأعضاء السّابقين ، يُنْظَرُ : المَجْمَعُ العلميُّ العراقيُّ في خمسين عاما ١٩٤٧-١٩٩٧، سالم الآلوسيّ ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، الصّفحة ٥١ .

ومِمّا تجدرُ الإشارةُ إليهِ أنَّ الشّيخَ محمد رضا الشبيبيّ بعدَ انتخابه أول رئيسٍ للمَجْمَع العلميّ العراقيّ عُيِّنَ بعدَ أيامٍ قلائل من هذا الانتخابِ عضوا عاملا في مَجْمَع فؤاد الأوّل (مَجْمَعِ اللغة العربيّة بالقاهرة لاحقا) خلفا للأب أنستاس ماري الكرمليّ الّذي وافتهُ المنيةُ ، وقد صَدَرَ مرسومٌ ملكيٌ بهذا التّعيين بتأريخ ٢٦ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٤٨م .

وبعدَ صدور نظام تعديل نظام المَجْمَع العلميّ العراقيّ ذي الرّقم (٦٢) لسنة ١٩٤٧م ، ظهرَ تفسيرٌ للفقرة (٦) من المادة (٣٠) من القانونِ الأساسيّ العراقيّ لسنة ١٩٢٥م ، وهوَ لا يجوز الجمع بين الوزارةِ أو العضوية في المجلسِ التّشريعيّ ، وبينَ عملٍ آخر من أعمالِ الدّولةِ ، فتخلّى الشيخ محمد رضا الشّبيبيّ في١٦/ ٢/ ١٩٤٩م عن رئاسة المَجْمَع ؛ لأنّه كانَ عضوا في المجلسِ النّيابيّ ، وبهذا تنقطع صلة الشيخ الشبيبي بالمَجْمَع بعدَ أن تولّى رئاسته ثلاثة عشر شهرا وبضعة أيام لا غير ، وهي بلا شك مدةٌ قصيرةٌ لا يستطيعُ أيُّ إنسانٍ أن يقدّم فيها شيئا كبيرا ولا سيما إذا علمنا أنَّ المَجْمَع حديث التأسيس ، ولا يزالُ يخطو خطوات بطيئة من أجل أن يمارسَ دوره المنشود المُحَدَّد له على وفقِ أهدافهِ ضمن نظامه ، ويمكنُ القولُ : إنَّ الشّيخَ الشّبيبيّ تَوَلّى " رئاسة المَجْمَع في ظروفٍ صعبةٍ ، حيثُ لا مقرّ للمؤسَّسةِ الجديدةِ ، ولا أيَّةَ مستلزمات ضروريَّة ، ولعلَّ أهمّ ما أنجَزَ المَجْمَع في عام ١٩٤٨ وعام ١٩٤٩ إلقاء خمس محاضرات كانت واحدة منها محاضرة للشيخ الشّبيبيّ عن مصر " [١٠] .

---

[١٠] صحفٌ مجمعيَّة ، الدّكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ ، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م ، الصّفحة ٧٣

وفي اليوم السادس عشر من شهر محرم لسنة ١٣٨٣هـ الموافق لليوم التاسع من شهر حزيران لسنة ١٩٦٣م صدر مرسوم جمهوري ألغى بموجبه المَجْمَع العلمي العراقي ونظامه ذا الرقم (٦٢) لسنة ١٩٤٧م وتعديله ذا الرقم (٤٠) لسنة ١٩٤٩ م وشُرِّعَ قانونٌ جديدٌ للمَجْمَع يحمل الرقم (٤٩) لسنة ١٩٦٣م ، وقد تمَّ نشرُ القانون في العدد ٨١٩ من جريدة (الوقائع العراقيّة) الصادر في ٢٧ محرم سنة ١٣٨٣هـ الموافق ٢٠/ ٦ /١٩٦٣م ، وتنفيذا لأحكام المواد (٦،٧،٨)[11] من القانون تمَّ اختيارُ أعضاء المَجْمَع ، وهم :

---

[11] نصَّت المادة (السّادسة) من قانون المَجْمَع ذي الرّقم (٤٩) لسنة ١٩٦٣م على ما يأتي :

أ – يشترط في عضو المَجْمَع العامل أن يكون عراقيا لا يقل عمره عن خمس وثلاثين سنة وله اطلاع حسن في قواعد اللغة العربية . وأن يتحقق فيه على الاقل احدى الصفات التالية .

١- اطلاع واسع في فرع أو أكثر من فروع المعرفة وانتاج أصيل فيه .

٢- اتقان اللغة العربية وتضلُّع من إحدى اللغات الحية أو القديمة وقدرة على تحديد المصطلحات واختيارها.

ب – يشترط في العضو المؤازر أن يكون له اطلاع حسن على قواعد اللغة العربية وإحاطة بالغة في فرع من فروع المعرفة وله إنتاج حسن فيه .

جـ – يشترط في العضو الشرف أن يكون ممَّن قدم خدمات جليلة للعلم وتتم عضويته بترشيح أحد أعضاء المَجْمَع العاملين وموافقة الاكثرية في جلسة صحيحة . ولا تكون جلسة الانتخاب صحيحة إلّا إذا حضرها على الأقل ثلثا الأعضاء العاملين .

١- الدكتور عبد الرزاق محيي الدين .

٢- الدكتور عبد العزيز الدوريّ .

٣- الدكتور صالح أحمد العلي .

٤- الدكتور عبد اللطيف البدريّ .

٥- الدكتور فاضل الطّائيّ .

٦- الدكتور مصطفى جواد .

٧- الدكتور سليم النعيميّ .

في حين نصّت المادة (السّابعة) من القانون المذكور على ما يأتي :

ينتخب العضو العامل :

أ - بتزكية مكتوبة من عضوين عاملين يعرضان فيها صفاته الخلقية ومؤهلاته العلمية أو الادبية أو اللغوية لعضوية المَجْمَع .

ب - أن يحصل المزكّى بالانتخاب السري على موافقة أكثرية الأعضاء العاملين .

جـ - يصدر مرسوم جمهوري بتعيين العضو العامل بعد انتخاب ، يُنْظَرُ : المَجْمَعُ العلميُّ العراقيُّ في خمسين عاما ١٩٤٧-١٩٩٧، سالم الآلوسيّ ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، الصّفحة ٩٤.

ونصّت المادة (الثّامنة) من القانون على ما يأتي :

للمَجْمَع أن يختار ما لا يزيد على عشرة من كبار العلماء والمفكرين العرب إضافة إلى العدد المذكور في المادة الخامسة يكون كل منهم عضوا عاملا يساهم في أعمال المَجْمَع ما دام في العراق ، ويراعي المَجْمَع أن يجعل شهرا من جلساته بحيث يمكن أن يحضر العلماء العرب فيه وتدفع لكل من هؤلاء الاعضاء العاملين أجور سفر ومكافأة خاصة يقرّرها مجلس المَجْمَع ، يُنْظَرُ : المَجْمَعُ العلميُّ العراقيُّ في خمسين عاما ١٩٤٧-١٩٩٧، سالم الآلوسيّ ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، الصّفحة ٩٥ .

٨- الدكتور إبراهيم شوكة .

٩- اللواء الرّكن محمود شيت خطّاب .

١٠- الأستاذ كوركيس عوّاد .

ثُمَّ انتُخِبَ :

١١- الشيخ محمد رضا الشبيبي .

١٢- الحاج حمدي الأعظميّ .

١٣- الأستاذ محمد شفيق العانيّ .

١٤- الشيخ محمد رضا المظفّر .

١٥- الدكتور محمود الجليليّ .

١٦- الدكتور عبد العزيز البسّام .

أعضاءً عاملين .

ثم اجتمع هؤلاء الأعضاء فانتخبوا ديوان الرئاسة عملا بأحكام المواد (١٣ ، ١٤ ، ١٥)[١٢] من القانون ، وقد تألّفَ من الأساتذة :

---

[١٢] نصَّت المادة (الثَّالثة عشرة) من قانون المَجْمَع ذي الرقم (٤٩) لسنة ١٩٦٣م على ما يأتي :

أ – للمَجْمَع ديوان للرئاسة يتألف من الرئيس ونائبين أول وثانٍ وعضوين عاملين .

ب – ينتخب ديوان الرئاسة من بين الاعضاء العاملين العراقيين بجلسة صحيحة وبالتصويت السري لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

في حين نَصَّت المادة (الرّابعةَ عشرةَ) من القانون نفسهِ على ما يأتي :

١- الشّيخ محمد رضا الشّبيبيّ رئيسا

٢- الدكتور سليم النّعيميّ نائب الرّئيس الأوّل .

٣- الدّكتور عبد الرّزّاق محيي الدّين نائب الرّئيس الثّاني .

٤- الدّكتور إبراهيم شوكة عضوا .

٥- الدّكتور صالح أحمد العلي عضوا .

٦- الدّكتور يوسف عز الدّين أمينا عامًّا .

وهكذا عاد الشيخُ الشبيبي مرةً ثانيةً إلى المَجْمَع الّذي يمثّلُ بيتَه ومكانه الذي يأنسُ به ، ولا يرى مكانا آخر يليقُ به غير هذا المكان .

في لجان المَجْمَع :

بعدَ أنْ تولّى الشيخُ الشبيبي رئاسةَ المَجْمَع للمرة الثّانية سعى جاهدا لأن يقوم المَجْمَع بدوره على أكمل وجه ، وأن يؤدّي المهام الّتي نصَّ عليها قانونُه

أ – رئيس المَجْمَع رئيس دائرة مستقلة له حق تعيين الموظفين والمستخدمين بحسب الملاك الذي يقرره المَجْمَع وأن يأمر بالشراء والصرف وفق القوانين المرعية .

ب – يقوم النائب الاول مقام الرئيس عند غيابه فإذا غابا كلاهما قام النائب الثاني مقام الرئيس ، فإذا غابوا قام أكبر الأعضاء سنا مقامَ الرئيس .

أمّا المادة (الخامسةَ عشرةَ) من القانون المذكور فقد نَصَّت على ما يأتي :

أ – يكون للمَجْمَع أمينٌ عامٌ يُختار من أعضاء المَجْمَع أو من غيرهم بترشيح من ديوان الرئاسة .

ب – يكون الامين العام مقرّرا لديوان الرئاسة ومسؤولا عن تدوين محاضر جلسات المَجْمَع ومقرراته وحفظها وتبليغ دعوات اجتماعه وتنظيم مراسلاته وشؤون إدارته ، يُنْظَرَ : المَجْمَعُ العلميُّ العراقيُّ في خمسينَ عاما ١٩٤٧-١٩٩٧، سالم الآلوسيّ ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، الصّفحات ٩٥-٩٦ .

الجديد ؛ لذا فإنَّ أوّلَ عملٍ قامَ بهِ عندَ تسنّمهِ مهام عمله هو تشكيل لجان المَجْمَع وتوزيع الواجبات عليها ؛ لكي تقومَ كلُّ لجنةٍ بأداء عملها ووضع خططٍ من أجل النّهوض بواقع المَجْمَع ، ومما يلفت الانتباه أنَّ الشيخ الشبيبي قد كان عضوا في أغلب تلك اللجان ، وهذا أمرٌ يندرُ حدوثُهُ في مثلِ هكذا مؤسّسات أن يكونَ رئيسُ المؤسَّسةِ عضوا في داخل اللجان الفرعيّة لمؤسستهِ ؛ ولعلَّ الشيخ الشبيبي أراد بعمله هذا أن يبيّن لزملائه أعضاء المَجْمَع أنَّ منصب رئيس المَجْمَع منصبٌ شرفيٌّ وأنّه واحدٌ منهم وهو معهم في عملهم ، فضلا عن أنَّ عمل اللجان عملٌ بحثيٌّ وهذا هو مكانه الطبيعي (البحث والتأليف) ، وبالمقارنة بينَ رئاسته الأول للمَجْمَع ورئاسته الثّانية يمكنُ القولُ : إنَّ الرّئاسة الأولى كانت تحيط بها ظروفٌ صعبةٌ ومعقّدةٌ ، أمَّا حينما عادَ الشّيخ الشّبيبيّ إلى رئاسة المَجْمَع للمرة الثّانية فقد " وجدَ الأمورَ مُيَسَّرةً ؛ إذ ساندَتهُ رئاسةُ الجمهوريّة ، وأقامَ للمَجْمَع بنايةً خاصّةً متواضعةً ، واشترى مطبعةً ، ونظّمَ ملاكَهُ الوظيفيّ ، واهتمَّ بالمكتبةِ الّتي أخَذَتْ تتّسعُ وتتطوَّرُ عاما بعدَ عام ، ... وقدَّمَ للمَجْمَع الشّيءَ الكثير ، فهوَ على الرّغمِ من رئاستِهِ كانَ يشاركُ في لجانِهِ المختلفة منها : لجان الشّريعة ، ووضع أسس اختيار الأعضاء ، وإعداد قائمة بأسماء قادة المجتمع العربيّ ، والمعجمات ، ونشر المخطوطات ، وعملَ على توحيدِ جهودِ المجامعِ العربيّة ، ولعلَّ خطوتَهُ في هذا المجالِ توجيههُ عام ١٩٦٤- ١٩٦٥م دعوةً إلى مَجْمَع اللغة العربيَّةِ في القاهرةِ ليعقد دورتَهُ الثّانية والثّلاثين في بغداد ، وحضرَ بعضُ أعضاءِ المَجْمَع وعلى رأسِهم الدّكتور إبراهيم مدكور– الأمين العام للمَجْمَع– وافتتحَ المؤتمرُ مساءَ يوم السّبت ٢٦ رجب سنة ١٣٨٥هـ –

٢٠ تشرين الثّاني سنة ١٩٦٥م "[١٣] ، وسأذكر هنا بشكلٍ مُفَصَّلٍ اللجانَ الّتي كان الشبيبي عضوا فيها[١٤] :

- **لجنة الشريعة :**

١- الشيخ محمد رضا الشبيبي .

٢- الأستاذ محمد شفيق العانيّ .

٣- الشيخ محمد تقي الحكيم .

- **لجنة المجلة (١٩٦٣ م) :**

١- الشيخ محمد رضا الشبيبي .

٢- الدّكتور عبد الرزّاق محيي الدّين .

٣- الدكتور عبد العزيز البسّام .

٤- الدكتور مصطفى جواد (احتياط).

٥- الدكتور يوسف عز الدّين (مقررا للجنة) .

- **لجنة المجلة (١٩٦٤ - ١٩٦٥م) :**

١- الشيخ محمد رضا الشبيبي .

٢- الدكتور مصطفى جواد .

---

[١٣] صُحُفٌ مَجْمَعيَّةٌ ، الدّكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقيّ ، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م ، الصّفحات ٧٣- ٧٤ ، ويُنْظَرُ : مَجْمَعِيَّاتُ الشّبيبيّ ، تحقيق وتقديم : الدّكتور صاحب ذهب ، منتدى المعارف ، بيروت - لبنان ، الطّبعة الأولى ، ٢٠١٦م ، الصّفحة ١٨ .

[١٤] يُنْظَرُ : المَجْمَعُ العلميُّ العراقيُّ في خمسينَ عاما ١٩٤٧-١٩٩٧، سالم الآلوسيّ ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، الصّفحات ١١١-١١٧.

٣- الدكتور عبد الرزّاق محيي الدين .

٤- الدكتور عبد العزيز الدوريّ .

٥- الدكتور يوسف عز الدين (مقرّرا للجنة) .

- **لجنة وضع الأسس لاختيار الأعضاء :**

١- الشيخ محمد رضا الشبيبي .

٢- الدكتور عبد الرزّاق محيي الدّين .

٣- الدّكتور إبراهيم شوكة .

٤- الدكتور محمود الجليليّ .

- **لجنة الاستشارات العلميَّة واللغويَّة والأدبيَّة والتأريخيَّة :**

١- الشيخ محمد رضا الشبيبيّ .

٢- الدكتور عبد العزيز الدوريّ .

٣- الدكتور صالح أحمد العلي .

٤- الدكتور إبراهيم شوكة .

- **لجنة تسعير كتب المَجْمَع :**

١- الشيخ محمد رضا الشبيبيّ .

٢- الأستاذ كوركيس عوّاد .

٣- الدكتور جميل الملائكة .

- **لجنة لإعداد قائمة بأسماء قادة المجتمع العربيّ لتخليد ذكراهم بإصدار طوابع بريد تذكاريَّة :**

١- الشيخ محمد رضا الشبيبي .

٢- الدكتور عبد العزيز الدوريّ.

٣- الدكتور صالح أحمد العلي (مقرّرا للجنة) .

- **لجنة المعجمات :**

١- الشيخ محمد رضا الشبيبي .

٢- الدكتور محمد سليم النعيمي .

٣- الدكتور مصطفى جواد .

٤- اللواء الركن محمود شيت خطّاب (مقرّرا للجنة) .

- **لجنة** نشر **المخطوطات :**

١- الشيخ محمد رضا الشبيبي .

٢- الدكتور مصطفى جواد .

٣- الدكتور صالح أحمد العلي .

٤- الأستاذ كوركيس عوّاد .

٥- الدكتور محمود الجليليّ (مقرّرا للجنة) .

البحوث والمقالات والكلمات :

يشهدُ مَجْمَعا اللغة العربيَّة في دمشق والقاهرة اللذان كان الشيخ الشبيبيّ- رحمهُ اللهُ - عضوا فيهما بغزارة عطائِهِ في نشر المقالات والبحوث والمشاركة في المحاضرات والتعقيبات في داخل المؤتمرات المَجْمَعيّة وخارجها في أروقة المَجْمَعَين ، وقد حفلت مجلتا المَجْمَعين بنتاجٍ بحثيّ متميّزٍ له ، فضلا عن محاضر الجلسات الّتي كانت تُعقَدُ لمناقشةِ قضايا تخصُّ اللغة العربيّة وإصدار القرارات المتعلّقة بها ، وكذا الأمر مع المَجْمَع العلميّ العراقيّ ؛ إذ كانَ الشيخ معطاءً في الجانب البحثيّ سواءٌ أكان ذلك خلال ترؤّسه المَجْمَع أم خارج منصب الرئاسة فقد كان يرفد مجلة المَجْمَع

ببحوثٍ ومقالاتٍ وتعقيباتٍ ، فضلا عن كلماتٍ له في مناسباتٍ رسميّة ، ونذكر الآن ما ضمّته أعداد مجلة المَجْمَع العلمي العراقي من نشاطات الشيخ في هذا الجانب :

أولا : البحوث والمقالات[١٥] :

١- أصول اللهجة العراقيَّة[١٦] .

٢- أدبُ المغاربةِ والأندلسيّين في أصولِهِ المصريَّة ونصوصه العربيّة [١٧].

٣- أقدم مخطوطٍ وصلَ إلينا عن بلادِ العربِ (الجزء الأوّل) [١٨] .

٤- بينَ مصر والعراق في ميدانِ العلاقاتِ الثّقافيَّة [١٩] .

٥- التّربيةُ في الإسلام – بحثٌ مقارن – [٢٠] .

---

(١٥) يُنظَرُ : كَشّاف مجلَّة المَجْمَع العلميّ العراقيّ (١٣٦٩- ١٤٢٠هـ ، ١٩٥٠- ٢٠٠٠م) ، الدّكتور عبدالله الجبوريّ ، منشورات المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، مطبعة المَجْمَع ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، الصّفحات ٥٨- ٥٩ .

(١٦) يُنظرُ: مجلّة المجمع العلميّ العراقي ، المجلّد الرّابع ، الجزء الثّاني ، (١٣٧هـ – ١٩٥٦م) الصفحة ٣ .

(١٧) يُنظرُ : مجلّة المجمع العلميّ العراقي ، الجزء الثّامن ، (١٣٨هـ – ١٩٦١م) ، الصّفحات ٤٠٤- ٤٠٧.

(١٨) يُنظرُ : مجلّة المجمع العلميّ العراقي ، الجزء الأوّل ، (١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م) ، الصّفحات ٣٩-٤٥.

(١٩) يُنظرُ : مجلّة المجمع العلميّ العراقي ، الجزء الثّاني عشر ، (١٣٨٤هـ-١٩٦٥م) الصّفحات ٢١٤-٢٢٠.

(٢٠) يُنظرُ : مجلّة المجمع العلميّ العراقي ، الجزء السّادس ، (١٩٥٩م) ، الصّفحات ٣-١٥.

٦- رحلةٌ إلى المغربِ الأقصَى[٢١] .

٧- رحلةٌ في باديةِ السّماوة [٢٢] .

٨- تحية المؤتمر (كلمة ألقاها الأستاذ الشّيخ محمد رضا الشّبيبيّ رئيس المَجْمَع العلميّ العراقيّ في حفل افتتاح مؤتمر مَجْمَع اللغة العربيَّة بالقاهرة في دورتِهِ الحادية والثّلاثين)[٢٣] .

٩- وقائع مؤتمر مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة في دورتِهِ الحادية والثّلاثين من ١٤/١٠/ ١٣٨٤هـ - ٢٨/١٠/ ١٣٨٤هـ ، الموافق ١٥ / ٢ / ١٩٦٥م - ١ / ٣ / ١٩٦٥م)[٢٤] .

١٠- في كتابِ مُؤرِّخ العراق ابن الفوَطيّ (تعقيبٌ وتصحيحٌ)[٢٥] .

---

[٢١] يُنظرُ : مجلَّة المجمع العلميّ العراقي ، الجزء الثّاني عشر ، (١٩٦٥م) الصّفحات ٣٠-٤٠.

[٢٢] يُنظرُ : مجلَّة المجمع العلميّ العراقي ، المجلّد الحادي عشر (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) ، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ ، الصّفحات ١- ٣٠ ، ثُمَّ نشرَ تعريفا له برحلتِهِ المذكورة آنفا في المجلد الثّاني عشر من مجلة المجمع العلميّ العراقيّ (١٩٦٤م) ، الصّفحات ٢٦٦-٢٦٨ .

[٢٣] يُنظرُ : مجلَّة المجمع العلميّ العراقيّ ، المجلد الثّاني عشر (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) ، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ ، ١٩٦٥م ، الصّفحات ٢٢١- ٢٢٢ .

[٢٤] يُنظرُ : مجلَّة المجمع العلميّ العراقيّ ، المجلد الثّاني عشر (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) ، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ ، ١٩٦٥م ، الصّفحات ٢٤٢ - ٢٦٠.

[٢٥] يُنظرُ : مجلَّة المجمع العلميّ العراقي ، الجزء السّادس ، (١٩٥٩م) ، الصّفحات ٣٦٨- ٣٧٠.

١١- مُذَكِّرَةٌ بوقائعِ المَجْمَعِ العلميّ العراقيّ في فترةِ العطلة [٢٦] .

١٢- باب الكتب (يَتَضَمَّنُ هذا البابُ من أبوابِ مجلة المَجْمَع العلمي العراقيّ تعريفا بالكتب ونقدا للمطبوعات) ، وقد تضمَّن المجلّد الثاني عشر من مجلة المَجْمَع العلميّ العراقيّ مجموعةً من تلك الكتب والمطبوعات الّتي عرضَ لها الشّيخ الشبيبيّ قراءةً ونقدا ، وهذه الكتب والمطبوعات هي[٢٧] :

أ- كتاب خلق الإنسان : عن أبي ثابت بن أبي ثابت ، من علماءِ اللغةِ في القرنِ الثّالث ، مطبعة حكومة الكويت ، عدد الصّفحات (٣٢٩) .

ب- اللسان العربيّ : مجلة للأبحاثِ اللغويّة والتّرجمة والتّعريب يصدرها في الرّباط (المغرب الأقصى) المكتب الدّائم لتنسيق التّعريب .

ت- التّقرير السّنويّ للعام الدّراسيّ ١٩٦٢- ١٩٦٣ في الأردن .

ث- المعجم اللغويّ الكبير .

ج- رسالة أبي حيّان التّوحيديّ في العلوم .

ح- معجم رجال الفكر والأدب في النّجف خلال ألف عام .

خ- مطبوعات حديثة .

---

[٢٦] يُنظرُ: مجلّة المجمع العلميّ العراقي ، المجلد الحادي عشر ، ١٩٦٤م ، الصّفحات ٣١٥- ٣١٨.

[٢٧] يُنظرُ : مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ ، المجلد الثّاني عشر (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م)، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ . ١٩٦٥م ، الصّفحات ٢٦١-٢٦٨.

د- رحلة في بادية السّماوة ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، في ستين صفحة ، لمؤلّفها محمد رضا الشّبيبيّ .

ذ- وقائع مؤتمر مَجْمَع اللغة العربيّة في القاهرة ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، عدد الصّفحات (٢٨) .

ثانيا : الكلمات :

١- رسالةٌ جوابيَّةٌ لرئيسِ الجمهوريَّة[٢٨] .

بعد صدورِ قانون المَجْمَع العلميّ العراقي ذي الرقم (٤٩) لسنة ١٩٦٣م بعث رئيس الجمهوريّة آنذاك المشير الركن عبد السلام محمد عارف رسالة تهنئةٍ للمجْمَع بهذه المناسبة ، فما كان من رئيس المَجْمَع الشيخ محمد رضا الشبيبي إلّا أن يبعث رسالةً جوابيّة لرئيس الجمهوريّة هذا نصّها :

السيد عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهوريَّة العراقيَّة المحترم

تحيةً طيّبةً وسلاما

وبعد

تلقَّى المَجْمَع العلميُ العراقيُ ببالغ الشُكرِ ، وفائقِ الاغتباطِ تحيّتكم الجميلة الّتي تَفَضَّلتُم بتوجيهها إليه ، وقد كانت رسالةُ مَجْمَعنا بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى هذهِ اللفتةِ الواعيةِ والبادرةِ الحسنةِ من جانِبِكُم ؛ لأنَّها مفتاحُ التّعاونِ بينَ السّلطاتِ العراقيَّةِ العليا والمَجْمَع ، وذلكَ في سبيلِ النّهوضِ بهِ وتمكينه من

---

[٢٨] يُنظَرُ : المَجْمَعُ العلميُ العراقيُ في خمسينَ عاما ١٩٤٧-١٩٩٧، سالم الآلوسيّ ، مطبعة المَجْمَع العلميّ العراقيّ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، الصّفحات ١٠٩ - ١١٠ .

أداءِ رسالتِهِ ، وتحقيق أغراضِهِ في نطاقٍ أشمل ، وحدود أوسع مِمَّا كانَ عليهِ قبلَ اليوم .

هـذا ، وأغـراضُ المَجْمَـع كمـا لا يخفـى لا تعـدو النّهـوض بالدّراسـاتِ والبحوثِ على اختلافِ موضوعاتِها من علميّةٍ إلى أدبيَّةٍ أو فنيّةٍ ، ومن أهمِّ أغراضِ المَجْمَع معاضـدة حركـة التـأليف والنّشـر والتّرجمـة بشـتّى الوسـائلِ الممكنـةِ ، والمحافظـة علـى سـلامةِ اللغـةِ العربيَّـةِ ، وجعلهـا وافيـةً بمطالـبِ الفنـون والعلـوم ، هـذا إلـى تعزيـز صِـلةِ المَجْمَـع بالمجـامعِ العلميَّـةِ الأخـرى وبالجامعات ، وكذلكَ العناية التّامّة بحفظِ تراثِ العربِ والإسلام ومصنّفاتهم سواءٌ أكانَت مخطوطةً أم مطبوعةً نادرةً ، والعمل على تحقيقِ ما يحتاج إلى تحقيقٍ منها ، ونشره بعدَ ذلكَ ، ولا يخفى ما يتطلَّبُهُ القيامُ بهذهِ المهام من الجهودِ المضنيةِ ، والنّفقاتِ الكافيـة ، وممَّا يضـاعفُ اغتباطنـا ذلـكَ الوعدُ الجليلُ الّذي قطعتموه في رسالتِكم المُوَجَّهَةِ إلى هذا المَجْمَع ، مؤكّدينَ له كما وردَ في الرّسالةِ أنّكم " أوّل مَنْ يأخذُ بيدِ المَجْمَع لأداءِ رسالتهِ على أحسن وجهٍ وبأقرب وقتٍ ، وستعملونَ على تذليل كافّة العقباتِ الّتي تعترضُ طريقهُ الشّاق الطّويل" ، وعلى هذا الوعدِ القاطع ، وعلى الأخذِ بيدِ المَجْمَع والتّعاونِ معـه ، يعتمـدُ أعضـاؤهُ العـاملونَ وديـوانُ رئاسـتهِ فـي النّهـوضِ بـهِ حثيثـا ، وتحقيق أغراضهِ الشّريفة ، والمَجْمَع على ثقةٍ بأنَّ الوفاءَ بهذا الوعدِ الصّادرِ من جانبِكُم لا مناصَ منه إنْ شاءَ اللهُ ، ونعتقدُ بأنَّ وزيرَ البلدياتِ والشّؤونِ القرويّـة (اللـواء الركن محمود شيت خطـاب) – وهوَ من أعضـاءِ المَجْمَـع العاملين - باذلٌ جهدَهُ في سبيلِ تحقيقِ مطالبِهِ ، وتيسيرِ حاجاتِهِ المُلحّة في عهدِهِ الجديـد ، هـذا ولا يسـع مَجْمَعنـا عَـودا علـى بـدءٍ ، إلّا أنْ يتقدّمَ إليكم

بجزيلِ الشّكر ، وختاما تَقَبَّلُوا أيّها السّيّد الرَّئيس مِنّي ومن اخواني أعضاء المَجْمَع فائق التّقدير والاحترام . (الرسالة ورئاسة رئيس الجمهورية منشورتان في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٤م) .

محمّد رضا الشّبيبيّ
رئيس المَجْمَع العلميّ العراقيّ

٢- تقديم العدد الحادي عشر من مجلَّةِ المَجْمَع[٢٩].

بعدَ صدور القانون الجديد للمَجْمَع ذي الرقم (٤٩) لسنة ١٩٦٣م قام المَجْمَع بإصدار ثلاثة مجلدات ضخام من مجلة المَجْمَع ، وقد أصبحَ حجمُها أصغر من الحجمِ الأولِ ، وقامَ رئيسُ المَجْمَع الشّيخ محمد رضا الشّبيبيّ بكتابةِ تقديمٍ للعدد الحادي عشر من المجلة ، وهذا هو نَصُّ التّقديم :

صدرَ قانونُ المَجْمَع العلميّ العراقيّ الجديد في ١٦ محرّم سنة ١٣٣٨هـ الموافق لليومِ التّاسع عشر من شهرِ حزيران سنة ١٩٦٣م ، وكانَ المَجْمَع يستندُ في أعمالِهِ قبلَ هذا التّأريخ إلى نظامٍ صدرَ سنةَ ١٩٤٧م سُمّيَ " نظام المَجْمَع العلميّ العراقيّ " ، وقد صدرَ النّظامُ استنادا إلى أحكامِ " قانون المعارف العامّة لسنة ١٩٤٠م " ، وسيتضحُ للمعنيّينَ بالنّظرِ في أحكامِ القانونِ الجديد أنَّ هذا المَجْمَع لن يألوَ جهدا في سبيلِ النّهوضِ بالأعباءِ

[٢٩] يُنظرُ : مجلَّة المجمع العلميّ العراقي ، المجلد الحادي عشر ، ١٩٦٤م ، الصّفحات ٢-٤ .

والمهامَّ المطلوبـةِ منهُ ، وتحقيق أغراضِـهِ بوسائلَ عِدَّة في مقدّمتِها إصدار هذهِ المجلة .

هذا ويسعدُ ديوان رئاسة المَجْمَع العلميّ أنْ يُقدِّمَ إلى القُرّاءِ هذا الجزءَ الحادي عشر من أجزائِها ، وسيتضحُ للمعنيّينَ بالنّظرِ في تأريخِ المَجْمَع ومجلتهِ أنَّ أوّلَ أعدادِها صدرَ في أيلول ١٩٥٠م ، أي : بعدَ مضي عامين على تأسيسِ المَجْمَع ، ثُمَّ توالَى صدورُ المجلّةِ على تفاوتٍ في حجمِها ، وفي عددِ ما يصدرُ من أجزائِها سنويا ، ولا يخفَى أنَّ مجلّتنا ككلِّ كائنٍ ناشيء تفتقرُ إلى تعهّدِها بأسبابِ النّموِ والازدهار ، ولذلكَ استأثرَ البحثُ في استئنافِ اخراجِها على الوجهِ المطلوبِ بجانبٍ من جلساتِ المَجْمَع في عهدِهِ الحاليّ ، وفي الجلسةِ الّتي عُقِدَت في ١٦ / ١٢ / ١٩٦٣م تقَرَّرَ وضعُ خطّةٍ شاملةٍ ، ومنهجٍ ثابتٍ للتّحرير اشتُرِطَ فيهِ ما يلي :

١- أن تكونَ البحوثُ والمقالاتُ الّتي تنشرُها المجلّةُ وثيقةَ الصِّلَةِ بأهدافِ هذهِ المؤسَّسةِ .
٢- أن تكونَ البحوثُ والمقالاتُ خاصّةً بمجلَّةِ المَجْمَع لم يسبقْ نشرُهَا أو القاؤها في مكانٍ آخر .
٣- أن تتميَّزَ البحوثُ والمقالاتُ بأصالتِهَا على قدرِ الإمكانِ بحيث يُستَفادُ منها مادة جديدة أو رأي للكاتبِ طريف .
٤- تُدفَعُ عشرةُ دنانير على سبيلِ المكافأةِ .
٥- يُسَلَّمُ المقالُ أو البحثُ إلى ديوانِ رئاسةِ المَجْمَع العلميّ أو إلى لجنةِ المجلّةِ ، أو يُرسَل بهما إلى هاتين الجهتين في بريدٍ مضمون .
٦- أصحاب البحوث والمقالات مسؤولون عَمَّا تتضمّنُ من آراء .

هذا وقد تضمَّن المنهج وما إليه مِمَّا يتَّصلُ بشؤونِ المجلَّةِ كتاب عام وجّهَ بهِ إلى ذوي الكفاياتِ العلميَّةِ والأدبيَّةِ سواءٌ أكانوا أعضاءَ في المَجْمَع أم لم يكونوا وذلكَ عملا بخطَّتِهِ في تعزيزِ صِلاتِهِ ، وتوثيقِ رابطتهِ بأعلامِ الفكرِ والأدبِ وسَدَنةِ تراثِنا القَيِّم وروّادِ الثّقافةِ قديمها وحديثها أينَما وُجدوا ، وسيُنشرُ هذا الكتابُ في مكانهِ من هذهِ المجلّةِ ، وستُعقدُ في مجلَّتِنا فصولٌ عِدَّة منها فصلٌ تُنشَرُ فيهِ خلاصةُ أعمالِ المَجْمَع ، وآخر يُخَصَّصُ بنقدِ الكتبِ ، وثالث يُعقَدُ للتّعريفِ بالمخطوطاتِ النّادرةِ ، إلى غيرِ ذلكَ ، إنَّ المَجْمَع وهو بسبيلِ إخراجِ مجلَّتِهِ قويُ الأملِ بعدَ اللهِ بمن عَقَدَ عليهِم الآمالَ من مؤازريهِ ومعاونيهِ على الاضطلاعِ بالمهامِّ الّتي يضطلعُ بها ، والرّسالة الّتي أخذَ نفسَهُ بأدائِها ، ومنَ اللهِ العونُ ، وهوَ وليُّ التّوفيق .

محمّد رضا الشّبيبيّ

رئيس المَجْمَع العلميّ العراقيّ

٣- العقّاد (فقيد مجامع اللغةِ العربيّة)[٣٠].

نَصُّ الكلمةِ الّتي ألقاها الأستاذُ محمّد رضا الشّبيبيّ رئيس المَجْمَع العلميّ العراقيّ في حفلةِ تأبين الأستاذ عبّاس محمود العقّاد – رحمه الله – ، وهيَ الحفلةُ الّتي أقامتها جمعيَّةُ المؤلِّفينَ والكُتَّاب العراقيّين في قاعةِ الشعب ببغدادَ مساء الخميس ٢ محرّم ١٣٨٤هـ الموافق ١٤ آيار ١٩٦٤م .

---

[٣٠] يُنظرُ : مجلّة المجمع العلميّ العراقي ، المجلد الحادي عشر ، ١٩٦٤م ، الصّفحات ٢٧٩-٢٨٢.

أيُّها السّادة الأفاضل :

سلام الله عليكم ، وبعدُ : أرى لزاما عليَّ أنْ أتَقَدَّمَ بوافرِ الشّكرِ إلى جمعيَّةِ المؤلِّفينَ والكُتَّابِ العراقيّينَ على دعوتِهَا إيَّاي للمشاركةِ في هذا الاحتفالِ الّذي تقيمهُ لتأبينِ الكاتبِ العربيِّ الكبير عبّاس محمود العقّاد رحمه الله .

سأقتصرُ في كلمتي على عرضِ بعض الملاحظات والارتسامات عن سيرةِ الزميلِ السيّد العقّاد في مؤتمرِ مَجْمَع اللغةِ العربيَّةِ الّذي ينعقدُ في القاهرةِ كلَّ عام .

لا يخفى أنَّ للعربيَّةِ في عصرنا هذا بالذّاتِ خصوما تَفَنَّنوا في غمزِها بحجةِ ضعفِها وعدمِ وفائِها أو قصورِها في التّعبيرِ عن مطالبِ الحياةِ في هذا العصرِ ، وقد رأينا الفقيدَ الجليلَ ينتهزُ كلَّ فرصةٍ تسنحُ له سواءٌ أكانَ ذلكَ في الصّحفِ الّتي يُحَرِّرُ فيها أم في الهيئاتِ الّتي ينتمي إليها ، ومنها المجلس الأعلى لرعايةِ الفنونِ والآدابِ ، والمَجْمَع اللغويّ ، ومؤتمره مُبَرهنا بالحججِ الدّامغةِ على أنَّ لغتَنَا أوفى اللغات ، قديمة وحديثة ، غربيَّة وشرقيَّة بالتّعبيرِ عن مطالبِ الحياةِ ، فالعربيَّةُ فيما يرى العقّادُ أداةٌ عالميَّةٌ من أصلحِ أدواتِ البيانِ الإنسانيّ ، ولا يعرفُ علماءُ اللغاتِ – في مذهبِ العقّادِ أيضا – لغةً تتراءى لنا من خلالِ مصطلحاتِها وجملِها ومفرداتها ، ملامح النّاطقينَ بها ، ومظاهر أخلاقِهم وطبايعهم وصفات أوطانِهم وأطوار حياتهم فيها ، وذلكَ في مختلفِ أساليبِها البيانيّة من حقيقيّة ومجازيَّة ، وأمَّا عن صعوبةِ الكتابةِ في الأبجديَّةِ العربيَّةِ وتوريطِ قرائِها بكثيرٍ من الأوهامِ والأغلاطِ على ما يزعمونَ ، وحاجتها إلى الإصلاحِ أو إلى التّغييرِ بخلافِ غيرها من

الكتاباتِ الفرنجيَّةِ فإنَّ العقّادَ - رحمه الله - طالما ينهضُ من مكانهِ في المؤتمرِ اللغويّ قائلا : ليسَ في الإمكانِ أبدع ممَّا كان ، ولا توجدُ عندَنا حروفٌ أو ابجديَّة مفتقرة إلى إصلاحٍ كبيرٍ إلّا في مخيّلةِ الضّعفاءِ والمقلّدينَ ، ولنا أنْ نقولَ : كانَ الرّجلُ فذًّا بينَ أعضاءِ مَجْمَعنا اللغويّ ، بل كانَ في غنائهِ وتأثيرهِ وسلامةِ منطقهِ وإيمانهِ الرّاسخ بفكرتهِ مَجْمَعا عربيًّا قائما بذاتِهِ ، وكانَ لهُ من جهارةِ صوتِهِ في المؤتمرِ ووضوحِ ملامحهِ ومن قوامهِ الفارع ما يدعمُ وجهةَ نظرهِ في حومةِ النّقاشِ الّذي يجري في قاعةِ المؤتمرِ اللغويِّ المنعقدِ في القاهرةِ بشأنِ تلكَ البحوث ، وَقَلَّمَا رأينا أحدا أخذَ عليهِ غلطا أو سقطا في جملةٍ من تلكَ الجلساتِ معَ أنَّهُ كانَ يرتجلُ ما يقولُ ارتجالا يستغرقُ مدَّةً غير قصيرةٍ في كثيرٍ من الأحيان ، أُختيرَ العقّادُ عضوا عاملا في المَجْمَع اللغويِّ سنة ١٩٤٠ فهوَ أقدمُ عهدا بهذهِ العضويةِ من هذا الشّخصِ الماثلِ بينَكُم بثماني سنين ، ومن ذلكَ الحين ثابرَ العقّادُ على شهودِ دوراتِ المؤتمرِ واجتماعاتِ مجلسِهِ ولجانهِ ، واختيرَ عضوا في أكثر من لجنةٍ ، فهوَ عضوٌ في لجنةِ إحياءِ التّراثِ العربيّ ، وفي لجنةِ اللهجاتِ ، ولجنةِ المعجمِ الكبير ، ولجنة الأصولِ إلى غيرِ ذلك .

والحق أنَّ مظاهرَ نشاطِ العقّاد كلّها سواءٌ أكانت في اللجانِ أم في المجلسِ أم في المؤتمرِ جديرةٌ بالتّقديرِ والإكبارِ ، ولا ننسى كلماتهِ الرّائعةَ في استقبالِ زملائهِ الجدد من أعضاءِ المَجْمَع ، فإنَّ لهُ أكثر من كلمةٍ رائعةٍ استقبلَ فيها أكثرَ من عضوٍ عاملٍ جديد ، ومن ذلكَ كلمته في استقبالِ زميلهِ الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنيّ - رحمه الله - ، وأخرى في استقبالِ الشّاعر عزيز أباظة ، والعقّاد هوَ الّذي استقبلَ كاتبَ هذهِ الكلمةِ عضوا في

المَجْمَع وذلكَ في الدّورةِ الخامسةَ عشرةَ المنعقدة سنة ١٩٤٨ بخطابٍ حافلٍ بكلِّ ما ينمُّ عن حُسْنِ ظَنٍّ ورأيٍ جميل وبحثٍ دقيق ، وكانَ واجبا عَلَيَّ أنْ أردَّ تلكَ التّحية بمثلِها قائلا ما هذا لفظه : من بواعثِ اغتباطي في هذا اليوم الّذي يحتفلُ فيهِ المَجْمَع باستقبالِ مَنْ يستقبل مِن أعضائِهِ الجدد أنْ يتفضّلَ الأستاذُ السيّد العقّاد فيلقي كلمةً بهذهِ المناسبةِ فإذا هيَ كلمةٌ كريمةٌ كانَ لها أبلغُ الأثر في نفسي ، وغير كثيرٍ من الأستاذِ هذا التّشجيع ؛ إذ مضى عليهِ زمنٌ ليسَ بالقصيرِ وهوَ ينشدُ تعزيزَ هذهِ الرّابطة الوثيقة بينَ أبناءِ الأقطارِ العربيّةِ ، ونحنُ في العراقِ نعقدُ الآمالَ الجِسامَ على تعزيزِ هذهِ الرّوابط الجديدة ، ونرى من خلالِها طلائعَ عصرٍ من عصور التّعاونِ والإصلاحِ في هذهِ الأقطارِ ، ولهذا لا يسعني إلّا أنْ أشكرَ السيّدِ العقّادِ فضلَهُ ولطفهُ الجزيل وإنّي لَسعيدٌ حقًّا أنْ أشهدَ هذا المؤتمرَ حاملا إليكم تحيةً عاطرةً من العراقِ وإعجابا عظيما من أبناءِ الرّافدين بالأغراضِ النّبيلةِ والمقاصد الجليلة الّتي تأسَّسَ من أجلِها مَجْمَع اللغةِ العربيّة ، هذا وممّا تميَّزَ بهِ فقيدُ المَجْمَع عنايةٌ ظاهرة بمتابعةِ مراحلِ النّهضةِ الأدبيّةِ والحركة الفكريّة العامّة في الشّرقِ العربيّ ، وهيَ عنايةٌ انفردَ بها عن كثيرٍ من أعلامِ الأدبِ بينَ اخوانِنَا المصريّين ، فهوَ مَعْنِيٌّ بإعدادِ بحوثِهِ وكلماتِهِ في نقدِ المؤلّفينَ الّتي تظهرُ في بعضِ هذهِ الأقطارِ أو في الكتابةِ عمَّا يخرجُهُ أدباؤها من بحوثٍ ودراسات ، ومن هذا القبيلِ عنايةٌ أخرى لهُ في التّعقيبِ على بحوثِ الأعضاءِ الّذينَ يُمَثِّلُونَ الأقطار العربيّةَ في المَجْمَع اللغويِّ من عراقيّينَ وشاميّينَ ولبنانيّينَ وغيرهم ، وهيَ عنايةٌ تشفُّ في الغالبِ عن ضَربٍ من التّقديرِ والتّشجيع ، ولهذهِ النّظرةِ معناها في تعزيزِ روحِ الاخاء والوحدةِ الثّقافيّة بينَ أبناْ الأقطارِ

المذكورة ، هذا ولا ننسى كلماتهِ البليغة في تأبينِ أعضاءِ المَجْمَع الرّاحلينَ ، وأحسن ما في هذهِ الكلماتِ براعتهُ في التّعريفِ بخصائصِ زملائهِ المنتمين إلى مَجْمَع اللغةِ العربيَّةِ وإحاطته بجهودِهم ومجالات نشاطهم إحاطةً تامَّة ، كما كتبَ عن عددٍ من أعلامِ العلمِ والأدبِ في مصر أحياءً وأمواتا وترجمَ لهم ، ومنهم الأستاذ أحمد لطفي السيّد - رحمه الله - وذلكَ بمناسبةِ انتخابهِ لرياسةِ المَجْمَع اللغويّ على أنَّهُ قَلَّمَا كتبَ عن أحدٍ فيما نرى كما كتبَ عن الكاتبِ المصريّ الأديب أحمد حافظ عوض مؤلِّف كتاب فتح مصر الحديث و قصة اليتيم ؛ إذ جاءَت كلمةُ العقّاد في تأبينِ هذا الكاتب ، وهوَ عضوٌ عاملٌ في المَجْمَع رائعة حقا أشادَ فيها بملكاتِهِ الأدبيّة على شكلٍ يُشعرنا بأنَّ العقّادَ كانَ متأثرا بهذا الأديبِ مأخوذا بأسلوبه بل كانَ فيما نرى يحتذي مثاله ويترسَّم خطاه في التّرسُّلِ والكتابةِ ، وهذا فيما ارى رأيٌ جديدٌ في بعضِ من احتذاهم العقّاد الكاتب الأديب في منهجهِ وفي أساليبهِ الكتابيّةِ ، ولنا أنْ نقولَ : إنَّ الزّميلَ الفقيدَ - رحمه الله - سايرَ المَجْمَع اللغويّ بعلمهِ الغزير وثقافته الواسعة ، وذلكَ منذ أن اختيرَ عضوا عاملا فيهِ سنة ١٩٤٠ إلى أنْ وافاه الأجلُ المحتوم في هذا العام .

أربع وعشرون سنة خلَت ثابرَ العقّادُ خلالَها على المشاركةِ في دوراتِ المؤتمرِ ، وفي اجتماعاتِ مجلسهِ باستثناءِ السّنتين الأخيرتين فقد لاحظنا تخلّفهُ عن عددٍ من الجلساتِ لحاجتهِ إلى الاستجمامِ في بلدهِ اسوان ، واتّضحَ لنا من ضعفهِ وهزالهِ الظاهرِ تمكُّن العلَّة منهُ ، وقد افتقدناه في آخرِ دورةٍ من دوراتِ المؤتمرِ الّتي شهدناها منذُ عهدٍ قريبٍ وهيَ الدّورة الثّلاثون الّتي عُقِدَتْ في ٢٤ شباط سنة ١٩٦٤ إلى شهرِ مارت ١٩٦٤ ، وقيلَ لنا إنّهُ نُقِلَ إلى

بعضِ مستشفياتِ مصر الجديدة إثرَ إصابتِهِ بمرضٍ عُضالٍ منعَ عوّادهُ من الوصولِ إليهِ ، وبارحتُ القاهرةَ وهوَ في المستشفى ونعاهُ النّاعي – رحمهُ اللهُ – فورَ وصولي إلى بغداد ، كانَ مؤتمرُ المَجْمَعِ اللغويّ يجمعُ بينَنا في كثيرٍ من الجلساتِ ، وكانَ – رحمهُ اللهُ – لطيفاً في مباداتِهِ بالتّرحيبِ ، وقد جَرَتْ عادتُهُ أنْ يُتحفني بأحدث مؤلفاتِهِ مطرّزة بأرق العبارات ، ومن آخر هداياه بحثٌ موجزٌ عن مزايا التّعبيرِ والفنِّ في اللغةِ العربيّةِ عنوانه : اللغة الشّاعرة ، وما ألطفهُ من عنوانٍ ، وما أمتعها من رسالةٍ ، رحمَ اللهُ العقّادَ أميرَ البيان ، والكاتب المبدع ، والمصنّف المجوّد ، والمترسّل البليغ ، وفي هذا القدرِ كفايةٌ والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٤-**الشّيخ محمّد رضا المظفَّر (عضو المَجْمَع)**[٣١] .

كلمة الأستاذ محمد رضا الشّبيبيّ الّتي أُلقيت في حفلةِ أربعين الفقيد الشّيخ محمّد رضا المظفر عضو المَجْمَع العلميّ ، وهيَ الحفلة الّتي أُقيمَت في النجف من قبلِ جمعيّةِ منتدى النّشرِ بتأريخ ٢٧ / ٣ / ١٩٦٤.

حضرات الشّيوخ والسّادة الأجلّاء

قالَ عزَّ من قائل : ((يرفَعُ اللهُ الّذينَ آمنوا منكم والّذينَ أُوتوا العلمَ درجات)) صدقَ اللهُ العظيم .

لا نبالغُ إذا قُلنا إنَّ الفقيدَ تَغَمَّدَهُ اللهُ بالرّحمةِ كانَ مصداقاً لمفهومِ هذهِ الآيةِ الكريمةِ وإنَّ سيرتَهُ الطّاهرة لَتَشهدُ بأنَّهُ مِمَّن أُوتوا تلكَ المنزلة الّتي يقترنُ

---

[٣١] يُنظرُ : مجلّة المجمع العلميّ العراقي ، المجلد الحادي عشر ، ١٩٦٤م ، الصّفحات ٢٨٧-٢٩٠ .

فيها العلمُ الواسعُ بالإيمانِ الرّاسخ ، وهذهِ المنزلةُ هيَ المقصودةُ بالآيةِ الكريمةِ ((ولا يُلقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم)) .

كانَ – رحمهُ اللهُ – ممّن أُوتوا ذلكَ النّصيب الموفور حيث اقترنَ لديهِ العرفانُ بالإيمانِ والعاطفة الرّوحيّة ، ولا يخفى أنَّ المُربّي الصّالحَ والرّاعي الرّفيق هوَ الّذي يجمعُ بينَ هاتين الخصلتين ، وقد عُنِيَ فقيدُنا بشؤونِ التّربيةِ العامّة عنايةً بالغةً مارسَهَا على نهجين :

أحدهما تربية النّشء في المدارسِ والمعاهدِ الّتي أسّسَهَا ورسمَ خططَهَا ومناهجَهَا ، والآخر تعليم الرّاشدين بعدَ تربيةِ النّاشئين ، وذلكَ بالمواظبةِ على تدريسِ علومِ الشّريعةِ الإسلاميّةِ ، حيث كانَ لهُ مجلسُ درسٍ أو بحثٍ يختلفُ إليهِ جماعةٌ من طُلّابِ العلومِ الدّينيّة .

وُلِدَ – رحمهُ اللهُ – بالنّجف ودرسَ في معاهدِهَا ، وفي مقدّمةِ أساتذتهِ شقيقه العلّامة الكبير الرّاحل محمّد حسن المظفّر ، هذا ولم تَفُت فقيدنا – رحمهُ اللهُ – تلكَ المَلَكَة القُدسيّة مَلَكَة الاستنباط ، وردّ الفروع إلى أصولِهَا وذلكَ في مُقتَبلِ عمرهِ حيث حصلَ على أكثر من إجازةٍ علميّةٍ أجازَ لهُ بها جماعةٌ من كبارِ العلماءِ ، وقد انصبَّ بعدَ ذلكَ على التّأليفِ ، وأخرجَ عدّة تصانيف راجَت رواجا حسنًا من أشهرِها كتاب المنطق في ثلاثة أجزاء ، وكتاب أصول الفقه في أربعة أجزاء أنجزَ منها ثلاثة ، هذا وله بحوثٌ نُشِرَت في جملةٍ من الصّحفِ والمجلّاتِ عالجَ فيها عددا من الموضوعاتِ الاجتماعيّةِ والعلميّةِ والدّينيّةِ ، ولهُ محاضراتٌ في مناسباتٍ شَتّى ألقاها في العراقِ وغير العراق من البلدانِ الّتي زارَهَا أو دُعِيَ إلى زيارتِهَا ، منها محاضرةٌ أُلقيَت في مهرجان (كراجي) الّذي أُقيمَ في باكستان بمناسبةِ مرورِ

أربعةَ عشرَ قرنا على ميلادِ الإمامِ علي – عليه السّلام – ، ومحاضرة ألقاها في مهرجان (جامعة القرويّين) بمدينة فاس سنة ١٩٦٠ قارنَ فيها بينَ المناهج المُتبعة في جامعة النّجف، وجامعة القرويّين بمدينة فاس .

وُفِّقَ الفقيدُ في هذهِ المحاضرةِ الّتي استمعَ إليها جمهرةٌ مِمَّن دُعُوا إلى ذلكَ المهرجان ، وكانَ على جانبٍ من عمقِ التّفكيرِ وسداد الرّأي ، حيث قوبلَ بحثُهُ بمزيدٍ من التّقديرِ والاستحسانِ ، وقد استهلّهُ بملاحظاتٍ لطيفةٍ عن القطيعةِ والجفاءِ بينَ كثيرٍ من الأقطارِ الإسلاميّةِ في العصورِ الحديثةِ ، وعن أثرِ الاستعمارِ في هذهِ القطيعة ، ثُمَّ خلصَ من ذلكَ إلى أنَّ جامعةَ النّجف صنو جامعة القرويّين في قِدَمِ عهدِهَا ؛ إذ تأسَّسَت أوّلُ قاعدةٍ لها – أي لجامعة القرويّين – في القرنِ الثّاني للهجرة ، وقد ذهبَ في هذا البحثِ إلى أنَّ جامعةَ النّجف لا تختلفُ عن سائرِ الجامعاتِ الإسلاميّة القديمة في مناهج دراستِهَا للفنونِ العربيّةِ والعلومِ الإسلاميّةِ وذلكَ من حيث كونها دراسة خصوصيّة حُرَّة لا دراسة صفيّة مقيّدة ، كما لاحظَ أنَّ الحريّةَ مطلقة للطّالبِ في اختيارِ المدرِّس والكتاب ، هذا هوَ رأي الشّيخ في المقارنةِ بينَ جامعةِ النّجف وجامعة القرويّين وانّهما صنوان في التّأريخ والمنشأ ووضع المنهج ، والواقع أنَّ جامعة الكوفة ولا يوجدُ فرقٌ بعيدٌ بينَ النّجفِ والكوفة ، ولا تفصلُ بينَهما مسافةٌ يُعتَدُّ بها هيَ أقدم من جامعةِ القرويّين بكثير ، وما منبرُ الكوفة الّذي أُلقِيَت من فوقهِ خطبُ الإمامِ علي – وهيَ خطبٌ طافحةٌ بالعلمِ والفقهِ وأصولِ الدّين وأحكام الشّريعة – وما جامع الكوفة الّذي شَهِدَ أحكامَ الإمام في الاشتراعِ ، كما شَهِدَ أقضيتَهُ في الواقعاتِ المعضلة ، نقول : ما كانَ ذلكَ المنبر إلّا جامعةٌ كُبرَى قَلَّمَا وازتهَا في القِدَمِ جامعةٌ إسلاميَّة .

لولا جامعة المدينة بعدَ الهجرةِ الشّريفةِ إليها ، ولولا جامعة الكوفة وأختها جامعة (البصرة) لَمَا نشأت الجامعاتُ الإسلاميَّةُ الّتي عَوَّلَتْ عليها ورجعت إليها بعدَ ذلكَ ، ومنها جامعة القرويّين وجامعة القيروان وجامعة الزّيتونة وجامعة الأزهر وجامعة بغداد حتّى جامعة قرطبة ، فعلى جامعة الكوفة والبصرة عَوَّلَتْ الجامعاتُ الإسلاميَّةُ في مآخذِهَا من علوم الإسلامِ وفنونِ العربيَّةِ نحوها وصرفها ولغتها ، ولا حاجةَ بنا للتّنويهِ بمذهبِ الكوفيّينَ وائمتهِ وأعلامهِ في هذهِ العجالةِ ، ولنا أنْ نقولَ : إنَّ جامعةَ الكوفة هي الأصل وباقي الجامعات فروع .

يقولُ الشّيخُ – رحمهُ اللهُ – في بحثهِ هذا الّذي ألقاهُ في مهرجانِ القرويّين : ((لقد تَقَدَّمْتُ بنماذجَ من الكتبِ الّتي تُدَرَّسُ وتُقرأُ في جامعةِ النّجف أضعُها بينَ يَدَي السّادةِ العلماء في جامعةِ القرويّين ؛ ليطّلعوا عليها ولتعكس لديهم المراحل التّطوّريَّة لدراسةِ العلوم الشّرعيَّة)) ، ويقولُ أيضا : ((وسأحملُ معي بعضَ الكتب الّتي تُدَرَّسُ في جامعة القرويّين لأضعها بين أيدي العلماءِ من المُشرفينَ على جامعةِ النّجف كوسيلةٍ من أهمّ وسائلِ التّعاونِ بينَ الجامعتين ، وأرجو أنْ نجدَ في هذهِ الأنواع من الكتبِ مجالا للالتقاءِ تقتضيه وجهاتُ التّشابه بينهما ووحدة الهدف في نشرِ الثّقافةِ الإسلاميَّةِ في أوسع مجالاتها)) ، وقد خَتَمَ هذا البحث بقولِهِ : ((وحسبنا أنْ نُسَجِّلَ لجامعةِ القرويّين وأخواتها من الجامعاتِ الإسلاميَّة فضلها في الحفاظِ على لغةِ القرآنِ الكريم وآدابهِ وعلومهِ وذلكَ بعدَ أنْ اجتازَت البلادُ الإسلاميَّةُ مراحلَ خطيرة مُظلمة كادَت تقضي على الإسلامِ واللغةِ العربيَّةِ)) ، هذا بعضُ ما قَالَهُ في رحلتِهِ إلى المغربِ ننقلُهُ عن كلمتِهِ الّتي ألقاهَا في مهرجان

فاس ، ومعنى هذا أنَّ رحلتَهُ لم تكن رحلةً عاديّةً بسيطةً ، وإنَّما كانَتْ رحلةً مصمَّمةً رسمَ أهدافَهَا وغاياتها قبلَ القيامِ بها بِمُدَّة.

هذا وهناكَ ناحيةٌ أُخرى من سيرتِهِ – رحمهُ اللهُ – لها خطورتُها من حيث النّشاط الاجتماعيّ العمليّ فكانت لهُ بالإضافةِ إلى ما تَقَدَّمَ ، تلكَ اللفتةُ البارعةُ إلى ناحيةِ الإصلاحِ الاجتماعيّ ، وضرورة تعديل مناهج الدّراسة في النّجف على أساسِ تنقيحها وتلقيحها بضروبٍ من المعارف والفنونِ الحديثةِ ؛ إذ كانَ ينظرُ إلى مناهج الدّراسةِ في المدارسِ القديمةِ نظرة فحص وانتقاد فهوَ يرى أنَّ مرحلةَ الدّراسة الابتدائيّة والثّانويّة وما بعدَهما مضنية شاقَّة يُضَيّعُ فيها كثيرٌ من الطُلّاب أعمارَهُم ، وقد يتوقّفون فيها عن السَّيرِ ولا يلحقونَ بالطّليعةِ المُجِدَّةِ فخلص من ذلكَ إلى ضرورةِ فتح مدارس حديثة مُنَظَّمَة هيَ مدارس منتدى النّشرِ وذلكَ وفقَ مناهج يتلافى فيها كثير من النّواقص الّتي يَتَشكَّى منها ، ولا يعلمُ إلّا اللهُ مبلغَ العناءِ والجهدِ الّذي يَتَطَلَّبُهُ فتح مثل هذه المدارس والمعاهد في مثلِ الظّروفِ الّتي يجتازُهَا محيطُ النّجف خاصّة والبلاد الإسلاميّة عامّة في ذلكَ الحين .

هكذا تَيَسَّرَ لجمعيَّةِ منتدى النّشرِ أنْ تنشأَ كُليَّةً للفقهِ لِتُخَرِّجَ طلّابا لهم الاستعداد الكافي لحضورِ حلقاتِ دروسٍ يُلقيها كبارُ الأساتذةِ بالإضافةِ إلى القيامِ بواجبِ الدّعوةِ إلى مزايا الدِّينِ الإسلاميّ وتبليغ مبادئهِ مِنْ على منابرِهِم أو بواسطةِ استخدام أقلامهم في البحثِ والكتابةِ .

انتُخِبَ الفقيدُ عضوا عاملا في المَجْمَع العلميّ العراقيّ وذلكَ في شهرِ آب من سنةِ ١٩٦٣ ، وكانَ يواظبُ على شُهُودِ جلساتِ المَجْمَع على ما كانَ يعانيهِ من المرضِ العضالِ الّذي توفّيَ فيه .

هذا ولا يخامرُ أدنَى شكٍّ بأنَّ هذهِ الجهودَ المُضنيةَ المُثمرةَ كانَتْ من جُملَةِ العوامل الّتي أنهَكَتْ قواه ، وأثَّرَتْ في صحّتِهِ العامّة ، والّذي نعلمهُ أنّهُ كانَ لديهِ مخطّطٌ آخر لإنجاز غير تلكَ الأعمال الاجتماعيَّة والعلميّة ولكنَّ المنيةَ عاجلَتهُ ، ولا حيلةَ لنا في قضاءِ اللهِ تعالَى وقدرهِ ، وبذلكَ فقدنا رجلا فَذًّا من أفذاذِ الرّجالِ في علمهِ وعملهِ وإخلاصهِ ونشاطهِ ، تَغَمّدَهُ اللهُ برحمتِهِ ، وألحَقَهُ بالشّهداءِ والصّدّيقينَ وَحَسُن أولئكَ رفيقا .

كلماتُ التأبينِ في الشّبيبيّ :

صدر المجلّد الثّالث عشر من مجلّةِ المَجْمَع العلميّ العراقيّ سنة ١٩٦٦م لتضمّ افتتاحيته كلمةً عن وفاة الشّيخ الشّبيبيّ – رحمه الله– ، وممّا جاء فيها :

((لقد افتقدَ مَجْمَعنا في السّادس والعشرينَ من تشرين الثّاني ١٩٦٥ عضوَهُ العامل ورئيسَهُ الجليل العلّامة الثّائر ، الشّاعر المؤرّخ الشّيخ محمّد رضا الشّبيبيّ بعدَ عمرٍ عامرٍ بجليلِ الخدمات كتَبَ فيهِ ، ونظمَ وعَقَّبَ وحرَّرَ ما يؤلّف سِفْرا خالدا بينَ الأسفارِ والصّحائف الخالدات ، وما يضعهُ في مكانِ الخالدينَ من رجالِ العلمِ واللغة ، والمَجْمَع العلميّ العراقيّ إذ يودّعهُ ، ويطوي صحيفةً كريمةً من صفحاتِ أعضائِهِ لَيَستشعر بالغَ الحزنِ وفادح الأسَى أنْ انطَوَى عَلَمٌ من أعلامِ العراقِ ، وسكتَ لسانٌ من ألسنةِ الأدبِ ، وانطفأ مصباحٌ من مصابيحِ الفِكْرِ))[٣٢] .

---

[٣٢] يُنظرُ : مجلّة المجمع العلميّ العراقي ، المجلد الثّالث عشر ،(١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م) ، الصفحة ٥ .

وقد نعاهُ المَجْمَع العلميّ العراقيّ بكلمةٍ جاءَ فيها[٣٣] :

ننعى بمزيد الأسى والأسف الأستاذ الجليل الشيخ محمد رضا الشبيبي عضــو المَجْمَــع العلمــي العراقــي ورئيســه الســابق – تغمــده الله برحمتــه ورضوانه –

كـانَ رحمـهُ اللهُ مـن قـادةِ الحيـاةِ الفكريَّـةِ والأدبيَّـة ، وكـانَ مُضـافاً إلـى صفاتِهِ ذا خُلُقٍ عالٍ واسع الصّدر لطيف العِشرةِ ، ولِدَ في مدينةِ النّجفِ عام ١٣٠٦ للهجرةِ ، وتَعَلّم فيها علومَ اللغةِ العربيّةِ من نَحْوٍ وصَرفٍ وبلاغةٍ على كبارِ الأساتذةِ ومشايخِ العلومِ فيها ، وهوَ من أوائلِ الّذينَ طرقوا الموضوعات الاجتماعيَّةَ في شعرهِ ، وقد كانت المجلّاتُ والجرائدُ العربيّةُ تنشرُ لهُ قصائدَهُ الغرّ في مختلفِ بقاعِ الدّنيا العربيّة .، وديوانُ شعرهِ زاخرٌ بالحكمةِ والفلسفةِ ، وقـد ارتفـعَ بشـعرهِ إلـى مسـتوى خلقـيٍّ عـالٍ . ولـهُ – رحمـه الله – دراسـاتٌ وبحـوثٌ فـي التّأريخِ والأدبِ والسّياسةِ ، وهـوَ عضـوٌ فـي المَجْمَـع اللغويّ فـي القـاهرةِ منـذ خمـسَ عشـرةَ سـنة وقـد نُشـرت كلماتـهُ وآراؤهُ فـي محاضـر الدّورات،وكان من أوائلِ المُطالبينَ بإنشاءِ حكومةٍ دستوريّةٍ يرأسُها ملكٌ عربيٌّ في العراقِ تعبيراً عن رغباتِ أحرارِ العراق ، وقد نُدِبَ عن العراقِ للذّهابِ إلى الحكومةِ العربيّةِ في مكّة لهذا الغرضِ .

تَقَلّـدَ الشّـبيبيُّ وزارةَ المعـارف خمـسَ مـرّاتٍ أُولاهـا فـي سـنة ١٩٢٤ ، واختيرَ سنة ١٩٢٥ عضواً في مجلسِ الأعيان ، ثُمّ انتُخِبَ رئيساً لـهُ سنة ١٩٣٧ ، وعضواً في مجلسِ النّوّابِ غير مرّةٍ ، ورئيساً للمجلسِ النّيابيّ سنة ١٩٤٣ و ١٩٤٤ .

---

[٣٣] يُنظـرُ : مجلّـة المجمـع العلمـيّ العراقـي ، المجلـد الثّالـث عشـر ، (١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م) ، الصّفحات ٣٨٩ – ٣٩٠.

هذا ، وَمَنْ ينعم النّظرَ في سيرتِهِ الرّسميَّةِ أو سيرتِهِ السّياسيَّة منذُ نشأت الدّولةُ العراقيَّةُ سنة ١٩٢١ إلى يومِ وفاتِهِ تبدو لهُ ظاهرة النّشاط والحيويَّة في المشاركةِ في أكثر الفتراتِ السّياسيَّة وجملة الأعمال الأدبيَّة ، كانَ عضوا في نادي القلم العراقيّ ورئيسا له نحوا من عشرينَ سنة ؛ ومُنِحَ درجة الدّكتوراه الفخريَّة من جامعة القاهرة ، وانتُخِبَ عضوا في المَجْمَع العلميّ العربيّ سنة ١٩٢٣، وعضوا في مَجْمَع اللغةِ العربيّةِ في القاهرة ، ورئيسا للمَجْمَع العلميّ العراقيّ منذ تطبيقِ قانونِهِ الأخير .

رحمَ اللهُ الشّبيبيّ فقد كانَ جَمَّ النّشاط ، واسعَ الصّدر ، كريمَ الخلق ، طويلَ الأناة .

جلسة تأبين[٣٤] :

عقد مجلسُ المَجْمَع العلمي العراقيّ مساءَ يوم الاثنين ٦/ ١٢/ ١٩٦٥جلسةً لتأبين الشيخ الشبيبيّ ، وقد طلبَ نائبُ الرّئيس الأستاذ الدّكتور سليم النّعيميّ وقفَ الجلسة دقيقتين حدادا على الفقيد ، وأبّنَهُ بإعلانِ أساه وأسَى السّادة أعضاء المَجْمَع لفقدِ عَلَمٍ من أعلام الفكرِ والأدبِ أثَّرَ في النّهضةِ الأدبيّةِ والعلميَّةِ آثارا ستذكرُها لهُ الأجيالُ ويُخَلّدُهَا التّأريخ ، نسألُ اللهَ أنْ يُلهِمَنَا الصّبْرَ والعزاء .

وقد أبّنَهُ أيضا الدّكتور عبد الرّزّاق محيي الدّين ، فقال :

إنَّ مصابَ المَجْمَع العلميّ العراقيّ لَجَلَلٌ ، وإنَّ فقدَ أستاذِنا الشّبيبيّ لَخَسَارةٌ ليسَ لهذا المَجْمَع فحسب ، وإنّما هي خسارةٌ للمجامعِ اللغويَّة في

---

[٣٤] يُنظرُ : مجلّة المجمع العلميّ العراقي المجلد الثّالث عشر ،(١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م) ، الصّفحات ٣٩٠- ٣٩٢.

الأقطارِ العربيَّةِ جميعا ، وأستأذنكم أيُّها السّادة الأفاضل أنْ أتَحَدَّثَ عن انطباعاتي عن شيخِنا الشّبيبيّ خارجَ هذا المَجْمَع ، وعن معرفتي لهُ معرفة بنوة وتلمذة وزمالة .

لعلَّ أوَّلَ شِعْرٍ أرهَفَتْ أُذُني إلى سماعِهِ كانَ شعر الشّيخ الشّبيبيّ ، وأوَّل أديب انفتحت عيني على أدبِهِ كانَ شخص الشّيخ الشّبيبيّ، وقد لازمتُهُ منذُ مطلع حياتي حتّى الأسابيع الأخيرة من حياتِهِ الطويلة ، فما ازددتُ قربا منهُ إلّا ازددتُ إكبارا لشخصهِ وإعجابا بسيرتِهِ ، وقد كانَ المثلَ الأعلى والصّورة المشرقة لي ، كلّما وصلتُ بينَ أديبٍ وسيرتِهِ ، وبينَ نهجِهِ في الحياةِ وآثارهِ ولا أتحاشى أبدا أزعم أنّني لا أعرفُ في القديمِ ولا في الحديثِ أديبا كان أدبُهُ صورةً من مسلكِهِ ، ومسلكه صورة من أدبِهِ كالشّبيبيّ ، السّلوك الرّفيع ، والخلقُ العالي الحكيم ، وعفّة اللسان ، واليد الجارحة نراها متمثّلةً أصدق التّمثيل في فكرتِهِ المُصطفاة وعبارته المُنتقاة وكلمته العفّة ، إنّني مدينٌ للفقيدِ بأكثر ما أعتزُّ بهِ إنسانا وأديبا وصاحب مسلك في الحياةِ تَغَمَّدَهُ اللهُ برحمتِهِ ، وأجزلَ لهُ قدر ما أجزلَ للأدبِ وأهلِهِ .

ثُمَّ قالَ السّيّد محمّد تقي الحكيم مُؤَبِّنا :

إنَّ خسارتَنا في الشّيخِ الشّبيبيّ أعظم من أن أستطيعَ ذكرها ، واستيفاء الحديث فيها ؛ نظرا لعظمِ شخصيَّةِ الفقيد الّذي أعتبرهُ أستاذا لي ، بل أستاذ الجيل بالجملةِ ، وإذا كانَ لا بُدَّ من أُضيفَ إلى ما ذكرهُ الاخوان الّذينَ سبقوني في التّأبينِ فالّذي أُحبُّ أنْ أؤكِّدَ على ذكرهِ من عناصر شخصيّتِهِ هو خلقهُ الّذي يُمثِّلُ منه مدرسةً قَلَّ نظيرُها ، وقد أفَدْتُ من خُلُقِهِ وسلوكِهِ ما لم

أفدهُ من أيِّ أستاذٍ آخر ، وفي إدارتهِ لجلساتِ المَجْمَع الّذي شاهدهُ الاخوان خير مثلٍ على ذلكَ ، رحمَ اللهُ الفقيدَ الكبيرُ ، وإلى روحهِ الفاتحة .

وتحدَّثَ الدّكتور عبد العزيز الدّوريّ :

عن كريمِ خُلُقِهِ ، وحميدِ سيرتِهِ ، وأشادَ بسيرتِهِ الجميلة ، وتذَكَّرَ أولَ اتصالٍ مباشرٍ بالفقيدِ بعدَ عودتِهِ من الدراسةِ حينَ دُعِيَ للحديثِ في ذكرى أبي العلاءِ في دارِ الفقيدِ ، وما لاحظهُ لديهِ من طيبٍ ونادرةٍ ورغبةٍ في التّشجيعِ ، وجوٍّ علميٍّ رائق ، وَبَيَّنَ أنَّ الفقيدَ الغالي كانَ مدرسةً مفتوحةً للأدبِ والفكرِ ، وتحدَّثَ عن النّاحيةِ التّأريخيَّةِ في نشاطِهِ الفكريّ ، وإنّ آثارهُ في التأريخ تنطوي على استقصاء وتمحيص ، وإنَّ كتابتَهُ وبحوثَهُ التّأريخيَّةَ تعطي مثلا حسنا في اسلوبِهَا واستيفائِها للمصادر ، وفيما تتضمَّنهُ من تحليلٍ وآراء ، وخير ما يتركهُ المرء أثر يُنتفعُ بهِ ، وأثر يُسار على هديه ، وحديث طيّب ، كما قالَ الشّاعرُ :

وإنَّمَا المَرءُ حديثٌ بعده   فَكُن حديثا حسنا لِمَنْ وَعَى

وسيرةُ الأستاذ الشّبيبيّ حديثٌ بعده .

وقالَ الدّكتور يوسف عزّ الدّين :

رحمَ اللهُ أبا سعد : كانَ عَلَمًا من أعلامِ الأدبِ ، ومدرسةً من مدارسِ الشّعرِ ، عاشَ عليها جيلٌ كانَ يَتَرَنَّمُ بحلاوةِ شعرهِ ، ويستفيد من جزالةِ لفظهِ ، ويستنير بسموِّ معانيه .

لئن ذهبَ أبو أسعد لقد تركَ وراءهُ ذكرا خالدا باقيا بقاءَ الأدب العربيّ ، وخلود المعاني السّامية ، رحمَ اللهُ أبا سعد ، فقد كانَ عفيفَ اللّفظِ ، سامي العبارة ، ما وجدنا في ديوانِهِ إلاّ السّموَ والعفّةَ ، وقد درستُهُ دراسةَ طالبِ

أدبٍ ، وحاضرتُ عنهُ ، وما كنتُ أتورَّعُ عن تلاوةِ شعرِهِ أو أخجل من إنشادِ قصيدِهِ في كلِّ نادٍ .

وقد امتازَ – رحمهُ اللهُ – بالخُلُقِ العالي ، والمجاملةِ الرّقيقة حتّى على حسابِ صحَّتِهِ ، فما سمعتهُ آذى إنسانا بعبارةٍ أو نالَ شخصا بسوءٍ ، إنَّما كانَ يُشَجِّعُ الأدباءَ ، ويدفعهم نحوَ الإجادةِ والإحسان ، وقد امتازَ – رحمهُ اللهُ – بسعةِ الصّدرِ ، فهوَ يجولُ ويصولُ ولكن برِقَّةٍ ، وَقَلَّمَا يمكنُ أنْ يزحزحَ عن رأيٍ رآه ، أو فكرة اعتقدَهَا ، فهوَ يحاولُ باللفظِ الجميل ، والعبارة الآسرة أنْ يأخذَ محاجّه معه إلى رأيِهِ ويستميله إلى جانبِهِ ، وخلالَ اتّصالي به في المَجْمَع ومعرفتي الطّويلة بهِ تَعَلَّمْتُ منهُ أشياءَ ما تَعَلَّمْتُها من سواه ، وأرجو اللهَ أنْ يوفّقني لتخليدِهِ في دراستي له الّتي كتبتُهَا ، وحقّ الشّاعر الجليل أنْ يُخَلَّدَ ، والسّلامُ عليكم وإلى روحه الفاتحة .

التّوصيات :

يَتَضَمّنُ البحثُ العلميُّ منهجيَّةً متكاملةً قائمةً على استقراءِ قضيّةٍ علميَّةٍ محدَّدةِ الجوانب ، أو الحديث عن جهود شخصيّةٍ مرموقةٍ قدَّمت خدماتٍ جليلةٍ في مجالٍ مُعَيَّن فأبدعت في ذلك المجال وصولا إلى نتائجَ يُفضي إليها البحثُ تُجملُ أبرزَ ما ناقشَهُ ، وما خَرَجَ إليهِ من رؤيةٍ مُعمَّقةٍ مُرَكَّزةٍ تُسَلِّطُ الضّوءَ على ثمارِ تلكَ القضيّةِ العلميّةِ أو تلكَ الشّخصية مدارَ البحثِ ، مع الالتفاتِ إلى ما اعتَرَى البحثَ من نواقصَ وَهِنَاتٍ ، ولا بُدَّ أنْ تكونَ وقفةً جادَّةً من المعنيّينَ بالبحثِ العلميّ الرّصين معَ هذهِ الالتفاتات الّتي خَرَجَ بها البحثُ سواءٌ أكانت إيجابيّةً أم سلبيَّةً – إنْ صَحَّ التَّعبيرُ – والإفادة من إيجابيّاتِ البحثِ ، ومعالجة السّلبيّات المدوّنة فيه ، وهذا لا يُؤخذُ بهِ ،

ولا يُنظَرَ إليهِ من دونِ أنْ تكونَ هناكَ توصياتٌ يَتضَمَّنُها البحثُ تُقدَّمُ إلى أصحابِ الاختصاصِ والعلاقة .

وانطلاقـا مـن هـذهِ الرّؤيـةِ يَتَقـدَّمُ الباحـثُ – بعـدَ أنْ أكمـلَ بحثَـهُ – بتوصياتٍ يضعُها أمامَ المعنيّينَ لَعَلَّها تجدُ طريقَها إلى التّنفيذِ خدمةً للبحثِ العلمـيّ الرّصـين ، وتعزيـزًا لـدورِ هـذهِ اللغـةِ العريقـةِ ، وإعـلاءً لمكانتِهـا بـين اللغات .

أوّلًا : يوصـي البحـثُ بجمـع التـراثِ المَجْمَعـيّ للشـيخ محمـد رضـا الشبيبيّ أثناء عضويته في المَجْمَع العلميّ العراقيّ وتوليه رئاسة المَجْمَع مرّتين ؛ إذ إنَّ الشيخ – يرحمه الله – كانَ لهُ نشاطٌ بحثيٌّ متميّز دُوِّن على صفحاتِ مجلة المَجْمَع العلمي العراقيّ وفي كتبٍ أخرى ، فضلًا عن وجود مقالاتٍ كثيرة وكلماتٍ له في مناسباتٍ مختلفةٍ ، ولا شكَّ أنَّ جمعَ كلّ ذلكَ في كتابٍ مستقلٍّ يُسَهِّلُ على الباحثينَ النظر في ذلك التّراث مجتمعا بدلا من بذل الجهد والوقت في البحثِ عنهِ سواءٌ أكانَ ذلكَ في مجلةِ المَجْمَع أم في كتبٍ أخرى لها علاقةٌ بالمَجْمَع .

ثانيـا : الشّيخ الشـبيبيّ – رحمـهُ اللهُ – مَجْمَعـيٌّ عربـيٌّ قبـلَ أن يكـون مَجْمَعيًّا عراقيًّا فهو عضوٌ في مَجْمَع دمشق وعضو في مَجْمَع القاهرة قبل أن يكون عضـوا فـي مَجْمَـع بغداد ومن ثَمَّ رئيسـا لـه ؛ لذا نقتـرحُ علـى رئاسـةِ المَجْمَع العلمـيّ العراقـيّ أن تخاطبَ مَجْمَعَ اللغة العربية في القاهرة لغرضِ تخصيصِ محور من محاور مؤتمرهِ الّذي يقيمه سنويا للحديث عن هذهِ الشخصيّة وإبراز مكانتها وجهودها اللغويّة في المجامع الثلاثة .

أثر الشيخ محمّد رضا الشبيبيّ في مجمع اللغة المصريّ

الدكتور أنور شنّاوي ذياب
كلية الحقوق- جامعة النهرين

الملخص :

الشيخ محمد رضا الشبيبي علم من أعلام العراق والأمة العربية ، نشأ في بيئة ثقافية هي بيئة النجف الأشرف وتلقى فيها علومه حتى إذا ما اشتد عوده ووقف على واقع العراق والعرب اتجه الى العمل الوطني وكان له دور بارز في سياسة الحكم في العراق فاستوزر وترأس مجلس النواب ومجلس الاعيان . ولم تشغله السياسة وانما اهتم بالعلم والثقافة وترأس المجمع العلمي العراقي مرتين سنة ١٩٤٨م وسنة ١٩٦٣م واختير عضوا في مجمع دمشق سنة ١٩٢٣م ، ومجمع القاهرة سنة ١٩٤٨م .

وهذا البحث يلقي ضوءً على جهوده في مجمع القاهرة الذي ظل عضوا فيه حتى وفاته سنة ١٩٦٥م .

المقدمة :

يّعد الشيخ محمد رضا الشبيبيّ من أبرز علماء العراق في القرن العشرين ، إذ لم ينفرد بعلمٍ واحدٍ ، بل انماز بتعدد علومه ، وتنوع مصادر معرفته ، دينيا ، وعلميا ، واجتماعيا ، وكانت لتربيته ونشوئه في بيئة دينية علمية محافظة ، الأثر البالغ في صقل موهبته ، وتنمية قدراته ، فحمل العلم

توسل بالشعر ليكون سيفا قاطعا يلهب به حماسة الشعب ، ضد الظلم والاضطهاد .

ونحن إذ نسطِّر كلماتنا هذه ، وقفنا عاجزين عن جمع وإبراز جهود الشيخ الشبيبيّ كلّها ، إذ يحتاج إلى جهد كبير تنهض به مؤسسة ، ويتوفَّر عليها كوكبة من العلماء ، ليظهروا للقارئ ، الجوانب العلمية والثقافية والاجتماعية للشيخ ، ومن هذا المنطلق اخترنا عنوان بحثنا ، ليركز على جانبٍ مضيءٍ من إسهامات شيخنا ، واخترنا أن يكون محطّ رحالنا مجمع اللغة العربية القاهريّ ، ولأسباب عدة :

أولا : بيان جهد الشيخ خارج بلده .

ثانيا : الكشف عن البعد الوحدويّ التي كان يتبنَّاه ، ويدعو له .

ثالثا : التحاقه بالمجمع المصريّ لنحو عقدين من الزمان ، وهي مدة حافلة بالأعمال ، تستحق الدراسة بشكل منفصل .

رابعا : لم يكتب أحد الباحثين عن جهوده في مجمع القاهرة مفصلا .

خامسا : الإسهام بإحياء جهود الشبيبيّ التي قد تُنسب لغيره ، والدعوة إلى الإشارة إليه في كلّ آرائه ومقترحاته .

سادسا : إبراز مكانة الشبيبيّ بين علماء عصره ، فنجده يعارض ويوافق كبار العلماء ، ومن هم مراجع في اختصاصهم ، فهو لا يقلّ أهمية عنهم .

سابعا : كتابتي في أُطروحة الدكتوراه عن المجامع العلميَّة ، ولاحظتُ الظلمَ الكبيرَ ، والحيفَ العسيرَ الواقع على أعضاء المجامع العلمية ، من سرقةٍ لآرائهم ، واتهاماتٍ وتشكيك بإنجازاتهم .

وبحسب مادة البحث التي عانينا ما عانينا في جمعها ، لأنها موزعة على اكثر من مكان ، فمنها ما نُشَر بأجزاء مجمع اللغة العربية المصري ، ومنها ما نُشِر في محاضر الدورات وبحوثها ، فاحتيج إلى جمعها جهد كبير ، يكون هيِّنا في ساحة الاحترام والإجلال لشيخنا الراحل ، لما قدمه لأمته ، ولا ادعي جمعها كلّها فربما ندّ عنّا اقتراحٌ هنا أو مداخلةٌ هناك ، فاحتوت خطة البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة ومسردٍ للمراجع والمصادر التي استعملتُها في البحث ، وعلى النحو الآتي :

مقدمة : بيان سبب اختيار الموضوع وخطة البحث

المبحث الأول: الشبيبيّ مجمعيًا ، ويتضمن المطالب الآتية :

الأول : سيرته كما عرفه المجمع

الثاني : بحوثه ومحاضراته ومقترحاته في المجمع

الثالث : ازدياد علمه بالمصاحبة

الرابع : الشبيبيّ شاعرا كما عرفه المجمع

المبحث الثاني : تحليل لمضمون بحوثه ومحاضراته بالمجمع ، وقُسِّم بحسب طبيعة بحوثه ومحاضراته ، على أربعة مطالب ، وعلى النحو الآتي :

الأول : البحوث اللغوية

الثاني : البحوث اللغوية التاريخية

الثالث : البحوث التاريخية

الرابع : التحقيق

الخاتمة

نال الشيخ العلامة محمد رضا الشبيبيّ اهتماما كبيرا لدى مجامع اللغة العربية ، فهو اسم مهم من أسماء الخالدين الذين وقفوا في وجه التحديات الكبرى التي عانتها اللغة في مدة زمنية مملوءة بالتحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، إذ ولد الشيخ في النجف الأشرف عام١٩٨٨ ، وختم القرآن على سيدة صالحة مقرئة هي السيدة مريم البراقية ، وتعلّم الخط على الشيخ هادي حصيّر ، أما علوم اللغة فقد قرأها على أكثر من شيخ واحد في طليعتهم الشيخ محمد حسن المظفر(١).

المطلب الأول

سيرته كما عرفه المجمع

السيد الشبيبيّ ربيب بيت من بيوت الأدب واللغة ، وشيخ من شيوخ العراق الأجلاء ورائد من رواد الفكر المعاصر ، وعلم من أعلام النهوض والإصلاح . دخل مجمع اللغة العربية من أكثر من باب واحد ، فهو شاعر

---

(١) المجمعيون في العراق : ٧ ، ياسين الأعظمي ، وفيه أن الشيخ انتخب عضوا بمجمع القاهرة سنة ١٩٤٧ ، والصواب سنة ١٩٤٨ كما سنبيّنه من المصادر المصرية .

وأديب ، ومحقق ومؤرخ ، وشاءت الأقدار أن يشغل المكان الذي خلا بوفاة لغويّ العراق الأسبق الأب أنستانس ماري الكرمليّ ، فكان خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ ، دخله عام ١٩٤٨م ؛ وارتبط به بأوثق رباط ، فلم يتخلف قطّ عن مؤتمر من مؤتمراته ، ولم يتوان عن دعوة من دعواته ، أختير لبعض لجانه ، ورأس عددا من جلساته ؛ ساهم مساهمة جادة في بحوثه ودراساته ، واشترك في مناقشاته وتعليقاته ، أحبَّ المجمعَ وأحبَّه المجمعيون جميعا على السواء[٢].

ويتحدث الدكتور إبراهيم مدكور – الرأس مجمع مصر سنوات – عن علاقته به الشخصية ناقلا لنا بعضا ممّا لمسه وعايشه مع فقيدنا الشيخ ، فيقول : ((وهنا عرفته ، فعرفتُ فيه الوقار الجم ، والسماحة العذبة ، ونعمت بأُنسه ومجلسه ، وفهمتُ من نظرته الخاطفة ، وبسمته الناطقة ، أحدث من خبرته وتجربته ، وكنّا جميعاً في القاهرة نرتقب مؤتمر المجمع السنوي للّقاء ، فنجدد العهد ، ونواصل الدرس)) [٣].

وقد ذكر الدكتور مدكور ثلاث فقراتٍ تضمَّنت مدحا وافرا لا يكاد يتلقاه متلقٍ ، وسأكتفي بذكر نبذة مختصرة عنها :

---

(٢) من كلمة الأستاذ أحمد حسن الزيات في رثائه ، محاضر دورة المجمع ٣٢ : ١٨٣ ، ويُنظر مع الخالدين ، الدكتور إبراهيم مدكور : ١٢٨ ، ومجمع اللغة العربية في خمسين عاما ، الدكتور شوقي ضيف ٣٤-٣٥.

(٣) مع الخالدين : ١٢٨.

١- الشبيبيّ الشيخ : عرفتُه شيخا كلُّه حماسٌ وقوةٌ ، وشبابٌ وفتوةٌ ، يسبق الركبَ ، ويصعد الجبل ، وتتوق نفسُه دائما إلى اكتشاف الجديد [٤].

٢- الشبيبيّ الزميل : عرفتُه زميلا يضطلع بالواجب ، يؤدي الأمانة ، يعدّ العدة ، ويتأهب لكلّ جلسة ، فيقرأ ويبحث ، ويحقق ويراجع ، ثم يصغي لما يقال ، فيؤيد ما يؤيد عن بيِّنة ، ويرفض ما يرفض عن اقتناع لا يصدر إلّا عن رويَّة ، ولا يعرض لما لا يعرف ، وله في محاضر المجمع ملاحظات قيمة ، وتوجيهات ناقصة ، وقلّ أن تخلو جلسة من استدراكٍ له أو تعليق. [٥].

٣- الشبيبيّ الباحث : عرفتُ الشبيبيّ الباحث ، فعرفتُ فيه طول النفس وحب الاستقصاء ، وكم يعزُّ عليّ أن أشير عليه أحيانا بشيء من الاختصار والتركيز ، كان يميل دائما إلى الاستيعاب فيلم بجميع أطراف الموضوع الذي يعالجه ، ويأتي على وقائعه ، وله ولوع بسرد النصوص والنقل عن القدامى والسابقين ، يستهويه ذكر الوقائع والأحداث ، ويعوّل على التاريخ كلَّ التعويل ، ويحرص في هذا كله على وضوح المعنى ، وسهولة الأسلوب ، يكتب كما يتكلم في غير ما تأنقٍ ولا تكلفٍ[٦].

وهذا هو الدكتور محمد مهدي علّام يؤلف كتابا حول أعضاء المجمع حمل عنوان (المجمعيون في ثلاثين عاما) ، ووصف هؤلاء في مقدمته

---

[٤] مع . . . : ١٢٨.

[٥] م.ن : ١٢٨ .

[٦] م.ن : ١٢٩، وينظر نماذج مختارة لبيان سهولة أسلوبه كلمة الزيات في رثائه : ١٨٨ -١٨٩.

ب (المئة الكرام) ، وكان لشيخنا الشبيبيّ النصيب الوافر من المدح والثناء والتقريض ، إذ قال عنه الدكتور علّام ((كان علما من أعلام العراق ، وباحثا في اللغة والأدب والتاريخ والفلسفة وناشرا للآثار العربية ، وهو ينتمي إلى أسرة عُنيت بالدراسات الأدبية وكان والده شاعر العراق في عصره)) [٧].

وبيَّن تلقفه من مناهل العلم في طفولته قائلا : تلقى العلم بمدارس العراق فدرس العلوم الإسلامية وآداب اللغة العربية ، وانتُخِب رئيسا للمجمع العلمي العراقي مرتين ، وكان عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومنحته جامعة القاهرة درجة الدكتوراه الفخريَّة ، وفي سنة ١٩٤٨م انتُخِب عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأب أنستانس ماري الكرملي[٨].

وقد أوضح نشاطه السياسي بقوله : وكان له نشاط قومي ملحوظ إبَّان الحرب العالمية الأولى ، وقد اتصل بزعماء الثورة العربية يومئذٍ في الحجاز والشام ، وقد تقلَّد مناصب عدة فأُسندت إليه وزارة المعارف في العراق خمس مرات ، وانتُخِب رئيسا لمجلس النواب في بغداد مرتين ، كما انتُخِب رئيسا لمجلس الشيوخ[٩].

وقد أصدر مجمع اللغة العربية المصريّ كتابا ضخما عام ٢٠١٦م حمل عنوان (من أعلام الثقافة العربية ، معجم تراجم) ، ترجم فيه المجمع لأشهر أعلام الثقافة العربية قديما وحديثا ، مرتبا إيَّاهم على حروف المعجم ، وقد

---

(٧) المجمعيون : ١٧٥ .

(٨) المجمعيون : ١٧٥.

(٩) م.ن : ١٧٥، وينظر كلمة الزيات في رثائه :١٨١-١٨٥.

ضَمَّن اسم شيخنا الشبيبيّ ؛ مستلّين من ترجمة الدكتور محمد مهدي علام ما ترجمه له .[10]

هذه خلاصة التعريف بعالمنا العراقيّ في المجمع المصريّ ، ولاحظنا تلكم الكلمات التي تُعَبِّر هي نفسها خيرَ تعبيرٍ ، عمَّا حظي به الشبيبيّ من مكانةٍ واهتمامٍ كبيرَين في نفوس زملائه ومعاصريه من المصريين .

المطلب الثاني

بحوثه ومحاضراته ومقترحاته في المجمع

من يطالع ويتابع حركة الشيخ الشبيبيّ يجد أثره واضحا جليًّا في جلسات المؤتمر من اليوم الأول لانتخابه عضوا بالمجمع إلى آخر يوم له فيه ، وحسبنا ما نقلنا سابقا من شهادات لزملائه بحقه ، وحين بحثتُ عن أعمال شيخنا الشبيبيّ وجدتُ ما قالوه صوابا ، فهو لم يترك مجالا إلّا وكتب فيه بحثا أو اقترح اقتراحا ، أو تداخل بالقبول والرفض في جلسات المجمع طوال مدة انعقاده ، من دون تعصّب لرأيٍ ، أو تشبُّث بقولٍ ، لا منه ولا من زملائه (رحمهم الله) ، وأطال بعمر من بقي منهم ، وسأذكر بحوثه ومحاضراته وكلماته مع ذكر مواطن وجودها لكي ينتفع منها طلاب العلم ، ويسهل تلقيها لمن أرادها ، إذ بلغت فيما أحصيتُه بما توافر لي من مصادر إحدى وثلاثين ، مُرتَّبة على الحروف الهجائيّة ، وعلى النحو الآتي :

١- إصلاح ما حرّفه الأعاجم من أسماء الأعلام والبلدان ، بحث ألقي في الدورة الثانية والعشرين الجلسة الحادية والعشرين ، منشور بمجلة المجمع الجزء الثاني عشر : ٣٧ ، ومحاضر الدورة نفسها : ٣٣٨.

---

(١٠) من أعلام الثقافة العربية : ٦٦٢-٦٦٣.

٢- أصول ألفاظ اللهجة العراقية ، بحث ألقي في دورة المجمع الثالثة والعشرين ، في الجلسات الأولى والرابعة ، منشور بمجلة المجمع ، الجزء الثالث عشر:١١١ ، و١١٧ ، ومحاضر الدورة نفسها : ٢٦٣ ، و٤٠٩ .

٣- ابن خلّكان المؤرّخ ، بحث ألقي في دورة المجمع الثامنة والعشرين الجلسة السابعة ، منشور بمحاضر الدورة نفسها :٢١٥.

٤- الألفاظ الأيوبية في كتاب ((تقويم النديم)) ، بحث ألقي في الدورة السابعة عشرة ، الجلسة الثامنة في ١٥يناير ١٩٥١م . منشور في مجلة المجمع الجزء الثامن : ٣٣٤ -٣٤٠. ومحاضر الدورة نفسها الجزء الثامن :٤٥١ .

٥- بعث العربية ، وهو كلمة ألقاها الشيخ على زملائه أعضاء المجمع ، في دورة المجمع السادسة عشرة ، منشورة في مجلة المجمع الجزء الثامن : ١٦-٢٠ ، ومحاضر الدورة نفسها ٣٦٥.

٦- بلبلة اللهجات ، بحث ألقي في دورة المجمع الثانية والعشرين ، الجلسة الحادية عشرة ، منشور بمجلة المجمع الجزء الثاني عشر : ١٣٥، ومحاضر الدورة نفسها : ٥١٠ .

٧- البلوي في كتابه ألف باء ، بحث ألقي بدورة المجمع الحادية والثلاثين ، الجلسة السادسة ، منشور في محاضر الدورة نفسها : ١٤٧-١٥٥.

٨- بين الفصحى ولهجاتها ، بحث ألقي في دورة المجمع الثامنة عشرة ، الجلسة الثامنة ، منشور بمجلة المجمع الجزء التاسع : ٧٠ ، ومحاضر الدورة نفسها : ٤٥٢ .

٩- بين مصر والعراق في ميدان العلاقات الثقافية ، بحث ألقي في الدورة التاسعة والعشرين ، الجلسة السادسة ، منشور في محاضر الدورة نفسها : ١٤٣.

١٠- تحديد التعريب ، بحث ألقي في دورة المجمع التاسعة عشرة ، الجلسة التاسعة و التاسعة عشرة ، منشور في محاضر الدورة نفسها : ١٠٨ ، و٤٢٠.

١١- توحيد المصطلحات ، بحثاً لقي في دورة المجمع السادسة عشر ، الجلسة السابعة ، منشور في مجلة المجمع الجزء الثامن : ١٣١-١٣٥ ، ومحاضر الدورة نفسها ٤٥٦ .

١٢- تراثنا القديم من المصطلحات ، قسمان ، بحثان ألقيا في دورة المجمع الرابعة والعشرين ، الجلسات الثالثة والرابعة ، منشوران بمجلة المجمع الجزء الرابع عشر : ٥٣-٧٢ ، محاضر الدورة نفسها : ٤١٥-٤٤٠.

١٣- ثقافتنا اللغوية في عصر المغول بقسمين ، بحث ألقي في الدورة الخامسة والعشرين ، الجلسة الثالثة والسادسة ، منشور في محاضر الدورة نفسها ٢٥ ، و٣٣.

١٤- سُنّة التطور في اللغة ، بحث ألقي في دورة المجمع الحادية والعشرين ، الجلسة الأولى ، منشور بمجلة المجمع الجزء الحادي عشر : ٥٩-٦١ ، ومحاضر الدورة نفسها : ٢٧٥.

١٥- الطب والمصطلحات الطبية ، بحث ألقي في دورة المجمع الخامسة والعشرين ، الجلسة التاسعة ، منشور في محاضر الدورة نفسها : ١٦٥.

١٦- العرب الأولون والثقافة اللغوية ، بحث ألقي الدورة الحادية والعشرين ، الجلسة الثامنة ، منشور بمجلة المجمع الجزء الحادي عشر : ١٠٢-١٠٨، ومحاضر الدورة نفسها : ٤٣٩.

١٧- فقه الأساليب ، بحث القي في دورة المجمع التاسعة عشرة ، الجلسة الأولى ، منشور بمجلة المجمع الجزء التاسع : ٤٥ ، ومحاضر الدورة نفسها : ٣٠٤.

١٨- فنّ أصيل ، مقال حول ألفاظ غريب الحديث ، مجلة المجمع ، ٢١.

١٩- في تاريخ اللهجة المصرية ، بحث ألقي في دورة المجمع الثانية والعشرين ، الجلسة الرابعة ، منشور بمجلة المجمع الجزء الثاني عشر : ١٢٩ ، ومحاضر جلسات الدورة نفسها : ٣٥٦ .

٢٠- القاضي ابن خلّكان ومنهجه في الضبط والإتقان ، بحث ألقي في دورة المجمع ، منشور بمجلة المجمع الجزء السادس عشر : ٥٥ .

٢١- كتاب النيروز ، تحقيق ، ألقي في الدورة العشرين ، الجلسة السابعة ، مشور بمجلة المجمع الجزء العاشر ، ٣٩-٤١ ، ومحاضر الدورة نفسها : ٤٧٦ .

٢٢- لهجات الجنوب ، بحث ألقي في دورة المجمع السابعة والعشرين ، الجلسة الأولى ، منشور في محاضر الدورة نفسها : ٢١.

٢٣- اللهجات القومية وتوحيدها في البلاد العربية ، بحث ألقي في دورة المجمع ؟ ، منشور بمجلة المجمع الجزء١٤: ٨٥-٩٩.

٢٤- مصادر الشك في كتاب العين ، بحث ألقي في الدورة العشرين ، الجلسة السادسة ، منشور بمجلة المجمع الجزء العاشر : ٤٣-٤٤ ، محاضر الدورة نفسها : ٣٥٦ .

٢٥- المصطلحات العلمية وكتاب ((جامع أشتات النبات للإدريسي)) ، بحث ألقي في دورة المجمع التاسعة عشرة الجلسة الثالثة ، منشور بمجلة المجمع الجزء التاسع : ١٥٩، ومحاضر الدورة نفسها : ٣٣٢ .

٢٦- مصطلحات في الأدب ، بحث ألقي دورة المجمع الخامسة والعشرين ، الجلسة الأولى ، منشور بمحاضر الدورة نفسها : ١١.

٢٧- المعجم المساعد للكرملي ، بحث ألقي في دورة المجمع التاسعة عشرة ، منشور في مجلة المجمع الجزء التاسع : ٤٩ ، محاضر الدورة نفسها : ٤١٧ .

٢٨- ملاحظات على مصطلحات الجيلوجيا ، منشور بمحاضر الدورة ٢٤.

٢٩- منهج العمل في المعجم اللغويّ التاريخيّ الكبير ، منشور بمحاضر الدورة ٢٣ : ٥٦٥-٥٦٧ .

٣٠- النهضة الأدبية في العراق ، وهو أول بحث له بالمجمع في دورته الخامسة عشرة ، الجلسة الخامسة ، منشور بمجلة المجمع الجزء السابع : ٣٣٠-؟ ، ومحاضر الدورة نفسها : ٢٣١.

٣١- وشائج القربى بين مصر والعراق ، بحثاً لقي في الدورة الحادية والثلاثين ، الجلسة الأولى ، منشور في محاضر الدورة نفسها : ٢١-٢٦.

أما مقترحاته فهي كثيرة ، إذ نادرا ما تمرُّ دورةٌ من دورات انعقاد المجمع إلّا ويكون لشيخنا العالم مقترحٌ يقدّمه للسادة الأعضاء ، سواء أكان فيما يخص أعمال المجمع أو مكان انعقاده ، أو المسائل العملية . ونذكر من هذه الاقتراحات :

أولا : أن يُعنى المجمع بنشر ما يدخل في اختصاصه من الكتب النادرة مثل كتاب أبي حنيفة الدينوري ، وكتاب الشريف الإدريسي ، وكلاهما بالنبات .

ثانيا : أن يتفق مجلس المجمع مع مجلة أو صحيفة أو عدة صحف ومجلات على نشر خلاصة أعمال المؤتمر الختامية ، والمجلس ، في ركنٍ بارزٍ يسمى (ركن مجمع اللغة العربية) .

ثالثا : نشر وقائع جلسات المؤتمر ، وكذلك المجلس والمناقشات التي تدور بين الأعضاء مثلما كان جاريا في السنوات الخمس الأولى . (وكان له ما أراد ، إذ بدأ المجمع بتدوين كلّ ما يدور في الجلسات ، صغيرة وكبيرة وكان لهذا الاقتراح الأثر البالغ في حفظ هذه الجلسات ، وما يطرح من قضايا علمية وآراء من كبار علماء اللغة التي قد تكلّف الباحث سنين طوال للحصول على تلكم المعارف من هؤلاء الكوكبة) .

رابعا : دعا إلى عقد مؤتمر المجمع في بغداد في الجلسة الثلاثين الحادية والثلاثين ، وقد حُقّقت رغبته في انعقاد دورة المجمع الثانية والثلاثين ببغداد . لكن لم يُكتَب له العيش ليحضره .

خامسا : دعوته المشهورة بتوحيد المصطلحات ، وقد أُحيلت مصطلحاته في بحثه عن توحيد المصطلحات على لجان المجمع جميعا لكي تدرس كلّ لجنة ما هي مختصّة به منها .

سادسا : دعا إلى طرح الحوشي والغريب من الكلمات في معاجمنا الحديثة ، إذ إن ((المعجمات القديمة قد أُلّفت لزمانٍ غير زماننا. فإذا أردنا نحن أن نضع معجمات لأهل زماننا – وقد شرعنا ولله الحمد في ذلك – هل نطرح الحوشي الغريب منها أو ندوّنه في معجمات خاصة ، أم نسلك مسلكا وسطا ، فنطرح بعضا ونأخذ بعضا ؟ وهل يمكن تحكيم الأذواق في طرح ما يُطرَح وإبقاء ما يبقى ؟ هذا هو السؤال أو الاقتراح الذي أتقدّم به إلى المؤتمر راجيا درسه للتوصل إلى قاعدة تنسج اللجان على منوالها في المستقبل إن شاء الله)) [١١] ، وقد كان لشيخنا ما أراد وها هو المعجم الوسيط الذي ألّفه المجمع قبل نصف قرنٍ تقريبا بين أيدينا بطبعاته المتعددة قد انتهج ما أراده واقترحه شيخنا فصدر خلوا من الحواشي والغريب وقد ذكر استبعاده تلك الألفاظ في مقدمته[١٢].

---

[١١] من اقتراحه المكتوب للمؤتمر في شأن ألفاظ المعجمات غير المستعملة ، منشور نصّه بمجلة المجمع الجزء١٠: ٦٥.

[١٢] ينظر المعجم الوسيط : ١٤.

سابعا : دعوته لكتابة معجم تاريخيّ يتابع فيه تطوُّر الكلمة دلاليا ، ومراحل استعمالها ، وما حدث لها من تغييرات صوتيَّة ومعجميَّة ودلاليَّة ، كما في اللغات الأوربية فيقول في ذلك ((نريد معجما يُوضَع على غرار أحدث المعجمات اللغوية المصنفة في اللغات الأوربية الحديثة من حيث الدقة والإتقان والاستيعاب . نريد معجما يُعنى واضعوه بتاريخ الكلمة وكيف تحوَّلت مدلولاتها بتحوّل العصور على أن تكون معزَّزة بالشواهد والنصوص المقتبسة من آداب لغتنا العربية في مختلف عصورها ، لماذا لانحذو في تكوين معجمنا المنشود حذو لغويي الإنكليز الذين وضعوا معجم اللغة الإنكليزية المعروف بمعجم أكسفورد ؟ فهذا المعجم مثال يُحتذى في غزارة مادته وفي أسلوبه المبتكر الطريف)) [١٣] ، وقد وافق المؤتمر على إحالة هذا المقترح إلى لجنة (المعجم الكبير) لدرسها والإفادة منها[١٤] ، لكنّ هذه الأمنية لم تتحقق ، فلم ينجح مجمع اللغة المصريّ بحمل هذا الحِمل العظيم لأسباب شتى ، منها اقتصادية وسياسية وما شهدته المنطقة في تلك الفترة من صعاب واجهت الأمة العربية ، واليوم برز هذا الاقتراح ونهض مجددا الذي قد أشار إليه قبل الشيخ الشبيبيّ المستشرق (فيشر)[*] ، فتألّفت لجنة عليا متضمنة عشرات الباحثين من مختلف أرجاء المعمورة ، ومن كبار علماء اللغة والتاريخ ، برعاية دولة قطر ماديا ومعنويا ، إذ بلغت عشرات ملايين

---

[١٣] من كلمته بعث العربية في المؤتمر ، مجلة المجمع ٨ : ٢٠.

[١٤] مجلة المجمع ٨ : ٦٤ .

[*] يقوم اتحاد المجامع العربية بهذا العمل الآن ، وقد خطا خطوات موفقة ، ولا علاقة لهذا المشروع بعمل قطر .

الدولارات المبالغ المرصودة لإنجاز هذا المعجم ، والعمل جارٍ ليل نهار لإعلان أول وأضخم معجم تاريخيّ عربيّ ، وأطالب اللجنة المكلفة بكتابة دعوة الشيخ الشبيبي لإنشاء هذا المعجم قبل أكثر من ستة عقود خلت ، إذ كانت دعوته في سنة١٩٤٩م . وعدم إغفاله لحفظ الحقوق لإصحابها ، وللوفاء القليل لما بذله هذا العالم الجليل في حفظ لغة الضاد[١٥].

المطلب الثالث

ازدياد علمه بالمصاحبة

قيل قديما في مصاحبة العلماء الكثير من الفضائل ، ومنها ازدياد علمك ، ونموه حتى لو كنت عالما ، فالدنيا مدرسة نتعلم منها صغيرُنا وكبيرُنا ، فكيف بنا وكان الشيخ الشبيبيّ عالما لا يُشَقُّ له غبار ، ثم يُصاحب ويُعايش من هم بطبقته علما وفضلا ، وهذا ما عبَّر عنه الشيخ نفسه حين يصف زملاءه ، بعلمهم وأخلاقهم ومكانتهم ، فلا مناص من تأثير هؤلاء فيه وتأثيره فيهم ، سواء عن عمدٍ أو غير عمدٍ ؛ لأنها طبيعة بشرية ، فكان يشير إلى غزارة علم أصحابه ومناقشتهم في مسيرهم وقعودهم ، إذ لا ينفكون يناقشون مسألة لغويّة أو أدبيّة أو تاريخيَّة ، أو جغرافيَّة أو فلكيَّة وغيرها ، فيشعُّ مجمعُهم نورا يستضيء به كلُّ إنسانٍ ، وهذا كلُّه يزيد من علميَّة الشيخ ويجعلها تتوهج كالنار لا تركد.وفوق كلِّ هذا وذاك سِمَة التواضع والخُلُق الرفيع في تعامل بعضهم بضعا .

---

[١٥] أرى ضرورة تحرك المجمع العلميّ العراقيّ بصفته المعنوية للحصول على تأكيد بذكر اسم الشيخ الشبيبي . وله أكثر من خمسة عشر تعقيبا على بحوث ومقترحات السادة أعضاء المجمع مبثوثة في مجلة المجمع ومحاضر الجلسات .

وحسبنا ما كتبه عن رئيس المجمع الأستاذ أحمد لطفي السيد بمناسبة وفاته ، فقد كتب مواقفه معه طوال مدَّة تعرُّفه ، وما جرى في جلساته العامة والخاصة ، وفي شوارع القاهرة ، وسنذكر موقفا واحدا للتدليل على ما قلناه ، يقول الشيخ الشبيبيّ :

((عُقدت هذه الجلسة – يقصد الجلسة ١ في الدورة ١٤– برياسة الرئيس أحمد لطفي السَّيِّد وبعد الفراغ من مناقشة المنهج أعلن الرئيس ختام الجلسة وذلك في تمام الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر من هذا اليوم ودعاني الرئيس ونحن نعود إلى منازلنا إلى الركوب في سيارته فقلتُ له : أنا مدعوٌّ في مكانٍ بعيدٍ ، فقال مهما بَعُدَ مكان الدعوة . وكنتُ مدعوا عند أحد العراقيين في ناحية الزمالك فأبى إلّا أن يوصلني إلى دار صاحب الدعوة وكان ثالثنا في السيارة زميل في المجمع وهو طبيب يكثر الاتصال بالرئيس ولما سألتُ [في الأصل ساءلت] الرئيس عن صحته شكى من الشيخوخة قائلا : أمنيتي أن أستقيل . فقال الدكتور : مستحيل . فأجاب الرئيس : مستحيل دكتوريًّا ولكنه ممكن عقلا وعادةً . ولاحظنا ونحن نجوب شوارع القاهرة أن رئيس المجمع جرِّيت في طرقها ولا يستثنى من ذلك الطرق البعيدة كالجيزة والجزيرة وما إلى ذلك)) [١٦].

وممَّا يؤكد ما ذهبنا إليه أيضا ما ذكره في الدورة الثانية والعشرين سنة ١٩٥٦ في إحدى جلسات المؤتمر ، قال ((انفضت هذه الجلسة في تمام الساعة الواحدة والربع بعد ظهر هذا اليوم ، ومن ثم دعانا رئيس المجمع أحمد لطفي السيد إلى الركوب معه في السيارة ورافقناه إلى منزل الدكتور

---

[١٦] محاضر الدورة ، ٣ : ٨٢

منصور فهمي بدعوة منه لتناول طعام الغذاء [كذا في الأصل وربما الغداء هو الصواب] وكان معنا الأستاذ (ماسنيون) وتناول حديث الرئيس تأليف المعجمات اللغوية فقال : دائرة المعارف الفرنسية بحاجة إلى تجديد ويلاحظ نشاط الإنكليز اليوم في تأليف معاجمهم ، وأعظم منه نشاط الإسبانيين فإنهم يؤلفون معجما لغويا نادر المثال في اللغة الإسبانية تمُدّهم بالمساعدة على إخراجه دول أميركا اللاتينية . وفي منزل الدكتور منصور فهمي حدثني ماسينون كثيرا قائلا : إنه من المحافظين المتمسكين بالعقائد ويبالغ بخطر المادية والإلحاد الجارف وضرورة مجابهتها بالحرص على أصول الدين والمحافظة التامة عليها ، وأشار ماسنيون من طرفٍ خفيٍّ إلى انحلال الغرب وتراجعه وإلى دوران الفلك وأن مجد الشرق وحضارته آتيان لا محالة وتحدث عن بحوث وآراء دينية متنوعة . ولماسنيون رأي خاص في سلمان الفارسي رضي الله عنه إذ بالغ في الثناء عليه قائلا : هو من أعظم المرشدين في عصر الإسلام الأول ، وتكلم عن الإسماعيلية وعن فاطمة أم السبطين رضي الله عنها مقارنا بينها وبين مريم منجبة عيسى عليه السلام [١٧].

المطلب الرابع

الشبيبي شاعرا كما عرفه المجمع

قال عنه العقاد في حفل استقباله في المجمع وانتخابه فيه ((يصح أن يقال فيه إنه يدخل المجمع هذا المجمع من أكثر من باب واحدٍ ؛ لأنه شاعر ناقد ، وباحث لغوي ، ناشر للعلم واللغة ، معني بآثار اللغة العربية قديمها

---

[١٧] م.ن ٣٠ : ٨٧-٨٨ .

وحديثها)) [١٨]. وهذه الشهادة بها كفاية من علم من أعلام الأدب والنقد المعاصر وهو (العقاد) ، الذي يصفه بأنه : هو شاعر فصيح اللفظ ناصع المعنى سليم العبارة ، ينظم الشعر في أغراضٍ شتى ، ولا يقصره على غرضٍ واحدٍ ، ينظمه في الأخلاقيات ، والوطنيات ، وفي الحوادث الكبرى ، وفي المعاني التي اصطلح المحدثون على وصفها بالمعاني الغنائية [١٩] . مستشهداً ببعضٍ من شعره .

فكان المجمع على دراية واسعة ، ورؤية ثاقبة بإمكانات الشيخ العلمية والثقافية حتى يقبلوا انضمامه للمجمع ، فكان جديراً أن يلتحق بهذه النخبة المميزة في وطننا العربي حين ذاك .

وها هو علم آخر من أعلام القرن العشرين وهو الأستاذ أحمد حسن الزيات يكتب رؤيته وتذوقه لشعر الشيخ الشبيبي ، ويتناول زوايا مختلفة من شعره ملقيا الضوء على الموضوعات وأسلوبه الشعري وأغراضه ، وتوظيفه لتلك الأغراض ، فالشعر لدى الشبيبيّ ذو غاية سامية ، وهدف نبيل ، ولبس للتسلية وقضاء الوقت ، إذ كانت للحياة السياسية التي عاشها شيخنا الأثر الكبير في بلورة شعره ، وتوجيه غايته ، فلا يمكننا معرفة أسلوبه وموضوعاته بمعزل عن تلك الحياة ، وهذا ما التفت إليه الزيات حين قدم مقدمة عن الصراع الذي خاضه مع الإنكليز بوصفه ربيب بيتِ علمٍ وعليهم تقع مسؤولية المجابهة ، فيقول في ذلك الزيات : ((وعلماء الشيعة في العراق وإيران ظلوا في جميع العهود قوامين على الناس لا يتحرك متحركٌ ولا يسكن ساكن

---

[١٨] من كلمة العقاد في حفل استقباله ، مجلة المجمع ،٧.٢٨٩ .

[١٩] مجلة المجمع ٧ : ٢٨٩ .

إلا بإشارة من مجتهدٍ أو مقالةٍ من عالمٍ ، لأن وراثة الأئمة الاثني عشر كانت فيهم ، وجباية الصدقات كانت في أيديهم . ومن هنا نشأت لهم في المجتمع الشيعي أرستقراطية طبقية وزعامة قومية كان لها في أقاليم الفرات الأثر الفعال في كل ثورة . والشبيبيّ كان واحداً من هؤلاء العلماء يرى نفسه بحكم مرباه وطبيعة بيئته زعيماً بطبعه سياسياً بنشأته فلم يكد فجر اليقظة العربية يلوح في الأقطار العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ومنها العراق حتى ألّف من شباب النجف والكوفة وكربلاء والحلة جماعة تدعو إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي وجعل يذيع منهج هذا الإصلاح بشعره ونثره في المجلات المصرية والسورية والعراقية ، ويقول مؤرخو الأدب العراقي الحديث إنه من أوائل من تناولوا الموضوعات الاجتماعية بين شعراء العراق ، وأولهم على الإطلاق بين شعراء النجف)) [٢٠] . ويرى الزيات أن الشيخ الشبيبيّ يؤلف مع (الرصافي والزهاوي والكاظمي والنجفي) الأوتار الخمسة لقيثارة الشعر العراقي في الثلث الأول من القرن العشرين على تفاوت بينها في الجهورة والهمس والغلظة والرقة والضحولة والعمق ، وكان هو الوتر الحساس الذي لا يَملّه سمعٌ ولا يمجه ذوقٌ ولا ينكره فنٌ[٢١].

وقد استشهد الزيات ببعض من شعره ليبين الأغراض الشعرية التي خاض فيها الشيخ الشبيبي ، ومنها السياسيّ ، كما في ثورة العشرين حين ثار العراقيون بعد أن أفتاهم أئمتهم بالجهاد المسلح[٢٢] ، من ذلك قوله :

---

[٢٠] من كلمة الزيات في رثائه ، محاضر الدورة ٣٢ : ١٨٣-١٨٤.

[٢١] محاضر الدورة ٢٣ : ١٨٨ .

[٢٢] م.ن : ١٨٤ .

بني يعرب لا تأمنوا للعدى مكرا	خذوا حِذركم فالقوم قد أخذوا الحـذرا
يريدون فيكم بالوعود مكيدة	ويبغون إن حانت فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا	أضاليلهم في الهند والكذب في مصرا
ومن مات دون الحق والحق واضح	إذا لم ينل فخرا فقد ربح الغدرا

ويُلاحِظ الزيات أن الشيخ من المقلين فقد عدَّه من العلماء المكثرين والشعراء المقلين ، فله في العلم عشرات المؤلفات والمقالات ، وأما في الشعر فله ديوان واحد ، وعلل الزيات هذه الظاهرة بقوله : ((ذلك لأنه كان يبذل العلم للناس ولكنه كان يقول الشعر لنفسه . ونفسه كانت لا تكلفه الشعر إلا لخاطرة تجيش في ذهنه أو عاطفة تنبجس في خياله ، أو واقعة تنطبع في حسه ، فلم يقل الشعر عن طلب ، ولم يقرضه لمناسبة . وقد سأله بعضهم أن ينظم في معنى معين . فقال له : لا ينبغي لأحد أن يقول للشاعر انظم في كيت وكيت . إنما الشعر شعور يجيش في النفس فيجري على اللسان)) (٢٣).

وقديما قالوا قلة الشعر الجيد خير من الكثير الرديء ، وهذا ما انماز به الشبيبيّ ، إذ لاحظ الزيات أن شعره على قلته من محكم الشعر وجيده نحا في معانيه منحى المعريّ في النقد والحكمة ، ونهج في أسلوبه منهج الحمداني في الجزالة والعذوبة ، ويستشهد بقوله(٢٤) :

باللرزية كم يفرق بيننا	وتضلنا الأضغان والأحقادُ.
جارت علينا عصبةٌ روحيةٌ	شقت بها الأرواحُ والأجسادُ.

(٢٣) م.ن : ١٨٦.

(٢٤) م.ن : ١٨٦.

المبحث الثاني

تحليل لمضمون بحوث هو محاضراته في المجمع

يمكننا تقسيم بحوثه على ثلاثة أقسام بحسب طبيعة الموضوعات التي عالجها وشارك فيها الشيخ الشبيبيّ ، وسنكتفي بتحليل قسم من هذه النماذج من كل قسم لكي نلقي الضوء على منهجه ، وأسلوبه وطريقته في تناول الموضوع محل الدراسة ، وعلى النحو الآتي :

القسم الأول : البحوث اللغوية الصرف

وهي البحوث التي تختص بمواد لغوية بحتة ، ولم يدخل معها علم آخر ، ويدخل من ضمنه تاريخية اللغة التي انماز بها الشيخ في تناوله الموضوعات اللغوية ، ومنهجه اللغوي هذا يفسر لنا دعوته بكتابة (المعجم التاريخي) كما ذكرنا سابقا ، لأنه حين يفسر مسألة لغوية يحاول متابعة تطورها تاريخيا ، وما تعرضت له من تغيرات تاريخية ، كما وقد ناقش ذاك في بحثه (سُنَّة التطور) ، وقد تميَّزت أبحاثه بكثرة النقل عن القدماء والاستناد إليهم في توثيق مذاهبه ، مع مراعاة التطور المعرفي والثقافي والتحديات التي تواجه اللغة العربية ، مستعينا بقدرة اللغة على استيعاب الوافد الجديد ، مع مراعاة الموروث اللغوي القديم ، وتقع تحت هذا القسم الجزء الأكبر من بحوثه ، وسنذكرها على النحو الآتي :

١- إصلاح ما حرَّفه الأعاجم من أسماء الأعلام والبلدان

٢- أصول ألفاظ اللهجة العراقية

٣- بعث العربية

٤- بلبلة اللهجات

٥- بين الفصحى ولهجاتها
٦- تحديد التعريب
٧- توحيد المصطلحات
٨- سُنَّة التطور في اللغة
٩- فقه الأساليب
١٠-كتاب النيروز
١١-لهجات الجنوب
١٢-اللهجات القومية وتوحيدها في البلاد العربية
١٣-مصطلحات في الأدب
١٤-المعجم المساعد للكرملي
١٥-منهج العمل في المعجم اللغويّ التاريخي الكبير

بحث (لهجات الجنوب) :

ألقي هذا البحث في دورة المجمع السابعة والعشرين الذي بدأه الشيخ بشكر الأعضاء العرب في المجمع على منحه الثقة في التكلم نيابة عنهم ، وقال : ((وإذا جاز لي أن أتكلم بهذه الصفة قلت لاشيء أحب إلى العرب من أن تخرج لغتهم بآدابها وفنونها ظافرة من هذا المعترك الذي تخوضه الآن ، وستخرج بإذن الله)) [٢٥] ، ومن هذه النظرة للغة يسير منهج شيخنا في تعامله مع كل المستويات اللغوية ، فهو يؤمن بقدرة اللغة وإمكاناتها على مواجهة كل التحديات التي تمر بها وما يأتي لاحقا ، وهذا الإيمان باللغة

---

[٢٥] محاضر دورة ٢٧ : ٢١ .

وحبّه لها جعله من المبرّزين فيها ، فلم يتخذها مَطِيَّة للحصول على مناصب أو شهرة أو منافع مادية ، فالإيمان بها من أنها لغة القرآن ، ولغة قومية يجب الحفاظ عليها وعدم التفريط بها .

وسبب كتابة بحثه قليل الصفحات كثير المنفعات ، قليل الكمية فاتح الشهية العلمية ، هو زيارته للمغرب العربي وهي أول رحلة له ، وفي طريق العودة مر بروما الإيطالية ، وسماها (رومية) أو (رومة) ، فأعطاه أحد المشارقة المقيمين صحيفة قرأ فيها الكشف عن أربع لغات مستقلة عن العربية يتخاطبون بها فيها بين حضرموت والربع الخالي من الجزيرة واللغات المذكورة هي :

١- المهرية	٢- البطحرية
٣- الشحرية	٤- الخرسونية

وبعد أن عرض من تعليقات ممَّا جاء في الصحيفة معرجا كعادة تاريخيا بالحديث عن أول محاولة منظمة لتوضيح ما أُبهِم من الأعلام البلدانية غير العربية في جنوب الجزيرة أبدى رأيه معقبا – وهو منهج واضح على كل ما كَتَبَ – بقوله ((هذا مع أنه لا توجد أعلام غير عربية في تلك الأرجاء . والغالب أنها أعلام مرتجلة أو محرفة غاية التحريف ، فتوهموا أنها أعلام غير عربية)) [٢٦] ، ولم يرتض الشيخ في أن هذه اللغات أو اللهجات مستقلة عن العربية ، لعدم كفاية الأدلة ، إذ إن اللهجة المهريَّة أو الأمهريَّة كما رجحها الشيخ هي لغة الحبشة من فصيلة اللغات السامية وهي تجتمع مع

---

[٢٦] محاضر الدورة ٢٧ : ٢٢.

العربية في أصل واحد ، مستعينا بنص المادة السابعة من معاهدة الصداقة والتجاور المعقودة بين اليمن والحبشة في الخمسينيات ونصها ((لهذه المعاهدة نسختان أصليتان باللغة الأمهرية – والعربية حيث أن أصل اللسانين واحد ، وعند اللزوم للتفسير يعتبر [بمعنى يعتمد] النص العربي)) [٢٧].

ثم أكمل حديثه عن بقية اللغات مفندا ما لم يقبله ، وقابلا بما اقتنع به ، تاركا الباب مفتوحا أمام الباحثين لعرض أدلتهم ، فلم يغلق بابا ، ولم يُوصِد مُشرعا أمام العلماء بالإدلاء بدلوهم في هذا الشأن .

بحث (اللهجات القومية وتوحيدها في البلاد العربية)

يعد هذا البحث كما نراه من البحوث الأساسية في دعوة الشيخ الشبيبيّ لوحدة الأمة العربية ، فهو لم يكتف بالشعر مناديا بتلك الوحدة ، ولم يركن للعمل الجماهيري لتحقيق الغاية ، بل ركز على أداة التواصل التي تجمع الشعوب ليجعها وسيلة للتفاهم والتقارب ، لا سلاحا للتفرقة والتجزئة ، فقدم هذا البحث المكون من أربع عشرة صفحة ، دعا فيها الشيخ إلى توحيد اللهجات العربية بلهجة مفهومة موحدة يتخاطب بها أبناء (يعرب) ، للتقليل من التفاوت بين تلك اللهجات ، وقد ذكر بعض الأعضاء صعوبة التواصل مع الطلاب العراقيين في أثناء تدريسهم ، مع أنهم يتحدثون العربية .

قَدَّم الشيخ الشبيبيّ كعادة مقدمة تاريخية لمراحل تكوين اللهجات ، ثم شرع ببيان المراحل التي مرت بها العربية ، ولم يخلُ البحث من ذكر أثر السياسة في اللغة ، معرجا على الصعوبات التي تواجهها العربية ، ذاكرا

---

[٢٧] م.ن : ٢٣

ما وصلت إليه العربية في وقته من مراتب الدنو من الفصحى والابتعاد عن العامية والتخلص من الآثار التركية[٢٨] ، مستعرضا جملة من الأهداف القومية التي يمكن أن نجنيها جَرَّاء توحيد لهجتنا ، مسطرا بعض التحديات التي نواجهها بسبب الاختلاف الكبير في لهجاتنا ، ومنها نجده في قوله ((وطالما قابلنا إخوانا لنا من أبناء المغرب وأفريقية ، وحاولنا محاورتهم ، فلم نفهم عنهم ، ولم يفهموا عنا . وقد يصبح الموقف مضحكا ، فنلوذ عند ذلك بالفصحى ، ونلتمس منها العون ، وينتهي المشكل ببركة لغة القرآن)) [٢٩].

ولم يكن طرح الشيخ لهذا الاقتراح عشوائيا ، بل كان منظما وهادفا معطيا الوسائل الفعالة لتحقيق تلك الغاية ، وذلك عن طريقين[٣٠] :

١- نشر التعليم المنهجي ، ومكافحة الأمية ، وكثرة سواد المتعلمين لمكانة اللغة من الدولة والمجتمع والقومية . فيجب علينا أن نُعنَى عناية فائقة بالتعليم لنشرة وفرضه ، ويتضمن تعليم علوم الدين والدنيا ، لأن الثقافة

---

[٢٨] من بطالع الصحف التي كانت تصدر في نهايات عهد الدولة العثمانية ، ويطالعها في عصر الشيخ وحتى في عصرنا الحالي يجد مصداق الكلام الشيخ ، إذ من الخطأ القول إنا لفصحى تتراجع كلما مر الزمن ، بل هي كالكائن الحي تنمو في مرحلة وتمرض في أخرى ، ينظر عشرات النماذج في الصحف التطور اللغوي في الصحافة العراقية في المقالة والأُقصوصة بين عامي١٨٦٩-١٩٢١م ، ومناهج التصحيح اللغوي في الرسائل الجامعية في العراق إلى عام ٢٠٠٨ ، ماجستير ، أنور شناوي ذياب .

[٢٩] محاضر الدورة ٢٤ : ٨٨ .

[٣٠] اللهجات القومية ، مجلة المجمع ، ١٤: ٨٨-٨٩ .

الدينية الآن ميتة في كثير من المدارس والمعاهد ، إذ إن الدين ليس مجرد شقشقة لسانية ، وليس جدلا بيزنطيا ، بل هو في الواقع تقويم سلوك وإصلاح إخلاق ، مستشهدا بقول الغزالي : ابحثوا عن ماهية الصدق والإخلاص والعمل والجد والصبر والجهاد فذلك هو الدين .

٢- توحيد التلفظ ، إصلاح النطق علّه أن تقوم بذلك مراجع فنية مختصة ، وذلك بموجب قواعد عامة يُعَهد بوضعها إلى ذوي الاختصاص ، للتخلص من مشكلة التباين بينها ، واختلاف مخارج الحروف ، وفي قلبها وإبدالها . مشيدا بجهود المجمع في إقراره العديد من القرارات التي تسير في هذا الاتجاه منها فيما يخص الأقيسة اللغوية ، وتوسيع أبوابها في عدد من الصيغ والأوزان والجموع التي قصرها القدماء على السماع ، وهو قرار يَسَّرَ مهام المعنيين بوضع المصطلحات العلمية الحديثة ، وقراراته في شأن المعربات والألفاظ المولدة وألفاظ الحضارة[٣١].

ولم يمر هذا المقترح المهم من دون تعقيبات من السادة الأعضاء ، فانقسموا بين مؤيد ومعارض ، وهذا هو ديدن المجمع المصري في اتخاذ القرارات ، فلا يمرُّ قرارٌ أو مقترحٌ من دون توجيه سهام النقد بغية تقويمه وتهذيبه ، لا لهدمه وتسقيطه .

---

[٣١] ينظر دور المجمع فيما ذكره الشيخ الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث الدكتور محمد علي الزركان ، والقرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، خالد العصيمي ، ومعايير مجمعي اللغة السوري والمصري في التصحيح اللغوي في القرن العشرين ، أطروحة ، أنور شناوي ذياب .

والمعترضون هم :

أ- الدكتور تمام حسان ، الذي أثنى على بحث الشيخ ، مفتخرا أنه كان يقرأ عنه مذ كان طالبا متتلمذا عليه من دون أن يراه ، مغتبطا نفسه بتتلمذه على يديه اليوم مشافهة[٣٢] . مُبديا موافقته الموافقة التامة للشيخ في اللغة العربية من أهم مقومات الحياة العربية الحديثة ، لكنه خالفه في أن الدعوة للتوحيد تنافي طبيعة التطور اللغوي ؛ لأن اللغة – ككل ظاهرة اجتماعية – تتطور غير خاضعة لتشريع ، وغير خاضعة لقوة بوليسية ، وغير خاضعة لرغبة المصلحين ، فهي لاتخضع إلّا لطبيعة تطورها . قائلا ((فإذا أردنا أن نوحد اللهجات فإن مجهودنا في ذلك مقضي عليه حتما بالفشل لأننا إذا أردنا أن نوحّد اللهجات فلابد أن نتجاهل النشاط النطقي وأعتقد أنه نوع من التعدي على مقتضيات طبيعة اللغة)) [٣٣].

ب- الدكتور كمال بشر ، بدأ تعقيبه بوصف هذا الموضوع ب (الخطير) معللا وصفه بقوله ((فنحن الآن أحوج ما نكون إلى لغة عامة يتفاهم بها العرب جميعا في كل أقطار العروبة ، لدينا كثير جدا من اللهجات في مصر والعراق وسوريا وغيرها . يجب أن نقابل الحقيقة بشجاعة : وهي إن الفصحى لغة صعبة بالنسبة إلى الكثرة الغالبة من الشعوب العربية . نود لغة عامة تجمعنا وتتخذ أساسا عاما للتقريب . وأما

---

[٣٢] نلحظ الخلق الرفيق والأدب العالي من عالم كبير مثل الدكتور تمام حسان ، وهو منه وفي العلوم اللغوية ، ويبين مدى علمية الشيخ الشبيبي وقدره في الوسط العلمي بينهم .

[٣٣] مجلة المجمع ١٤: ٩١

التوحيد فلا ، وإنّما يمكن أن نقترح أوجها للتقريب بين اللهجات . فهل نبدأ من اللهجات أم من اللغة الفصحى نفسها ؟ من أين نبدأ لكي نصل إلى لغة عامة تقرب التفاهم بين البلاد العربية ؟))[٣٤].

ت- الدكتور عبد الفتاح شلبي ، ويمكننا تلخيص اعتراضاته بالآتي :

١- الرغبة في توحيد اللهجات أمر غير ميسور ، لأن اختلافها أمر مقرر من قديم ، فالرسول (ص) أجاز أن يُقرأ القرآن باللهجات المختلفة ،

٢- إن ربط الدين باللغة ، أمر غير مفهوم ، فأيّ دين هو المقصود ، فالقرآن حفظ العربية لكن اللهجات ظلت متعددة .

٣- إن التمرد على قوانين اللغة ولاسيَّما من الأدباء ، ليس جديدا فقد تمرَّد الفرزدق على قوانين الحضرمي .

داعيا إلى تيسير وسائل اللغة العربية على المتعلمين[٣٥].

المؤيدون هم

أ- الأستاذ مصطفى حسنين إسماعيل ، وضح في تعقيبه بأن الشيخ لم يقصد ما فهمه المعترضون فـ ((المسألة فيما يبدو لي أن هناك خطأ في فهم الموضوع . ويخيل إلى أن الأستاذ المحاضر كان يريد أن يتكلم عن توحيد اللهجات ولكن المعقبين فهموا أنه يريد توحيد اللهجات بمعنى Accent أي النطق . ولاشك أننا نختلف في النطق فهذه مسألة لانزاع فيها ،

---

[٣٤] م.ن ١٤: ٩٢ ورأى أن الوحدة السياسية والثقافية هي أهم عنصرين للتقريب .

[٣٥] مجلة المجمع ١٤: ٩٢-٩٣ .

وهي أمر طبيعي . ولكن الذي أفهمه هو أن الأستاذ المحاضر يعني افتراق اللهجات العامية)) [٣٦].

ب- الدكتور بدوي طبانة : بارك وهنأ الشيخ الشبيبيّ على بحثه النفيس ودعوته المباركة[٣٧] .

ت- الدكتور عبد الحميد بدوي رئيس الجلسة ، رأى أن الشيخ الشبيبيّ لم يقصد أن نتكلم جميعا بلهجة واحدة ، وإنما قصد زيادة التقارب بين الأمم العربية ، مثنيا على محاضرة الشيخ القيمة[٣٨].

ث- الدكتور منصور فهمي ، أيد الشيخ قائلا : ((فحينما أراد السيد المحاضر أن ينبه إلى الإيمان باللغة التي ندرك بها مفاهيمنا والحرص على توحيدها ، إنما أراد أن نجتمع في تفهم المعاني وفي تسمية الأشياء بألفاظ ومصطلحات موحدة مشتقة من لغة الضاد)) [٣٩]. ورأى أن دعوة التوحيد لا تنافي التطور مناديا بحماسة المجمع بتقبل مقترح الشيخ خاطبا فيهم ((فإذا نادى المجمع أو أحد أعضائه بتوحيد اللغة ، فهو إنما ينادي بذلك تلبية للصدى الدفين في قانون التطور العام الكمين في أنفسكم أنتم أهل مصر والعراق والشام ، باعتباركم ورثة اللغة العربية الفصحى وباعتباركم أبناء القومية العربية . فهذا الصدى القوي ينبعث من القومية العربية ومن

---

(٣٦) م.ن١٤ : ٩٣ ، أي إن القصد هو توحيد الكلمات حتى لو اختلفنا في نطقها ، بمعنى آخر ليس توحيدا صوتيا يراعي مخارج الحروف .

(٣٧) م.ن١٤: ٩٤ .

(٣٨) م.ن: ٩٥ .

(٣٩) م.ن١٤: ٩٧ .

دفع التقدم العام ، وهو يهفو إلى أن تستوعب اللغة العربية كل المفاهيم التي أتت بها الحضارة الحديثة . ولأضرب لكم مثلا من حياتنا الحاضرة فقد مرت طائرة (الهليوكوبتر) في سماء البلاد العربية ، وتنوقل اسمها على الأفواه ، فماذا فعل البدوي الساذج بسليقته العربية ؟ قال هذا البدوي : (حوَّامة) فشاع الاسم)) [٤٠] ، خاتما دفاعه عن رأي الشيخ بأنه ليس المقصود بتوحيد اللغة توحيد النبرات والأصوات ، إنما هو توحيد الألفاظ والعبارات .

وبعد هذا الشد والجذب ، والقبول والرفض ، أُتيحت للشيخ الشبيبيّ فرصة الرد ، فبدأ بشكر الجميع مؤيدين ومعارضين ، رادا على ما جاء في أن : التوحيد لا يخالف التطور ، بل التطور يقي بالتوحيد ، رافضا أن تكون العربية صعبة المنال ، فهي تتقدم بلهجتها الفصحى ، فضلا عن ارتباك اللغة بالدين ارتباط وثيق الذي نشأ منذ نزل القرآن ، وسيبقى هذا الرباط ما بقيت اللغة وبقي الدين[٤١].

والبحث قد أطال بنقل الآراء لاطلاع القارئ عن طبيعة المناقشات والحوارات التي كان أعضاء المجمع يبدونها في اتخاذ القرارات ، وهو أنموذج لتأثير الشيخ في حركة المجمع ونشاطه ، فهو في كل ما يطرح من محاضرات أو بحوث يحدث ضجيجا علميا يلقي بظلاله على أعضاء المجمع أجمع ، ويترك فيهم أثرا عبر ما يطرحه من رؤى وأفكار ينفرد بتميزها ، ولا تجتر ذيول غيرها ، وهذا الأنموذج يبيِّن لنا سرَّ المدح والثناء للشيخ ممَّا ذكرنا في المبحث الاول في علمه وخلقه ، فلاحظنا من هم

---

(٤٠) مجلة المجمع : ٩٨ .

(٤١) م.ن١٤: ٩٩ .

المناقشون ، إنهم كبار العلماء اللغويين في القرن العشرين ، ولاحظنا الاحترام بينهم ، والتواضع في طرح أفكارهم وإبداء معارضتهم ، وهم يواجهون الشيخ ويواجههم ، ورأينا من يفتخر بتلمذته على شيخنا الشبيبيّ ، وهو من هو ميدان العلم والمعرفة ، فهؤلاء أصبحوا وكانوا مراجع لغوية للأجيال اللاحقة وحتى يومنا هذا . فحقيق علينا أن نفتخر بعالمنا العراقيّ الذي صار مرجعا ومعلما لكلِّ من ينطق بالضاد في البلاد العربية .

القسم الثاني ، العلوم البينيَة

ويُقصد بها علاقة وتداخل علمٍ مع آخر ، كما يُصطلح عليها في العصر الحالي ، وهو ما انماز به الشيخ الشبيبيّ ، وتعدّ من أهم مزيَّاته عن زملائه أعضاء المجمع فيما يقدمه ، ولاسيَّما علاقة اللغة بالتاريخ ، فهو لاينفك يدعو إلى دراسة كتب التاريخ والإفادة منها في التوثيق والمعرفة اللغوية ، ولم يكن مجردَ حديثٍ بل طبَّق ذلك عمليا ، عبر البحوث التاريخة اللغوية التي أفاد بها المكتبة العربية ، بل وعلى إثرها اتخذ المجمع قرارات وأوصى بتوصيات ، لما لها من قيمة علمية رصينة ، وأحصى البحث ما يقع تحت هذا القسم من البحوث ، فكانت على النحو الآتي :

١- الألفاظ الأيوبية في كتاب تقويم النديم ، وعقبى النعيم المقيم .

٢- تراثنا القديم من المصطلحات (كتاب الأنساب للسمعاني) .

٣- في تاريخ اللهجة المصرية .

٤- المصطلحات العلمية وكتاب (جامع أشتات النبات للإدريسي) .

ولايعني هذا خلوّ بحوثه الأخرى عن التداخل الواضح بين التاريخ واللغة ، لكن في هذه البحوث مزية ظاهرة ، وعلامة بارزة ، بتواشج

العلمَين ، فهو يدعو دائما للإفادة من كتب التاريخ واستخراجماينفعنا من كلمات ومصطلحات ربَّما يكون قسم منها لم تدوّنه المعجمات وأمات الكتب ، وسنذكر واحدا منها.

بحث (تراثنا القديم من المصطلحات مظانه ومصادره)

ويقسم هذا البحث على قسمين ، تحدث في الأول عن كتاب (الأنساب للسمعاني) وهو كتاب تاريخي رحل صاحبه في طلب العلم والحديث إلى شرق الدنيا وغربها وجنوبها وشمالها ، وسافر إلى بلاد الترك وما وراء النهر وسائر بلاد خراسان مرات عدة ، وكان يصف ما يراه من بلدان وأقاليم وحواضر قبل اجتياح المغول ، وقد فصَّل في ذلك الشيخ تفصيلا في القسم الأول التاريخي للتعريف بالكتاب وبمؤلفه ، مبينا في قسم منه بعض الأنساب باللغة الفارسية التي تحدث عن بعض من كلماتها وكأنه ضليع بها كتضلعه من العربية ، ومنها لقب (ديوكش) ومعناه القزاز[٤٢] ، متوقفا عند كلمة الأنساب وما تدل عليه تاريخيا ومراحل تطورها كعادة في تناول أيّ موضوع ، وهو منهج يعدّ ظاهرة لدى الشيخ كما أكدنا ذلك سابقا ، فيطرح فيها رأيا يعدّ من آرائه التي لم يسبقه التنبيه عليها أحد ، فيرى أن مدلول كلمة (الأنساب) في كتب الصدر الأول تعني ما يشمل السِّيَر والأخبار : أخبار البيوتات والأسر ومناقبها ومثالبها ، وما يتناول أيام العرب في الجاهلية ومنافراتهم أو مفاخراتهم ، وأخبار الأوائل وتسمية أشرافهم وفرسانهم وأيامهم وأحلافهم ومغازيهم بحرا وبرا ، وأحوال البلدان والأسماء والفتوح . ، عادا البلاذريّ مؤلف كتاب (فتوح البلدان) بهذا المعنى ، وكتابه الآخر الموسوم

---

[٤٢] من تراثنا القديم ، مجلة المجمع ١٤: ٥٨ .

(أنساب الأشراف) بهذا المعنى ولا صلة له بفن الأنساب المتعارف عند المتأخرين[٤٣] ، ثم أصيبت دلالة هذه الكلمة بالتطور الدلالي فضاق المعنى وأصبحت تدل مخصوصة بأنساب الهاشميين والعلويين .

ومن هنا ارتكز الشيخ الشبيبيّ في الرد على صاحب أضخم وأشمل كتاب تعريفيّ في العصر الحديث وهو الحاج خليفة في كتابه كشف الظنون الذي عرف علم الأنساب بأنه : (علم يتعرف منه أنساب الناس وقواعده الكلية والجزئية) ، معقبا بتهكمٍ – وليس كعاده في البحث – : ((ثم يتبجح الحاج خليفة قائلا : وهذا العلم من زياداتي على مفتاح دار السعادة . والعجب من ذلك الفاضل كيف غفل عنه مع أنه عِلمٌ مشهور وقد صنفوا فيه كتبا كثيرة)) [٤٤].

أما القسم الثاني فخصصه الشيخ للمصطلحات المهنية الواردة في كتاب الأنساب ، مرتبة على الحروف الهجائية ليسهل على القارئ الوصول إليها ، سواء ما نُسِب بالياء أو بصيغ معهودة قياسية ك (فعّال) أو صيغ سماعية ك (البار) نسبة إلى حفر البئر وعملها ، صانعا بذلك معجما لغويا تاريخيا فريدا ، مع شرح للكلمات بشكل مختصرة ، إذ بلغ عدد الكلمات المُحصاة في الكتاب مئة وتسعين مصطلحا[٤٥].

---

[٤٣] مجلة المجمع ١٤: ٥٥ .

[٤٤] م.ن١٤: ٥٦ .

[٤٥] م.ن :١٤: ٦٢-٧٣ ، وهذا يؤكد دعوتنا سابقا بضرورة مخاطبة الجهات القائمة على المعجم التاريخي بضروري الاطلاع على نِتاج الشيخ ، فهذا المعجم سيُسهّل عليهم الكثير من الوقت ، ويحفظ لشيخنا حقه في توثيق هذه الكلمات تاريخيا.

القسم الثالث ، البحوث التاريخية ، وتميزت البحوث التاريخية الصرف ، بالأصالة ، ودقة الموضوع ، واللغة السهلة ، فيستحق الشيخ أن يُعَدّ عالما في التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر ، لأن بحوثه حوت القديم والجديد ، فهو يوثق للتاريخ القديم ويسلط الضوء على جزئية كان الظلام ساترها ، ويعالج الحديث المعاصر ويطرح المشكلات ويذكر أسبابها ، ولا يغفل في مطاوي بحوثه من أن يُعَدِّد الأسباب لحلّها ، فلم يكن كاتبا تاريخيا يُسَطِّر الأحداث على أسلات أقلامه ، بل كان باحثا معالجا في كل أيامه ، يعيش آلام أمَّتِهِ في حِلِّهِ وترحاله . وتقع في ضمن هذه البحوث القديم والحديث ، وقد يجمع بينهما ، وهي على النحو الآتي :

١- ابن خِلِّكان المؤرخ .

٢- البلويّ في كتابه ألف باء .

٣- بين مصر والعراق في ميدان العلاقات الثقافية .

٤- ثقافتنا اللغوية في عصر المغول بقسمين .

٥- العرب الأولون والثقافة اللغوية .

٦- في تاريخ اللهجة المصرية .

٧- القاضي ابن خلّكان ومنهجه في الضبط والإتقان .

٨- مصادر الشك في كتاب العين.

٩- النهضة الأدبية في العراق .

١٠- وشائج القربى بين مصر والعراق.

وسنقف عند اثنين من بحوثه ، وهما:

أ- البلويّ في كتابه ألف باء ، عرّف الشيخ الشبيبيّ بمؤلف الكتاب أولا على العكس ممّا فعله مع السمعاني فقد عرّف به متأخرا ، ويَعتقد الشيخُ أن البلويَّ الذي هو علم من أعلام صدر المئة السابعة قد سبق ابن خلدون في الالتفات إلى موضوعات علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، ويرى أنه أديب مغمور لم يستوف ترجمته المؤرخون وأصحاب الطبقات مع أنه صنّف أكثر من كتاب ، وكتابه هذا من أجود مؤلفاته[٤٦].

شرع الشيخ الشبيبي في ذكر مشايخ البلويّ ، وتصانيفه ، واهتماماته ، وذكر معاصريه ، وفلسفته التي وصفها بالتشاؤم عادا إيّاه حاذيا حذو أبي العلاء المعريّ في ثورته على المجتمع والحياة ، ثم يشرع بذكر فوائد الكتاب ، وهي عبارة عن فهرسة لبعض البحوث الأدبية واللغوية والتاريخية في كتابه ، فمثلا يذكر

ص٢٣: يستفاد منها مشاركته في مختلف العلوم

ص٧٢ : فصل لغوي ممتع في الفرق بين قولهم : (فلان أعجم أو أعجمي)

ص١٥٩-١٦٠ : لطيفة في التصحيف (عن القول)

وهكذا يصنع الشيخ مسردا تفصيلا لمختلف القضايا التي وردت في الكتاب ، وهذه مزية انفرد بها شيخنا الشبيبيّ التي لم أجدها عند غيره السادة الأعضاء ، إذ يمكننا الإفادة من هذه الطريقة بفوائد عديدة ، منها :

---

(٤٦) محاضر الدورة ٣١: ١٤٧ .

١- التسهيل على القارئ المطالع ، لسهولة الوصول إلى مايريده .
٢- هذه الطريقة تُمكِّن الدارسين الذين يهتمون ببلوغرافيا الكتب .
٣- تبين قراءتنا للكتاب المدروس بشكل تفصيليّ.
٤- تُعَدُّ طريقة جيدة لاختصار الكتب.

وأعتقد أن هذه الطريقة لم تكن قبل الشيخ الشبيبيّ فيما نطالعه من مصادر في تلك المدة الزمنية ، بل شاعت واشتهرت في الكتب المطبوعة بعده ، وحوت بعض كتب التحقيق على مسارد تفصيلية للموضوعات ، كما فعلها الدكتور عبد السلام هارون في تحقيقه لكتاب سيبويه . ولاسيَّما أن الكثير من تلك الكتب القديمة لم تراع المنهج في تأليفها.

وقد نال الشيخ الشبيبيّ على بحثه هذا الثناء الكبير من لدن أعضاء المجمع كغيره من البحوث ، ودعا الأستاذ الشيخ محمد علي النجار المجمعَ أن يطبع هذا الكتاب في ختام الجلسة .

بحث (وشائج القربى بين مصر والعراق)

من منطلق الرباط العربي وتوحيد الشعوب العربية كتب الشيخ الشبيبيّ هذا البحث في الدورة الأخير في حياته ، التي دعا فيها المجمع إلى الانعقاد ببغداد ، وكشف البحث العلاقات التي تربط البلدين والخصائص المشتركة الجغرافية والاجتماعية وطبيعة السكان .

فأرَّخ لارتباط البلدين من الحضارات الأولى ، وبيَّن الخصائص المشتركة بين المصرين والعراقيين من التشبث بالتربة وكراهية التحول أو الهجرة عنها ، وإلى الثروة الكامنة في سقي الرافدين وسقي النيل ، وكثرة الرحلة إليهما في

سبيل طلب العلم وذلك لاستقرار جمهرة من الحفاظ والأئمة في البلدين خلال العصور وكثيرا ما نجدهم يقولون في مجمعات المُحَدِّثين والرواة : لفلان رحلة إلى العراق ، والديار المصرية.مشيرا إلى انتقال بعض القبائل العراقية إلى أرض مصر من قديم كقبيلة من (الأزد) الذين نفاهم زياد بن أبيه إلى مصر ، واتخذوا سوقا بمصر سُمِّيَ ب(سويقة العراقيين) (٤٧).

ثم يشرع في ذكرالتطور التاريخي في العلاقات وكيفية انتقال الخلافة العباسية من بعد غزو المغول إلى مصر ، ذاكرا بعضا من كتب التاريخ القديمة التي وثَّقت تلك العلاقة . إلى أن ينتهي بمظاهر التعاون الثقافي بين البلدين في العصر الحديث ، وكيفية تأثر العراقيين بالأساتذة المصريين وبمؤلفاتهم ، ما أُلقى بظلاله على تأليف الكتب المدرسية في العراق التي حفلت بذكر النصوص والمحفوظات من الشعراء والمترسلين المُحدَثين أو المتأخرين من المصريين ، معرجا على المهرجانات والمؤتمرات التي جمعت علماء ومثقفي البلدين ، ذاكرا أول مؤتمر طبيّ عربيّ حديث يعقد بالعراق ، وهو المؤتمر الطبيّ العاشر الذي عُقِدَ بمبنى الكلية الطبية ببغداد عام ١٩٣٨م(٤٨).

القسم الرابع ، التحقيق

قَدَّم الشيخُ الشبيبيّ في مسيرته بالمجمع دراسات حول بعض الكتب التاريخية داعيا إلى الاهتمام بها وتحقيقها ودراستها ، وقَدَّم للمجمع في دورته

---

(٤٧) محاضر الدورة ٣١ : ٢١-٢٢ .

(٤٨) م.ن ٣١ : ٢٣-٢٦ .

العشرين بحثا يتضمن تحقيقا لكتاب (النيروز) ، وهو الكتاب الوحيد الذي قَدَّمه في دورات المجمع مُحَقِّقًا ، وهو للعلامة أبي الحسن (ابن فارس) ، صاحب مصنف (الصاحبي) و(معجم مقاييس اللغة) . وكتاب النيروز كتاب صغير الحجم لا يعدو الصفحة أو الاثنتين .

أوضح الشيخُ الشبيبيّ غرضَ المؤلف في جمع ما ورد من الكلمات على زنة (فيعول) . وبيَّن الشيخ أن بعضا من تلكم الكلمات كان مأنوسا مستساغا في العصر الأمويّ وصدر العباسيّ ، لكن الأمر ليس كذلك فيما تلاه من العصور ، إذ أصبحت تلك الكلمات غريبة في الشعر والأدب ، ذلك أننا لانجد في شعر فحول الشعراء من مصر والعراق والشام من الكلمات الواردة في كتاب (النيروز) إلّا قليلا ، وهي قليلة عند السابقين كأبي تمام والبحتري وغيرهما[٤٩].

وهنا يفرض الشيخُ الشبيبيُ تساؤلا على طريقة القدماء ، وهو فإن قيل : ولماذا إذن يُعنَى ابن فارس بتدوين تلك الكلمات ؟ فيجيب قائلا : إنه يجري في هذا الباب على مذهب معروف لأئمة اللغة الأقدمين[٥٠].

ويشرح الشيخ كيفية الحصول على هذه النسخة في أعقاب الحرب العالمية الأولى[٥١] ، الذي قال إنه سينقلها بتصرفٍ قليلٍ لايعدو حذف

---

(٤٩) مجلة المجمع١٠: ٣٩ .

(٥٠) مجلة المجمع١٠: ٣٩ .

(٥١) ويسميها العامة في كل استعمالاته لوصف هذه الحرب آنذاك ، ويبدو أنها لم تكن تلاقي اعتراضا على وصفها ومفهومة للمتلقين .

الأسانيد وبعض الشواهد وما إلى ذلك ، وقد اشتمل الكتاب ما خلا كلمة نيروز على(ثمان وعشرين) كلمة.

صَدَّر الفقرةَ بذكر الكلمة أو اثنتين أو ثلاث ، ثم يذكر معناها[٥٢] ، ويذكر شواهدها النثرية أو الشعرية باختصار شديد ، نحو:

أيلول

وهو اسم شهر غير عربي[*] ، وفيه يقول الشاعر:

مضى أيلولُ وارتفع الحرورُ

وأذكت نارها الشعرى العبور

بيروت

اسم بلد

الديجور .. الزيتون

الديجور الظلام والجمع دياجير ، والزيتون فيما يقال جبل أو مسجد ، وذلك في قوله جل شأنه (والتين والزيتون) ، والزيتون ، هو: المأكول

الديهوع .. السيهوك .. السيهوج

الديهوق : الجوع الشديد . والسيهوك والسيهوج : اسمان للريح العاصفة .

وبعد هذا التَّطْواف بين جدران مجمع القاهرة ، متنفسين نسيم العلم والمعرفة ، وآكلين من مائدة المثابرة والجدَّة ، وشاربين من منهل المياه

---

[٥٢] مجلة المجمع١٠: ٤٠-٤١ .

[*] ثبت أن أسماء الشهور : كانون ، شباط ....) اكدية عراقية ليست أجنبية .

العذبة ، نصل في بحثنا المتواضع هذا إلى نهايته ، وقد اشتد ساعد الباحث حين كتابته ، وزادت ثقته بعربيته ، وافتخر بابن بلده ، الذي كان قبسا يُضاء به ظلمته ، فهنيئا للعراق وللأمة هذا العَلَم ، الذي حوى العلمَ والفهمَ ، والخبرةَ والمعرفةَ ، والأخلاقَ والمُروءةَ ، وكان فخرا لتمثيل بلده ، وحِصنا منيعا للدفاع عن لغته ، فنعما به من إنسان .

الخاتمـة :

سنعرض فيها أهم النتائج التي يُسِّر البحث تدوينها عبر ما لمسه من ومضات من مسيرة الشيخ في المجمع المصري

١- ضرورة فتح الباب مجددا لإحياء التعاون بين مجمعَي العراق ومصر.

٢- الاهتمام باللغة العربية ، وعدم إهمالها بحجج واهية ، كعدم قدرتها على استيعاب الجديد ، ومواجهة التحديات .

٣- الاهتمام بالموروث اللغويّ والتاريخيّ ، دراسةً ونقدا وتحقيقا .

٤- تطوير العلوم البينية وتوجيه الباحثين للخوض فيها ، لأن التواشج والترابط بين العلوم أصبح حقيقية لا تنكر ، واللغة هي وعاء الفكر ، فتستطيع أن تدخل وتتداخل مع بقية العلوم .

٥- الاهتمام بالعلماء وهم أحياء ، والاحتفاء بهم ، لا أن ننتظر رحيلهم لتذكرهم ، فهم أوتاد هذه الأرض .

٦- إنَّ الاهتمام باللغة والانتماء القومي لا يتعارض مع الدين ، وشخينا الراحل أعطى درسا في ذلك .

٧- إنَّ الأخلاق الحميدة يجب أن ترتفع مع صاحبها كلما زاد بسطةً في العلم ، فبرحيلها لا فائدة من العلم كلّه ، وقد أعطانا الشيخ الشبيبيّ مثالا حيا في ذلك .

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١- التطوّر اللغوي في الصحافة العراقية في المقالة والأُقصوصة بين عامي ١٨٦٩-١٩٢١، حسام عبد علي محمد حسين (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،١٩٨٠م .

٢- الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث ، الدكتور محمد علي الزركان ، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب ، ط١، ١٩٩٨م .

٣- القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة جمعا ودراسة وتقويما إلى نهاية الدورة الحادية والستين عام ١٩٩٥م ، خالد بن سعود بن فارس العصيميّ ، دار التدمرية ، السعودية ، ط١، ٢٠٠٢م .

٤- مجلة مجمع اللغة العربية المصري ، المجمع المصري ، وقد أُشير إلى أعدادها في مواطنه .

٥- مجمع اللغة العربية في خمسين عاما ، الدكتور شوقي ضيف ، مجمع اللغة العربية المصري ، القاهرة ، ط١، ١٩٨٤م .

٦- المجمعيون ، القسم الثاني ، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ، الدكتور محمد مهدي علّام ، منشورات المجمع ، طبع الهيئة العامة ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .

٧- المجمعيون في العراق ١٩٤٧-١٩٩٧، إعداد صباح ياسين الأعظمي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،١٩٩٧م .

٨- محاضر الجلسات لدورات الانعقاد لمجمع اللغة العربية المصري ، المجمع المصري ، وقد أُشير إلى الدورات في مواطنه .

٩- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة المصري ، دار الدعوة ، (ط.د) ١٩٨٨م.

١٠- مع الخالدين ، الدكتور إبراهيم مدكور ، مجمع اللغة العربية المصري ، ط١، ١٩٨١م .

١١- معايير مجمعَي اللغة العربية السوري والمصري في التصحيح اللغوي في القرن العشرين ، أنور شناوي ذياب ، أُطروحة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٦م .

١٢- من أعلام الثقافة العربية ، معجم تراجم ، مجمع اللغة العربية المصري ، ط١، ٢٠١٦م .

١٣- مناهج التصحيح اللغوي في الرسائل الجامعية في العراق إلى عام ٢٠٠٨م ، رسالة ماجستير ، أنور شناوي ذياب ، كلية ألآداب ، جامعة بغداد ،٢٠١١م .

النزعة الإصلاحية المجتمعية وتكامل الدور السياسي
(محمد رضا الشبيبي أنموذجا)

الدكتورة ظفر عبد مطر التميمي
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

الملخص :

إن فكرة الإصلاح فكرة قديمة قدم الإنسانية ، تجلى ظهورها الأول في دعوات الأنبياء والمرسلين ، لتصبح قانونا إلهيا ، استمد البشر منه لاحقا الأسس التي أقاموا عليها مدنهم وإمبراطورياتهم ، ثم ظهرت في كتابات قدماء المفكرين اليونان من أمثال أفلاطون وأرسطو الكثير من الأفكار الإصلاحية مثل العدالة والقوانين وتنظيم المجتمع والدولة والاستقرار السياسي والتوزيع العادل للثروة وغيرها ، التي كانت بمثابة الدليل لإقامة مجتمعات متحضرة ودول آمنة مسالمة . ويمكن القول أن الإصلاح والتكامل مصطلحان مكملان لبعضهما ضمن أبجدية السياسة فاحدهما يقود إلى الآخر . إن فكرة الإصلاح كانت ولم تزل الهدف الأسمى للعديد من الفلاسفة والقادة والحركات السياسية والاجتماعية في مختلف أرجاء العالم ، فضلا عن كونها موضوعا رئيسا في النظريات السياسية للفلاسفة والمفكرين . ومن نتائج الإصلاح هو أن يكون هناك تكامل فكري وتطبيقي . إن دعاة الإصلاح عادة ما يستندون في دعواتهم الإصلاحية إلى عقيدة فكرية تساعدهم في تبرير الأفكار الإصلاحية والدفاع عنها ، فالخطاب الإصلاحي المستند إلى عقيدة يتميز بوضوح الرؤية وقوة

الحجة ، وعلى سبيل المثال فان العلمانية والديمقراطية والعقلانية والمواطنة هي عقائد يمكن لقادة الإصلاح الاستناد عليها في دفاعهم أو تبريرهم لتوجهاتهم الإصلاحية وإقناع الجماهير بضرورتها . إلا انه ليس من الضروري أن تكون جميع الدعوات الإصلاحية نتاج عقائد سياسية ، وقد كان محمد رضا الشبيبي بارعا في التعبير عن حاجة العراق إلى انتهاج أسلوب حديث في جميع مفاصل المجتمع والدولة .

عاصر الشبيبي في العهد الملكي أوضاعا سياسية استثنائية تراوحت بين الإفراط في تغيير الوزارات وتكرار أشخاصها وتزايد التوجه نحو تعطيل الدستور وفرض الأحكام العرفية . ومنذ انتخاب أول مجلس نيابي (١٩٢٥) ولغاية نهاية المرحلة الملكية تم انتخاب ستة عشر مجلسا نيابيا . وفيما عدا مجلس واحد (الدورة التاسعة : ١٩٣٩- ١٩٤٣) تعرضت بقية المجالس إلى الحل قبل استكمال دوراتها (أربع سنوات) ، ومن خلال هذه الأحداث السياسية التي شهدها العراق خلال العهد الملكي وعاصرها الشبيبي نلاحظ انه قطع شوطا كبيرا في التنظير السياسي الذي رافق التقدم الحاصل وقتها نظرا للتحولات التي مر بها العراق كدونة ناشئة وانتقاله من مجموعة ولايات خاضعة للدولة العثمانية إلى دولة لها كيانها السياسي المستقل ونظام الحكم على أسس قانونية ، إذ وضع الحجر الأساسي للنظام الدستوري الجديد بعد صدور القانون الأساسي عام ١٩٢٥ الذي يعد نقطة تحول على مستوى تنظيم الحياة العامة في البلاد وأصبح للمرة الأولى في تاريخه الحديث ، نظاما برلمانيا ديمقراطيا ، متمتعا بالأحزاب السياسية ، فضلا عن الاعتراف بالعراق دولة مستقلة

رسميا بعد حصوله على عضوية عصبة الأمم ، كما شهد المجتمع العراقي تطورا ملموسا خلال تلك الفترة وأصبحت للعراق علاقات اقتصادية مع دول العالم المختلفة ، كما أصبح له جيش قوي مارس دورا فعالا في جميع المعارك التي خاضها ، وازداد الوعي الثقافي للمجتمع نسبيا . وكل ذلك حصل لارتباط الإصلاح برغبة واضحة من سياسيي العراق وقادته بالوصول إلى حالة من التكامل في الأدوار المنوطة بكل جهة ، وحتى قبل سقوط النظام الملكي لم يكن العراق اقل مستوى ، سواء على الصعيد الثقافي أو الاقتصادي أو الاجتماعي ، من معظم الدول العربية المستقلة الأخرى ووفقا للإمكانيات الاقتصادية التي كانت متوفرة خلال العهد الملكي تحت ظل التحديات العديدة التي واجهتها الحكومات العراقية التي تشكلت خلال ذلك العهد . إن ما تحقق يعد بمثابة تقدم كبير ساهم في وضع الأسس الأولى لعملية الإصلاح للبنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع العراقي على الرغم من كل السلبيات التي رافقت ذلك وذلك لغرض الوصول إلى حالة تكاملية ناجحة .

المقدمة :-

شكل العراق طوال مسيرة تاريخية امتدت بضعة آلاف من السنين علامة فارقة ومميزة في تاريخ الحضارة الإنسانية ، سواء قبل الميلاد أو بعد ظهور عدد من الإمبراطوريات التي شكل العراق مركزا لها وازدادت أهمية العراق في العصر الحديث بسبب عوامل عديدة جديدة أهمها موقعه المتوسط في العالم بين مجموعة من الدول التي تستطيع أن تؤثر فيه ويؤثر فيها بسبب تشابه الأصول العرقية والمذهبية . وقد ترافق مع هذا التاريخ الوافر للعراق أن زخر بالعديد من المصلحين والدعاة والمفكرين والفلاسفة الذين أثروا في المجتمع العراقي على اختلاف الأزمنة التي عاشوا فيها ، ويكاد يشترك الجميع بأنهم كانوا أولا وأخيرا يرغبون بتهذيب المجتمع ورفعه إلى أعلى حالات التسامي الإنساني والابتعاد عن المؤثرات السلبية داخليا وخارجيا . فكان الإصلاح عنوانهم المعبر عن تلقائية وشفافية ونقاء أفكارهم وأهدافهم . إن فكرة الإصلاح فكرة قديمة قدم الإنسانية ، تجلى ظهورها الأول في دعوات الأنبياء والمرسلين ، لتصبح قانونا إلهيا ، استمد البشر منه لاحقا الأسس التي أقاموا عليها مدنهم وإمبراطورياتهم ، ثم ظهرت في كتابات قدماء المفكرين اليونان من أمثال أفلاطون وأرسطو الكثير من الأفكار الإصلاحية مثل العدالة والقوانين وتنظيم المجتمع والدولة والاستقرار السياسي والتوزيع العادل للثروة وغيرها ، التي كانت بمثابة الدليل لإقامة مجتمعات متحضرة ودول آمنة مسالمة . ويمكن القول أن الإصلاح والتكامل مصطلحان مكملان لبعضهما ضمن أبجدية السياسة فاحدهما يقود إلى الآخر . إن فكرة الإصلاح كانت ولم تزل الهدف الأسمى للعديد من الفلاسفة والقادة والحركات السياسية

والاجتماعية في مختلف أرجاء العالم ، فضلا عن كونها موضوعا رئيسا في النظريات السياسية للفلاسفة والمفكرين . ومن نتائج الإصلاح هو أن يكون هناك تكامل فكري وتطبيقي . إن دعاة الإصلاح عادة ما يستندون في دعواتهم الإصلاحية إلى عقيدة فكرية تساعدهم في تبرير الأفكار الإصلاحية والدفاع عنها ، فالخطاب الإصلاحي المستند إلى عقيدة يتميز بوضوح الرؤية وقوة الحجة ، وعلى سبيل المثال فان العلمانية والديمقراطية والعقلانية والمواطنة هي عقائد يمكن لقادة الإصلاح الاستناد اليها في دفاعهم أو تبريرهم لتوجهاتهم الإصلاحية وإقناع الجماهير بضرورتها . إلا انه ليس من الضروري أن تكون الدعوات الإصلاحية كلها نتاج عقائد سياسية ، وقد كان محمد رضا الشبيبي بارعا في التعبير عن حاجة العراق إلى انتهاج أسلوب حديث في جميع مفاصل المجتمع والدولة .

عاصر الشبيبي في العهد المَلكي أوضاعا سياسية استثنائية تراوحت بين الإفراط في تغيير الوزارات وتكرار أشخاصها وتزايد التوجه نحو تعطيل الدستور وفرض الأحكام العرفية . ومنذ انتخاب أول مجلس نيابي (١٩٢٥) ولغاية نهاية المرحلة المَلكية تم انتخاب ستة عشر مجلسا نيابيا . وفيما عدا مجلس واحد (الدورة التاسعة : ١٩٣٩- ١٩٤٣) تعرضت بقية المجالس إلى الحل قبل استكمال دوراتها (أربع سنوات) ومن خلال هذه الأحداث السياسية التي شهدها العراق خلال العهد الملكي وعاصرها الشبيبي ، نلاحظ انه قطع شوطا كبيرا في التنظير السياسي الذي رافق التقدم الحاصل وقتها نظرا للتحولات التي مر بها العراق كدولة ناشئة وانتقاله من مجموعة ولايات خاضعة للدولة العثمانية إلى دولة لها كيانها السياسي المستقل ونظام الحكم

على أسس قانونية ، إذ وضع الحجر الأساسي للنظام الدستوري الجديد بعد صدور القانون الأساسي عام ١٩٢٥ الذي يعد نقطة تحول على مستوى تنظيم الحياة العامة في البلاد وأصبح وللمرة الأولى في تاريخه الحديث ، نظام برلماني ديمقراطي ، متمتعا بالأحزاب السياسية ، فضلا عن الاعتراف بالعراق دولة مستقلة رسميا بعد حصوله على عضوية عصبة الأمم، كما شهد المجتمع العراقي تطورا ملموسا خلال تلك الفترة وأصبحت للعراق علاقات اقتصادية مع دول العالم المختلفة ، كما أصبح له جيش قوي مارس دورا فعالا في جميع المعارك التي خاضها ، وازداد الوعي الثقافي للمجتمع نسبيا . وكل ذلك حصل لارتباط الإصلاح برغبة واضحة من سياسيي العراق وقادته بالوصول إلى حالة من التكامل في الأدوار المنوطة بكل جهة . وحتى قبل سقوط النظام الملكي لم يكن العراق اقل مستوى ، سواء على الصعيد الثقافي أو الاقتصادي أو الاجتماعي ، من معظم الدول العربية المستقلة الأخرى ووفقا للإمكانيات الاقتصادية التي كانت متوفرة خلال العهد الملكي وتحت ظل التحديات العديدة التي واجهتها الحكومات العراقية التي تشكلت خلال ذلك العهد . إن ما تحقق يعد بمثابة تقدم كبير ساهم في وضع الأسس الأولى لعملية الإصلاح للبنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع العراقي على الرغم من كل السلبيات التي رافقت ذلك وذلك لغرض الوصول إلى حالة تكاملية ناجحة .

إشكالية البحث :-

عندما ننظر إلى العراق بعد عام ٢٠٠٣ نلاحظ وجود فرق شاسع ليس في طبيعة النظام السياسي وتوجهاته بشكل عام فحسب ، بل في معظم مؤسساته يرافقها ما يمكن أن نسميه بحالة من الشرود السياسي والابتعاد عن التعامل مع الوقائع والمستجدات بكل سلبياتها وايجابياتها ، ويعود ذلك إلى أسباب عدة لعل من أبرزها افتقار النظام السياسي العراقي في الوقت الحاضر إلى شخصيات وكيانات سياسية أكثر عمقا وفهما وتجذرا بالواقع المجتمعي ، وصعوبة إيجاد شخصيات سياسية مؤثرة كما في السابق ، عندما تعامل الشبيبي مع واقع العراق بحكمة واوجد خطا منهجيا في إرساء أسس الدولة الحديثة حتى عندما كان معارضا ضمن مجلس النواب .

أهمية البحث :-

إن أهمية البحث تكمن في أن تطابق الإصلاح الذي تقوم به الدولة العراقية الحديثة هو جزء لا يتجزأ من التكامل السياسي لدورها في المنطقة والعالم . وان الرجوع إلى تاريخ العراق الحديث ومصلحيه من المفكرين والمثقفين ومثالنا هنا الشيخ محمد رضا الشبيبي سيكون ملهما وضامنا في ذات الوقت للدعوات الإصلاحية الجارية في الوقت الحاضر . نعم هناك الكثير من الدراسات التي تنشغل بمواضيع عدة تمس الإصلاح والتكامل بشكل أو بآخر ، وثقافة العدالة الاجتماعية ، ولكنها لم تستفد مما لجأ إليه مفكري العراق أمثال الشبيبي وغيره من طرق منهجية ضامنة لوحدة العراق واستقراره ودوره الفاعل . لذا فأن هذه الدراسة مهمة في مجالها لا لكونها

تنصب بموضوع سيرة المصلح السياسي الشبيبي فحسب ، بل لأنها توجه حواسنا نحو مفهوم الإصلاح وشخصياته الرائدة التي كان لها عظيم الأثر في إنتاج مجتمع واع ومثقف يطالب بحقوقه بأسلوب ديمقراطي ، لغرض بناء نظام الحكم الصالح والرشيد الذي يتسع لكل أبناء الوطن الواحد ، بعيدا عن الاستبداد والعنف والدكتاتورية .

هدف البحث :-

يهدف البحث إلى دراسة اثر شخصية الشبيبي ومسيرته الإصلاحية في بناء الأسس الأولى للنظام السياسي الديمقراطي البرلماني في العراق وعلاقته بالشخوص السياسية الحاكمة آنذاك ، والبحث عن أفضل السبل والوسائل لاستلهام العبر والدروس من تجربته تحت قبة مجلس النواب كمؤيد تارة ومعارض تارة أخرى لتحقيق دولة ديمقراطية يتمتع فيها المواطن العراقي بالحقوق الإنسانية التي حددتها العقائد السماوية والمواثيق والقوانين الوضعية ، ويهدف البحث إلى نقل صورة واقعية للتخلف عن ركب الدول ، وعدم الاستفادة من الإرث التاريخي الثقافي والحضاري المتنوع لبناء واقع يتمتع فيه الإنسان العراقي بالحقوق المشروعة .

فرضية البحث :-

ينطلق البحث من فرضية مفادها :- أن ما يعزز دور النظام السياسي الحالي في العراق هو رجوعه إلى تجارب المصلحين في فترة سابقة من عمر العراق السياسي الحديث ، ليكون ضابطا وضامنا يمنع انحراف القوى السياسية عن مسارها الصحيح ، ويوجهها لبناء نظام حكم صالح ورشيد .

منهجية البحث :-

إن منهج البحث المعتمد هو المنهج التاريخي التحليلي الذي يحاول استلهام الدروس من ماضي العراق عبر تحليل الدور الإصلاحي للمفكر الشبيبي ، والانتقال من مرحلة الماضي للحاضر والنظر إلى المستقبل في ضوء ما وصل إليه العراق في ظل المتغيرات المتلاحقة .

هيكلية البحث :-

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث فضلا عن الخاتمة ، وقد انشغل المبحث الأول في البحث ضمن بدايات المصلح الشيخ محمد رضا الشبيبي ، في حين انشغل المبحث الثاني في البحث ضمن الحياة السياسية للشبيبي ، في حين كان المبحث الثالث يتناول الرؤية الإصلاحية للشبيبي .

المبحث الأول :- بدايات المصلح السياسي الشيخ محمد رضا الشبيبي .

في إطار إلقاء الضوء وفقا للمنهج العلمي على شخصيات عراقية ملهمة ذات نزعة إصلاحية مجتمعية زخر بها تاريخ العراق السياسي الحديث ، التي شهد لها تاريخها المشرف بحرصها الشديد على الحفاظ على امن العراق ووحدته واستقلاله على الرغم من صعوبة المرحلة التي كان يمر فيها العراق فيما مضى من تاريخه ، ومع بيان حاجة العراق اليوم إلى استنباط الدروس والعبر ومحاولة المقاربة بين الشخصيات السياسية الفاعلة في الماضي القريب مع الشخصيات السياسية المعاصرة لنا ، تظهر لنا من بين صفحات التاريخ شخصية محمد رضا الشبيبي السياسي المصلح والناقد والمعارض والمنقذ للعراق من أزمات عدة ، والذي حاول جاهدا أن يساهم في تأسيس الدولة العراقية الحديثة وكان له ذلك بالفعل ، فترك لنا أثرا كبيرا من التراث الثقافي والاجتماعي والسياسي ، الذي لم يلتفت له الكثير من المهتمين بالشأن السياسي ، علما أن من المتعارف عليه في ميادين البحث والتقصي السياسي بأن العودة إلى التاريخ ودراسته والإفادة منه هي إحدى وسائل نجاح الحكومات واستقرار الدول .

ولد أشهر أعلام الأدب ووجه العراق الناصع الشيخ محمد رضا ابن الشيخ جواد ابن الشيخ محمد بن شبيب بن إبراهيم صقر البطائحي النجفي ، الشبيبي الأديب والمفكر والسياسي المصلح في مدينة النجف الاشرف في العراق في يوم ٦ من شهر رمضان عام ١٣٠٦ هـ الموافق لعام ١٨٨٩ ، ويرجع الشبيبي في أصوله العربية إلى قبيلة بني أسد العريقة التي سكنت في منطقة الجبايش من محافظة ذي قار في بادئ الأمر ، وقد انتقلت اسرته إلى

المدينة المقدسة فتلقّى دراسته في مدارسها الدينية ، ونشأ في رعاية والده الذي كان أديبا وشاعرا ، ودرس محمد رضا علومه الأولى في الكتّاب ، ثم درس علوم اللغة العربية والمنطق والفقه والأدب ، ثم انتقل إلى الثقافة الحديثة فدرس الفلسفة وغيرها من العلوم ، وذلك بعد أن انقطع عن إكمال مراحل الدراسة التقليدية في النجف بعد اجتياز المرحلة الأولى منها أي المقدمات ، ليتجه اتجاها خاصا بعد أن شعر بالنفور منها بسبب ما لمسه من جمود وتقيد فيها ، فاتجه إلى الدراسة الحرة والتفكير المجرد ، فكان لذلك الأثر الكبير على رؤيته المعاصرة إلى العراق وأحواله التي سبقت أقرانه ، وأقبل على المطالعة والتزوّد من معين العلم والثقافة حتّى احتلّ مكانة مرموقة بين علماء عصره ، جاب كثيرا من البلاد العربية منها سوريا ، السعودية ، مصر ، وشغل عدّة مناصب دينية وسياسية ؛ اختير رئيسا للمجمع العلمي العراقي ، ونادي القلم ، كما انتُخب رئيسا لمجلس الأعيان عام ١٩٣٥ ومجلس النوّاب عام ١٩٤٤، ورئيسا للجبهة الشعبية المتحدة ، وشغل منصبا وزاريا في الدولة هو وزارة المعارف عدّة مرّات (من ١٩٢٤– وحتى ١٩٤٨) ، وكان عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، والمجمع اللغوي في القاهرة [1] . ويعد الشبيبي في طليعة حاملي مشعل الحركة الفكرية والنهضة الوطنية في العراق ، فقد جاهد في إحياء الثقافة والآداب العربية ، وطرق جميع الفنون فنظم في التربية والسياسة والوصف والغزل والوجدانيات

---

[1] مير بصري ، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ، دار الحرية ، بغداد ، العراق ، ١٩٧١، ص١٤٩.

والوطنيات ، كما قام أيام الثورة العراقية بخدمات جليلة ومهام خطيرة لصالح بلده العراق .[٢]

إن مثل هذه السيرة الحافلة بالمنجزات كان لها دور كبير في عمل مجلس النواب ، فكانت خطوات الشبيبي ايجابية دائما وهو يؤدي دور المعارض الناصح ، إذ حدد مواقع الخلل وطرح البدائل وأنصت جيدا للرأي المعارض ، وهي حالة نفتقدها اليوم ضمن أبجديات العمل السياسي ، فنلاحظ أن معظم آليات العمل السياسي تتدرج إما في إطار التوافق التام أو المعارضة قلبا وقالبا من دون العمل على توفير الخطط البديلة .

يمتاز الشبيبي بكونه شخصية متعددة الجوانب وقد تقلب في المناصب وهي تزدهي به وتفتخر بكماله وببزته الروحية وكأنه زان المناصب ولم تزنه ، منحته مصر شهادة الدكتوراه في الآداب دون أن يطلبها ، وله آثار علمية وأدبية وفلسفية وتاريخية منها (تاريخ الفلسفة) من أقدم عصورها ومنها (أدب النظر في فن المناظرة) و(التذكرة) وديوان شعر طبع سنة ١٣٥٩ و(فلاسفة اليهود في الإسلام) و(المأنوس في لغة القاموس) و(المسألة العراقية) وهو تاريخ مطول لبلدة النجف الاشرف مع تطور العلم والآداب فيها و(مؤرخ العراق ابن الفوطي) في عدة أجزاء طبع الأول منها في

---

[٢] السيد جواد شبر ، أدب الطف أو شعراء الحسين (عليه السلام) من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر الهجري ، الجزء العاشر ، من منشورات مؤسسة الإعلامية للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٩ .

عام ١٣٧٠ وقام بنشره المجمع العلمي العراقي [٣]. ومناصبه التي شغلها بالدولة هي :- [٤]

١- وزير للمعارف ١٩٢٤

٢- عضو مجلس نواب ١٩٢٥، ١٩٣٣، ١٩٣٤

٣-عضو مجلس الأعيان ١٩٣٥

٤- وزير للمعارف ١٩٣٥ للمرة الثانية

٥- رئيس مجلس الأعيان ١٩٣٧

٦- وزير للمعارف ١٩٣٧ للمرة الثالثة إلى ١٩٤١

٧- رئيس مجلس النواب ١٩٤٤

٨- رئيس المجمع العلمي العراقي ١٩٤٨

٩- وزير للمعارف ١٩٤٨ للمرة الرابعة

١٠-عضو مجلس الأعيان ١٩٥٤ حتى قيام ثورة تموز ١٩٥٨

وبالنظر إلى هذا الكم الكبير من المناصب التي تقلدها الشبيبي ، نستطيع الوصول إلى استنتاج مفاده :- أولا ، أن معظم الشخصيات السياسية الفاعلة في ذلك الوقت ومنها الشبيبي ، كانت تتحصل على أكثر من جانب معرفي مما مكنها من شغل مواقع مهمة داخل الحكومة العراقية ،

---

[٣] موقع مؤسسة السبطين العالمية http://www.sibtayn.com

[٤] مير بصري ، نفس المصدر السابق .

ثانيا ، أن الدولة العراقية كانت تعنى بالركون إلى من يمتلك القدرة على التأثير في القرار السياسي وذلك بالاعتماد على ذوي الرأي الراجح ممن لهم مكانة كبيرة لدى مجموع الشعب العراقي ، وان شخصا مثل الشبيبي كان معروفا لدى عامة الشعب وله رصيد كبير من الثقة يؤهله لتولي مثل تلك المناصب ، ثالثا ، انتفاء حالة المحاصصة الحزبية ضمن مؤسسات الدولة العراقية آنذاك ، إذ ليس هناك أي مؤشر على وجود معارضة قد سجلت تاريخيا ضد تولي الشبيبي إحدى هذه المناصب أو تكالب الآخرين عليها .

أسهم الشبيبي في الثورة ضد بريطانيا ، وأيد الدستور العثماني عام ١٩٠٨ ، وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى ، تطوع الشبيبي بقيادة العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي إلى جانب الجيش التركي ، وحضر معركة الشعيبة وقد تولى مسؤولية مكتب النجف لجمعية الاتحاد والترقي التي عملت على إقامة حكومة وطنية ، وكان وثيق الصلة بالبلاط الملكي الهاشمي ، فأدى أدوارا سياسية بارزة منها سفره إلى السعودية أو ما كان يعرف وقتها باسم بلاد الحجاز لمقابلة الملك الحسين بن علي في إطار التأسيس للمملكة فسمي بـ (سفير ثورة العشرين) ، ذلك أنه استطاع أن يصل لقائد الثورة العربية الشريف حسين في الحجاز والتي اندلعت عام ١٩١٦ بعد أن حمل مطالب وتواقيع العراقيين بأختيار أحد أنجال الشريف حسين ملكا على العراق في الاصل : وأسس المجمع العلمي العراقي وكان رئيسا له الى أن استقال عام ١٩٦٣م بعد مجيء حزب البعث للسلطة عقب الانقلاب على حكم رئيس وزراء الأسبق الزعيم عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣م .

والصحيح أنه انتخب رئيسا للمجمع العلمي سنة ١٩٤٨م وترك الرئاسة في سنة ١٩٤٩م . وبعد شهر شباط سنة ١٩٦٣م عين رئيسا للمجمع وظل رئيسه الى أن توفاه الله في تشرين الثاني سنة ١٩٦٥م . وكان من المعارضين المعتدلين للسياسة البريطانية في العراق وأية سياسة أجنبية أخرى .[٥]

كان للشيخ مكانته الإجتماعية والثقافية الأدبية المتميزة والمهمة حتى توفاه الله بعد عودة له من سفره إلى القدس وشيعته جماهير العراق في مسيرات حافلة كما شيّعه الكثيرون من الأدباء والشعراء وكتبوا القصائد التأبينية بحق الراحل الكبير .[٦]

وعن مشاركاته في مجلس النواب ومجلس الأعيان ، ففي عام ١٩٢٤ انتخب نائبا في المجلس النيابي ومنذ تلك السنة دخل المعترك السياسي حتى صار احد ابرز أعضاء مجلس النواب العراقي طوال فترة العهد الملكي فقد كان عضوا لثماني دورات برلمانية من أصل ١٦ دورة في ذلك العهد ، وانتخب الشبيبي رئيسا لمجلس النواب مرتين متتاليتين منذ عام ١٩٤٤ ، أما مشاركاته في مجلس الأعيان فقد اصدر الملك غازي إرادة ملكية بذلك في عام ١٩٣٥ واحتفظ بعضويته لعام ١٩٣٨ ، واختير مرة ثانية في شباط ١٩٥٤ بإرادة ملكية من فيصل الثاني واحتفظ بهذه العضوية حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بالرغم من أن الشبيبي كان من المتحمسين لاختيار فيصل

---

[٥] موقع ويكيبيديا :- https://ar.wikipedia.org/wiki

[٦] عامر هشام الصفّار ، الشاعر الشيخ محمد رضا الشبيبي في ذكرى رحيله الخمسين ، مقال منشور ، موقع أقلام .

ملكا على العراق ، وعن دوره في تأسيس نادي القلم ومن ثم المجمع العلمي العراقي ، فقد اشترك في تأسيس نادي القلم سنة ١٩٣٤ مع نخبة من المفكرين منهم جميل صدقي الزهاوي وعباس العزاوي والدكتور محمد فاضل الجمالي ومحمد باقر الشبيبي ، فكان عضوا في هيئتها الإدارية ثم رئيسا للنادي بعد وفاة الزهاوي عام ١٩٣٦ أما عن المجمع العلمي العراقي فقد أدى دورا متميزا في مرحلة تأسيسه عام ١٩٤٨ ، إذ أنيط به رئاسة هيئة لاختيار الشخصيات العلمية المؤهلة للعضوية ، وفي أول اجتماع للمجمع العلمي العراقي انتخب الشبيبي بالإجماع أول رئيس لأول مجمع علمي عراقي فكان ذلك تشريفا له .[٧]

المبحث الثاني :- الحياة السياسية للشبيبي .

كان الشيخ محمد رضا الشبيبي من السباقين إلى الكتابة في السياسة والمواقف والأحداث المحلية ، وكان يكتب في تحليل هذه الأحداث وتوثيقها من خلال إعطائها وصفا دقيقا للظروف المحيطة بها .[٨] فنشط الشبيبي سياسا في العهد الملكي ، وكانت له صولات وجولات وحضور من اجل إقامة حياة حزبية علنية لضمان الممارسة الديمقراطية ، وحقق الشبيبي العديد من المنجزات عندما تسلم وزراة المعارف ، وكان له دور متميز في إقناع

---

[٧] حيدر الحيدر ، ٤٨ عاما لرحيل محمد رضا الشبيبي ، مقال منشور ، الحوار المتمدن ، ع ٤٢٨٥ ، ٢٠١٣ .

[٨] كمال لطيف سالم ، الشاعر محمد رضا الشبيبي ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٩ .

المسؤولين لتأسيس مجمع علمي عراقي وتأسس المجمع المجمع العلمي العرقي وانتخب الشبيبي رئيسا لأول مجمع علمي عراقي (٩) . إن التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدها العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هيأت الأرضية المناسبة لأن يجتاز العراق مرحلة صعبة ، وكان لهذه التطورات الأثر الكبير في ظهور النخبة المثقفة في العراق في العهد الملكي بين (١٩٢١-١٩٥٨) وكان من بينهم الشبيبي ، إلا أن النخبة المثقفة العراقية أستمدت جذورها الفكرية بعد إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ إذ أصبح لها وزن سياسي وفكري ، وأصبح للنخبة المثقفة دورهم وحضورهم الفاعل والمؤثر في معظم الأحداث السياسية المهمة التي شهدها العراق في تلك المرحلة ، وربطوا لأول مرة بين الأقتصاد والنضال الوطني من خلال إيجاد أدوات اجتماعية وتنظيمات سياسية من أجل تحقيق مصالحها وطموحاتها في إقامة النظام الذي حلم به العراقي عقود طويلة ، وتحول دورها للاندماج بالتيار الإصلاحي الاجتماعي وعندما جاء الأحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤ أصبح للمثقفين المجددين دورهم وحضورهم الفاعل في الأحداث السياسية التي شهدها العراق في تلك المرحلة .(١٠)

---

(٩) ينظر في : مازن لطيف ، العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي ، كتابات في الميزان ، مقال منشور ، ٢٠١١ ، .http://www.kitabat

(١٠) مفيد الزيدي ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق قراءة في كتاب عبد الرزاق النصيري ، مؤسسة النور للثقافة والإعلام ، ٢٠١٢ .

لا يمكننا الفصل بأي حال بين الجانب الأدبي والفكري لهذه الشخصية وبين جانبها السياسي ، فقد مثل الشبيبي واحدا من اكبر الشخصيات التي أدت دورا أساسيا ومؤثرا في السياسة العراقية في الفترة التي نشط فيها (العهد العثماني ، عهد الاحتلال البريطاني والعهد الملكي وسنوات الانتداب وحتى عهد تأسيس جمهورية العراق الحديثة) (١٩٠٨-١٩٦٥) ، ويظهر دوره السياسي جليا في المناصب العديدة التي تقلدها خلال حياته اعتبارا من وزارة المعارف حتى مجلس الأعيان ومجلس النواب ودوره في حركة المعارضة فيه في العهد الملكي ، إذ عرف بالجرأة والصراحة وعدم المبالاة والمداهنة على حساب مبادئه ووطنه ، كما كانت له إسهامات سياسية خارج العراق تمثلت في رحلاته إلى الأردن والحجاز ، كما أولى الشبيبي اهتمامه بالقضايا الإجتماعية وكان إنسانيا في تفكيره ، يتعامل مع القضايا المحيطة به تعاملا شاملا يرتقي في بعض الأحيان إلى المستوى الإنساني الشمولي العالمي ، وتأثر الشبيبي في أفكاره الإصلاحية والسياسية بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا التحررية الإصلاحية التي كانت تصل العراق عن طريق مجلتي العروة الوثقى والمنار وغيرهما ، كما تركت ثورة الاتحاديين عام ١٩٠٨ تأثيرا كبيرا في الشبيبي ، وكان أهم ما دفع الشبيبي إلى الترحيب بثورة الإتحاديين هو ما علقه من آمال كبيرة عليها بأن تؤدي إلى انعتاق العراق من مشكلاته الاجتماعية والإقتصادية والسياسية التي تفاقمت بصورة خاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) فكان من شأن شعارات الإتحاديين (الحرية والعدالة والمساواة) أن تهز وطنيا متحمسا ومخلصا مثل الشبيبي ، ولكن سرعان ما أصيب الشبيبي

كأقرانه الوطنيين بخيبة أمل كبيرة من سياسة الإتحاديين التي انصبت في اتجاه قومي متعصب معاد للطموحات المشروعة للشعوب غير التركية في الإمبراطورية العثمانية ، فالنهضة التي يتطلع لها الشبيبي لابد أن يساهم أبناء شعبه فيها ، إلا أنه يرى شبابا لا يدركون معنى الإصلاح وقيمة الفكر التجديدي ، وشيبا عاجزين عن فعل شيء .[١١]

إن تقصي الأحداث التي عاصرها الشبيبي في ذلك الوقت تظهر لنا أنه الشبيبي لم يكن ليعمل بمفرده ، بل كان هناك الكثير من الدعم المقدم من القاعدة الشعبية والجماهيرية المحيطة به ، التي كانت تتمتع بمقدار عال من الوعي والحرص والوطنية ، وللمقارنة بين عصر الشبيبي والوقت الراهن ، يظهر لنا وبما لا يقبل الشك بأن القاعدة الجماهيرية قد تعرضت لحالة من الاختراق والشك وعدم الثقة بالقياديين المتواجدين على الساحة العراقية ، أي حصول نوع من الاغتراب بين السياسي العراقي والمواطن البسيط الذي علق آماله العريضة على القيادة السياسية في عراق ما بعد ٢٠٠٣ لغرض إيجاد طريق نحو الاصلاح والبناء .

أن الفترة التي عاش فيها الشيخ الشبيبي وما تتطلبه من الإحاطة والدراية والاتصال من اجل أن يكون ملما بالشأن العالمي ، أوجدت لديه حسا صحفيا رائعا أضاف للجانب السياسي لديه الشيء الكثير ، لذلك نجد أن إجادة الشيخ الشبيبي في تحليل المواقف العالمية يدل على قدرته العالية في

---

[١١] سعدي غزاي عمران ، محمد رضا الشبيبي عندما يكون السياسي شاعرا ، مقال منشور ، جريدة المدى اليومية ، ٢٠١٢ . للمزيد انظر :- أحمد حامد الشربتي ، الشبيبي في حكمه وأمثاله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٢.

التواصل والاتصال والمعرفة بمجريات السياسة والمواقف الدولية وما يجول تحت أروقة الساسة ودهاليزها .(١٢)

التزم الشبيبي جانب المعارضة ، وكان الشبيبي العين التي أبصرت مطاليب الجماهير ، فانبرى الشبيبي قائلا في إحدى المناسبات :- ((لابد لي قبل كل شيء من القول بأننا كنا معارضين وسنبقى معارضين في هذه القاعة ولكننا لسنا معارضين للمعارضة ، وطالما فضلنا راحة الضمير على البقاء في الهيئات النيابية فنحن معارضون لكل سياسة هوجاء غاشمة معارضون لكل سياسة تستهدف المنافع والمغانم والدسائس والمؤامرات والاستئثار بالحكم كما أننا سنكون مؤيدين لكل سياسة تستهدف الإصلاح... تستهدف العمل والإنتاج تستهدف العدل إلى غير ذلك)) ، وكان قد طالب بعدم زج الجيش في السياسة ، كدليل منه على احترام رغبة الشعب العراقي في توزيع الاختصاصات ضمن مؤسسة الدولة العراقية وطرح تساؤلات عديدة منها :- ((لماذا تحرم الأمة من خبرة أبنائها الأكفاء ؟)) وهو يعني أن الذين يتولون المسؤولية لا يخضعون لمعايير الكفاءة بل هم مفروضون من قبل الأجنبي الذي يتدخل في الشؤون الخاصة ، وظل يعدد الفروق بين جيلين مؤكدا تأييده إلى جيل النهوض الواعي الذي تحتم الضرورة الوطنية الاعتماد عليه ، ثم دعا إلى قطع دابر الانشقاق والانقسام والأنانية مؤكدا الدعوة إلى إعطاء كل ذي حق حقه وتوحيد الصف الوطني لعملية نهوض شاملة وتوفير فرص حرية الفكر في القول والخطابة ، وعليه تظل الرؤية

---

(١٢) مجلة العرفان (١-٤) ١٩٠٩م- ١٣٢٧ هـ ص١٨٥، وص١٤٢، وم٢٤ ج٩ (١٣٥٢هـ- ١٩٥٨م) ص٩٥١.

السياسية لفكر الشبيبي واضحة الأهداف ، مفتوحة العوالم ، جريئة ، شجاعة أسهمت جذور التربية البيئية النجفية في تقويم صلابتها وطرحها فكرا نيرا يغترف من معين المصلحة العامة كفكر رافض للتخلف وداعم إلى تثبيت مقومات بناء المجتمع المدني الأفضل .[١٣]

وفي مثال عن إدارة الشبيبي وآرائه في بعض المواقف والأزمات الدولية في ذلك الوقت ، ففي الوقت الذي كان العالم تحكمه قوتين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (سابقا) ، رأى بعض الساسة العراقيين التحالف مع إحدى هاتين القوتين ، فكان نوري السعيد وفاضل الجمالي من أشد المتحمسين لإنشاء تحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية ، فيما كان الشبيبي وآخرون يفضلون موقف الحياد الايجابي ، فعندما عرضت بنود المعاهدة المقترحة بين العراق وتركيا وطرحت في مجلس النواب ، وهي تفضي في نهاية المطاف إلى تورط العراق في الحرب ، وهنا أبدى الشبيبي خشيته من هذه المعاهدة وأكد أنه لا يجوز ((لدولة صغيرة مثل العراق أن تزج نفسها في مُعترك لا ناقة لها فيه ولا جمل)) ، ولذا كان الشبيبي واحدا من الذي وقعوا على (بيان الحياد) الشهير، الذي أشار إلى :- ((أن أعظم نعمة نبتغيها هي نعمة السلام، والتخلص من الاستعمار ، والتمتع بحياة سياسية حُرّة ، والحصول على استقلال كامل غير منقوص ، وضمان تمتع الشعب العراقي بحقوقه الدستورية التي مازال محروما من التمتع بها ، ورغبة منا في تحقيق ذلك نعلن أن الانحياز إلى كتلة من الكتلتين المتنازعتين

---

[١٣] فاخر الداغري ، محمد رضا الشبيبي رؤية سياسية واضحة ، مقال منشور ، صحيفة الصباح ، شبكة الإعلام العراقي ، بغداد ، العراق ، ٢٠١٣ .

سواء كان ذلك في الحرب الباردة القائمة بينهما ، أم الاصطدام المسلح الذي يُحتمل أن يقوم ، مما يُعرض البلاد العربية عامة والعراق خاصة إلى أخطارٍ جسيمة تجلب إلينا الكوارث والدمار ، وتلقي بأبنائنا إلى التهلكة ، أو قد تؤدي بكياننا في سبيل مطامع استعمارية لا شأن لنا بها)) . [١٤]

إن هذه المواقف وغيرها تبين لنا مدى اهتمام ساسة العراق سابقا ومنهم الشبيبي بالحياة السياسية خارج حدود العراق ، واستعراض أهميتها وأثرها في مستقبل العراق ، والرغبة الشديدة في رسم سياسة خارجية خاصة بالدولة العراقية تضمن له مستقبلا واعدا ، وهذا يعني وجود حالة من الاستقلالية السياسية في صنع القرار وتصديره ، إن حياة الدول وهيبتها ومكانتها إنما يعتمد في بادئ الأمر على قوة صنع القرار السياسي داخليا ومدى القدرة على إظهار التماسك والتلاحم في المواقف ، حتى مع اختلاف الرؤى والتطلعات ، وقد قطع العراق شوطا طويلا في هذا المجال منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة ، وكانت الأحداث الجارية على مستوى العالم تصقل وباستمرار مواهب الساسة العراقيين وتضع لهم أدوارا تتناسب وبشكل كبير مع الثقافة السائدة لدى المواطن العراقي والذي كانت تحكمه تنازعات وتناقضات اقل حدة من الآن .

---

[١٤] علي عبد شناوه ، محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي والفكري حتى العام ١٩٦٥، بيت الحكمة ، بغداد ، العراق ، ٢٠٠٣ ، ص٢٩٢.

المبحث الثالث :- الرؤية الإصلاحية لدى الشبيبي .

الإصلاح لغة من فعل أصلح يصلح إصلاحا ، أي إزالة الفساد بين القوم ، والتوفيق بينهم وهو نقيض الفساد ، فالإصلاح هو :- التغير إلى إستقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة ، ومن هذا التعريف يتبين أن كلمة إصلاح تطلق على ما هو مادي ، وعلى ما هو معنوي ، فالمقصود بالإصلاح من الناحية اللغوية :- الانتقال أو التغير من حال إلى حال أحسن ، أو التحول عن شيء والانصراف عنه إلى سواه ، وقد ورد لفظ الإصلاح في القرآن الكريم في أكثر من سورة مثل قوله تعالى:- ((وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ)) . [١٥] وقوله مخاطبا فرعون :- ((إنْ تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض ، وما تريد أن تكون من المصلحين)) . [١٦] أما إصطلاحا فيعرف قاموس أكسفورد الإصلاح بأنه :- تغير أو تبديل نحو الأفضل في حالة الأشياء ذات النقائص ، ولاسيما في المؤسسات والممارسات السياسية الفاسدة أو الجائرة ، إزالة بعض التعسف أو الخطأ ، الإصلاح يوازي فكرة التقدم ، وينطوي جوهريا على فكرة التغيير نحو الأفضل ، ولاسيما التغير الأكثر ملاءمة من أجل تحقيق الأهداف الموضوعية من قبل أصحاب القرار في حقل معين من حقول النشاط الإنساني . [١٧]

---

[١٥] القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٢٠ .

[١٦] القرآن الكريم ، سورة القصص ، الآية ١٩ .

[١٧] احمد إبراهيم الورتي ، مشاريع الإصلاح في الشرق الأوسط ، دار السلام ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص٢٩ .

ويعرف قاموس ويبستر للمصطلحات السياسية الإصلاح السياسي بأنه :- تحسين النظام السياسي من أجل إزالة الفساد والاستبداد ، ويعد الإصلاح السياسي ركنا أساسيا مرسخا للحكم الصالح ، ومن مظاهره سيادة القانون والشفافية والمشاركة الشعبية في إتخاذ القرار والعدل وفعالية الإنجاز وكفاءة الإدارة و المحاسبة والمسائلة والرؤية الإستراتيجية ، وهو تجديد للحياة السياسية ، وتصحيح لمساراتها ، ولصيغها الدستورية ، والقانونية ، بما يضمن توافقا عاما للدستور ، وسيادة للقانون ، وفصلا للسلطات ، وتحديدا للعلاقات فيما بينها وهو التعريف الذي يتبناه برنامج الأمم المتحدة لإدارة الحكم في الدول العربية . (١٨)

إن مفهوم الإصلاح في نهاية الأمر مفهوم فكري ، يمتلك دلالته الخاصة لدى كل فئة من فئات المجتمع ، فما يسميه بعضهم إصلاح ، هو عند الآخر تخريب ، وما يسميه الآخرون تقدما ، هو عند الآخرين قد يعتبر تراجعا ، كل ذلك يعتمد على الرؤية الفكرية لدى كل شريحة أو فئة إجتماعية ، ونعني بالرؤية الفكرية :- مجموعة القيم والتقاليد والعادات والأفكار التي لدى الأفراد والجماعات ، والتي من خلالها تتعامل مع ذاتها ومع الآخر والمجتمع والكون ، إن جميع المصلحين وعبر التاريخ ، كان شعارهم الدائم والمعبر عن جوهر رسالتهم هو الإصلاح ، إذ أن قيام المجتمع على أساس من الإصلاح ، ونهوض قواه ونخبه وطلائعه وأبنائه بواجب الإصلاح ، سبب رئيس في بناء المجتمعات واستمرارها ونمائها ،

---

(١٨) محمد محمود السيد ، مفهوم الإصلاح السياسي ، مقال منشور ، الحوار المتمدن ، ع ٣٥٥٥ ، ٢٠١١ .

قال تعالى :- ((وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)) .[١٩] فالنفس الإنسانية ، دونما طمس لوعيها أو لفطرتها المشتركة ، تمقت الركود والركون إلى الدعة والكسل ، وكذلك التنميط وعدم الفاعلية ، كما تكره الظلم والقهر والإستبداد والفساد بجميع صوره ومستوياته ، ومما لا شك فيه إن الحياة لا يمكن أن تستمر بلا إصلاح ، ومنذ بداية عصر النهضة في القرن التاسع عشر ، كان الهم الرئيس للنخب العربية هو الإصلاح ، سواء الإصلاح السياسي أم الديني أم الإصلاح الثقافي ، وقد نهض بذلك رجال مصلحون كبار ، واستمرت شعلة الإصلاح يحملها مفكرون مستنيرون ، إن الإصلاح الذي يأتي إكتشافا لوعي حضاري ، لا يكتفي بالحاجة إلى إخراج العراق من كهف المأساة ، وظلمة القهر ، ومستنقع الفساد فحسب ، بل إصلاح يتبنى مشروعا وطنيا مستقبليا شاملا ، يستهدف إدخال المجتمع العراقي إلى الحداثة وروح العصر ، إصلاح يأخذ بمفهوم المنظومة المتكاملة ، بحيث يكون هناك إندماج ذاتي في كونية القيم والمفاهيم المؤسسة لأي تغيير يهدف إلى تنمية الإنسان والنهوض بالمجتمع ، مثل الديمقراطية والحداثة والتنمية وحقوق الإنسان ، مع المحافظة على خصوصية البلاد وثوابتها العقدية في التعامل مع هذه القيم .[٢٠]

إذن الإصلاح هو:- التغيير والتعديل نحو الأفضل لوضع شاذ أو سيء ، ولا سيما في ممارسات وسلوكيات مؤسسات فاسدة

---

[١٩] القرآن الكريم ، سورة هود ، الآية ١١٧ .

[٢٠] الرؤية الفكرية لمفهوم الإصلاح لدى حركة الحل ، مقال منشور ، الحركة الوطنية للإصلاح والتنمية ،٢٠١٣ http://www.alhalnews.com

أو متسلطة أو مجتمعات متخلفة أو إزالة ظلم أو تصحيح خطأ أو تصحيح إعوجاج [٢١] . والإصلاح سيكون في هذه الحالة :- خطوات فعالة وجدية تقوم بها الحكومات والمجتمع المدني نحو إيجاد نظم ديمقراطية حقيقية تكون فيها الحرية القيمة العظمى والأساسية وأن يحكم الشعب نفسه بنفسه من خلال التعددية السياسية التي تؤدي إلى تداول السلطات ، وتقوم على احترام جميع الحقوق مع وجود مؤسسات سياسية فعالة على رأسها التشريعية المنتخبة ، والقضاء المستقل والحكومة الخاضعة للمساءلة الدستورية والشعبية والأحزاب السياسية بكل تنوعاتها الفكرية [٢٢]. بينما التكامل السياسي المؤسسي يعني :- وجود مؤسسات وتنظيمات سياسية فوق قومية وذات سلطة إلزامية ويمكن التعرف على قوة المؤسسات السياسية للعملية التكاملية من حجم الميزانية والأجهزة الإدارية للمؤسسات التكاملية ، ويكون التكامل في مجال رسم السياسات عبر التنسيق بشأنها ، ويمكن قياس ذلك بتحديد الأنشطة والقطاعات المتعلقة برسم السياسات التي يمكن أن تشملها العملية التكاملية كالعلاقات الخارجية ، والأمن العام ، حقوق الملكية ، والحقوق المدنية ، والتعليم ، الصحة ، والمرافق العامة ، ثم تحديد الأنشطة والقطاعات

---

[٢١] عبدالاله بلقزيز ، أسئلة الفكر العربي المعاصر ، مطبعة النجاح الأبوبية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٨ ، ص ١٣ .

[٢٢] ينظر في : محمد تركي بني سلامة ، الإصلاح السياسي دراسة نظرية ، موقع شبكة دهشة ، ٢٠١٠ ، http://www.dahsha.com

التي تشملها العملية التكاملية علما أن نجاح التكامل الدولي يتطلب وجود مجتمع آمن [٢٣].

لقد حاول الشبيبي من خلال أدبه وقصائده المنتقدة للواقع العراقي ومن خلال دوره النيابي أن يتبنى منهجا إصلاحيا معتدلا يستند إلى مجموعة القيم والمعتقدات التي تشكل الظاهرة العراقية الحديثة ولكنها في ذات الوقت متأثرة بالتوجه الغربي نحو المفاهيم المعتدلة التي تساهم في بناء مجتمعات الشرق الأوسط ومنها العراق ، وذلك في إطار سعيه إلى إيجاد حالة تكاملية بين السياسة والاقتصاد والثقافة العراقية ، ولم يكن الشبيبي حداثويا متطرفا ، كما لم يكن راديكاليا صعب المراس ، بكل كان يحاول بث روح المغامرة والتحدي ضمن البيئة الشبابية لغرض اللحاق بركب المجتمعات المتقدمة .

إن عملية الإصلاح لا تحدث من فراغ ولا تنطلق لمجرد الرغبة في التغيير ، إذ لابد من توافر بيئة مناسبة أو ظروف موضوعية تدفع باتجاه الإصلاح ، وذلك لتجنب الآثار السلبية المترتبة على بقاء الوضع على ما هو عليه من خمود وجمود ، ولاستعراض هذه الظروف والكيفية التي تتم فيها عملية الإصلاح وحجم أو درجة الإصلاح المطلوب، فانه لا بد من الإشارة إلى الحقائق الآتية :- [٢٤]

١- إن الإصلاح عادة ما يتم في ظروف الأزمة ، فنقطة الانطلاق هي الأزمة التي تمثل خطرا أو تحديا للنظام القائم ، وبالتالي لابد من التصدي

---

[٢٣] ناهد سيد أمين ، التكامل الدولي ، مقال منشور ، ٢٠١١ ، http://www.elsyasi.com

[٢٤] محمد محمود السيد ، المصدر السابق .

لهذه الأزمة باتخاذ قرارات حاسمة وإجراء إصلاحات جذرية ، وقد تكون الأزمة خارجية تهدد امن واستقرار أو كيان الدول ، فالخطر الخارجي هو الذي دفع بالقادة العثمانيين إلى إجراء إصلاحات عسكرية ، وذلك للدفاع عن سيادة وأمن الإمبراطورية في وجه التهديدات والأطماع الخارجية للدولة الأوروبية ، وقد تكون الأزمة ناتجة عن عوامل داخلية مثل تردي الأوضاع الاقتصادية أو عدم الاستقرار السياسي أو فقدان الشرعية في نظام الحكم ، أو هذه العوامل مجتمعة بحيث يكون الإصلاح هو الاستجابة العقلانية لمواجهة هذه الظروف الصعبة .

٢- إن دعاة الإصلاح عادة ما يستندون في دعواتهم الإصلاحية إلى عقيدة فكرية تساعدهم في تبرير الأفكار الإصلاحية والدفاع عنها ، فالخطاب الإصلاحي المستند إلى عقيدة يتميز بوضوح الرؤية وقوة الحجة عند المبادرة أو المشاركة أو حتى عند النقاش ، فالعلمانية والديمقراطية والعقلانية والمواطنة هي جميعا عقائد يمكن لقادة الإصلاح الاستناد عليها في دفاعهم أو تبريرهم لتوجهاتهم الإصلاحية وإقناع الجماهير بضرورتها .

٣- أن الإصلاح الذي يأتي بمبادرة من القائد ومن هم حوله لابد من أن يدفع نحو توسيع قاعدة المشاركة السياسية ، وخلق عناصر وفئات تستفيد من عملية الإصلاح حتى يكتب له النجاح والاستمرارية ، أي خلق جبهة للإصلاح ، فكلما اتسعت قاعدة المشاركة في عملية الإصلاح كلما زادت شرعية الإصلاحات ، وبالتالي لابد من أن يؤدي الإصلاح إلى حراك اجتماعي وخلق إرادة مجتمعية .

ومن خلال ادوار الشبيبي المتنوعة نجد انه اتجه ضمنا نحو الإصلاح المجتمعي ، إذ يهتم الإصلاح المجتمعي بإصلاح أحوال المجتمع وانحرافات الناس ، وشيوع الجرائم بين أفراد المجتمع ، والعلاج المناسب لذلك كله ، وقد يختلف معي بعض الناس فيقدمون الإصلاح السياسي أو الاقتصادي على الإصلاح الاجتماعي ، والإصلاح المجتمعي يأتي على رأس الأولويات ، ويشكل حجر الزاوية في عملية الإصلاح ، فالسياسي يخرج من المجتمع الصالح ، والاقتصادي يخرج من المجتمع الصالح ، والمعلم الذي يصلح أحوال التعليم ويصوب الأفكار يخرج من المجتمع ، وفي هذا يصف الرسول (ﷺ) حال المجتمع بحال ركاب السفينة ، إذ يكون بعضهم في أعلاها ، وبعضهم الأخر في أدناها ، فالذين في أدناها لا يأخذون حاجتهم من الماء إلا بالمرور على من كان في أعلاها ، ثم أرادوا أن يخرقوها حتى لا يمروا على من فوقهم [٢٥]

وبناءً على ما تقدم ، فإن إدارة الدولة تتم في أكثر دول العالم الحرة وغير الحرة من خلال بنيتين متكاملتين ، كان للعراق الحديث نصيب منهما ، وهما :- [٢٦]

---

[٢٥] بكر مصطفى طعمه بني أرشيد ، الإصلاح الاجتماعي وأثره في تحقيق الأمن الاجتماعي في ضوء نصوص الوحي ، المؤتمر الثاني لكلية الشريعة بعنوان الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي ، جامعة آل البيت ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ٢٠١٣ .

[٢٦] ينظر في : عمار الجبر ، كيف يتكامل الأفراد لتشكيل الدولة ، مدونة https://ammaraljer.wordpress.com/2016

أولاً :- البنية المنتخبة المركزية ممثلة بمجلس النواب وبرئيس الدولة أو رئيس الوزراء وما يديرونهما من مؤسسات مركزية تتمثل في إدارة الوزارات والإدارات وإدارة المحافظين وما يتبع لهم تشمل عادة سلطات ثلاث قضائية وتشريعية وتنفيذية وهي سلطات مستقلة في ظاهر الأمر .

ثانياً :- بنية الإدارات المحلية ، إذ ينتخب المواطن مباشرة وبدون أي تدخل من قبل الإدارة المركزية مجلس الحي والمدينة والمحافظة .

تحافظ هاتان البنيتان المترافقتان على هوية الشعوب وعلى تاريخها وعلى أملاكها وعلى ثقافتها وتسمح بوجود طريقة للتعبير عن الإرادة الجماعية على عدة مستويات وتسمح لمكونات البلاد المختلفة بالتواجد والتكامل والتنسيق بين مصالح الفرد وبين مصالح الجماعات الصغيرة ، وكذلك بين مصالح الجماعات الصغيرة والكبيرة .

لقد أثمرت محاولات الشبيبي في صنع حالة من الوعي الجماهيري ، ورغبة متواصلة في معرفة الكثير عن عمل مؤسسات الدولة العراقية ، ولذا يمكننا اعتبار الشبيبي من اوئل السياسيين العراقيين الذين لم يقتصر عملهم على البحث في الشأن السياسي فحسب ، بل في دمج الأفكار الإصلاحية بالحاجة المجتمعية وبالتكامل السياسي لدور الدولة ، وكان من الذين أسهموا في إعطاء دور ايجابي لصفة المعارض السياسي ضمن عمل الحكومة العراقية .

الخاتمة :-

إن معاودة الاصلاح بأسلوب ديمقراطي ضمن مؤسسات الدولة العراقية واستعادة هيبة الدولة يكون بالتأكيد في إطار احترام القانون والالتزام به ، وبإتمام تشكيل المؤسسات الدستورية مع الحرص على تحقيق أقصى درجات التكامل والانسجام السياسي والمجتمعي ، والرجوع إلى الدروس التاريخية السابقة ، التي مثلها مصلحون كبار كانوا حريصون كل الحرص على إرساء دعائم الدولة العراقية الحديثة . إن الاصلاح السياسي والمجتمعي يأتي متزامنا مع التهديد الخطير والمتمثل بالإرهاب ومكافحته والقضاء عليه باعتماد خطة شاملة ، باعتباره تحديا كلّف البلاد خسائر جسيمة وأثّر سلبا في أوضاعها ومثّل تهديدا جديًا للانتقال الديمقراطيّ والاقتصادي والسّلم الاجتماعي .

إنّ الدولة الديمقراطيّة القائمة على فهم الحقوق والحريات هي الكفيلة بالتصدّي لأي ظاهرة تهدد عملية الاصلاح المجتمعي . ويعد العراق بلدا حافلا بالعديد من التجارب السياسية التي مثلت منعطفا خطيرا في تاريخه . يحتاج العراق إلى الحفاظ على المناخ الديمقراطيّ السليم وعلى سياسة التوافق ، وتوسيع المشاركة السياسيّة ، وتعزيز الوحدة الوطنيّة ، والسماح للقدرات الشبابية بأخذ فرصتها ، طالما لا يتعارض ذلك مع القانون ولا يخل بالأمن الوطني، فبقدر ما يكون المشهد السياسي متماسكا وموحّدا يكون المستقبل أوضح ، وكلما كان المناخ الاجتماعي مستقرا نكون قد حصنا فلذات أكبادنا من آفة الإرهاب ومن غيرها من الجرائم المنظمة .

إنّ الغد واعد بالأمل ومفعم بالتفاؤل وغزير بالفرص من أجل نهضة العراق ورفعة مجتمعه وازدهاره ، مستقبل يليق بالعراق وحضاراته القديمة ، لا يظلم فيه أحد ولا يجوع فيه مواطن .

المصـــادر :-

١. القران الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٢٠ .

٢. القرآن الكريم ، سورة القصص ، الآية ١٩ .

٣. القرآن الكريم ، سورة هود ، الآية ١١٧ .

٤. احمد إبراهيم الورتي ، مشاريع الإصلاح في الشرق الأوسط ، دار السلام ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٠ .

٥. أحمد حامد الشربتي ، الشبيبي في حكمه وأمثاله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٢.

٦. الرؤية الفكرية لمفهوم الإصلاح لدى حركة الحل ، مقال منشور ، الحركة الوطنية للإصلاح والتنمية ، ٢٠١٣ .

٧. السيد جواد شبر ، أدب الطف أو شعراء الحسين(عليه السلام) من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر الهجري ، الجزء العاشر ، من منشورات مؤسسة الإعلامية للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٩ .

٨. بكر مصطفى طعمه بني أرشيد ، الإصلاح الاجتماعي وأثره في تحقيق الأمن الاجتماعي في ضوء نصوص الوحي ، المؤتمر الثاني لكلية الشريعة بعنوان الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي ، جامعة آل البيت ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ٢٠١٣ .

٩. حيدر الحيدر ، ٤٨ عاما لرحيل محمد رضا الشبيبي ، مقال منشور ، الحوار المتمدن ، ع ٤٢٨٥ ، ٢٠١٣ .

١٠. سعدي غزاي عمران ، محمد رضا الشبيبي عندما يكون السياسي شاعرا ، مقال منشور ، جريدة المدى اليومية ، ٢٠١٢ .

١١. عامر هشام الصفار ، الشاعر الشيخ محمد رضا الشبيبي في ذكرى رحيله الخمسين، مقال منشور، موقع أقلام .

١٢. عبد الاله بلقزيز، أسئلة الفكر العربي المعاصر ، مطبعة النجاح الأيوبية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٨ .

١٣. علي عبد شناوه ، محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي والفكري حتى العام ١٩٦٥، بيت الحكمة ، بغداد ، العراق ، ٢٠٠٣ .

١٤. عمار الجبر ، كيف يتكامل الأفراد لتشكيل الدولة ، مدونة https://ammaraljer.wordpress.com/2016

١٥. فاخر الداغري ، محمد رضا الشبيبي رؤية سياسية واضحة ، مقال منشور ، صحيفة الصباح ، شبكة الإعلام العراقي ، بغداد ، العراق ، ٢٠١٣ .

١٦.كمال لطيف سالم ، الشاعر محمد رضا الشبيبي ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٩ .

١٧.مازن لطيف ، العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي ، كتابات في الميزان ، مقال منشور ، موقع كتابات ،٢٠١١ .

١٨. مجلة العرفان (١-٤) ١٩٠٩م- ١٣٢٧ هـ ، وم٢٤ ج٩ (١٣٥٢هـ-١٩٥٨م) .

١٩.محمد تركي بني سلامة ، الإصلاح السياسي دراسة نظرية ، موقع شبكة دهشة ، ٢٠١٠

٢٠.محمد محمود السيد ، مفهوم الإصلاح السياسي ، مقال منشور ، الحوار المتمدن ، ع ٣٥٥٥ ، ٢٠١١ .

٢١.مفيد الزيدي ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق قراءة في كتاب عبد الرزاق النصيري ، مؤسسة النور للثقافة والإعلام ، ٢٠١٢ .

٢٢.موقع مؤسسة السبطين العالمية http://www.sibtayn.com

٢٣.موقع ويكيبيديا :- https://ar.wikipedia.org/wiki

٢٤.مير بصري ، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ، دار الحرية ، بغداد ، العراق ، ١٩٧١ .

٢٥.ناهد سيد أمين ، التكامل الدولي ، مقال منشور ، موقع السياسي ، ٢٠١١

الحماسة في شعر الشبيبي

الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم حُوَّر
عضو مجمع اللغة العربية الأردني — عمان

الملخص :

ضمَّ ديوان محمد رضا الشبيبي عدة أغراض شعرية منها الحماسة وقد وقف البحث عند هذا الغرض الذي يوضح موقف الشاعر من القضايا الوطنية والعربية التي كان يؤمن بها ويعمل من أجلها .

(١)

تكاد تكون مفردات : المحاربة ، والشجاعة ، والحماسة ، والشدة ، والمنع ، والفروسية ، والبطولة ، مترادفة في دلالتها في الشعر الجاهلي . وهذا ما اتفقت عليه المعاجم العربية ، والدراسات التي عنيت بهذا المفهوم في الشعر العربي القديم .

وحين كتب أبوتمام كتاب " الحماسة " كان رائدا في هذا الباب ، وبات مصطلح " الحماسة " غالبا على هذا الفن في معاني الشعر العربي . وكان باب الحماسة في كتابه غالبا في عدد الشعراء ، وعدد المقطوعات ، وعدد

الأبيات . إذ اشتمل الكتاب على عشرة أبواب هي : باب الحماسة ، وباب المراثي ، وباب الأدب ، وباب النسيب ، وباب الهجاء ، وباب الأضياف والمدح ، وباب الصفات ، وباب السير والنعاس ، وباب الملح ، وباب مذمة النساء .

فكان عدد الشعراء في كل الأبواب (٥٢٦) شاعرا ، منهم (٢٠٤) شعراء في باب الحماسة وحده ، و(٣٢٢) شاعرا لبقية الأبواب . وكان عدد المقطوعات الشعرية في كل الأبواب (٨٨٩) مقطوعة ، منها (٣٦٢) مقطوعة لباب الحماسة ، و(٥٢٧) مقطوعة لبقية الأبواب .

وكان عدد الأبيات الشعرية في كل الأبواب (٣٩٣٦) . منها (١٣٦٩) بيتا لباب الحماسة ، و(٢٥٦٧) بيتا لبقية الأبواب .

ولعل في هذه الأرقام ما سوغ لأبي تمام أن يسمي الكتاب " الحماسة " من باب التغليب ؛ بوصف شعر الحماسة هو الأكثر شيوعا عند العرب ، وبالتالي هو الأكثر أهمية عندهم . ومن بعيد قالوا : " الشعر صنار الحرب " ، وقالوا : " الشعر نكد بابه الشر ، فإذا دخل في الخير ضعف " ويبدو أن أبا تمام أخذ بهذا في باب الحماسة على الأقل . فقد استبعد شعراء المعلقات – على جلال قدرهم – في العصر الجاهلي باستثناء شاعرين فارسين هما : عنترة ، وعمرو بن كلثوم . فجاء بمقطوعتين لعنترة ، وواحدة لعمرو بن كلثوم . وكل واحدة منها أربعة أبيات حسب .

بينما كثرت المقطوعات للشعراء المغمورين الذين خاضوا غمار الحرب ، وأيام العرب . ويقف في مقدمتهم الشعراء الصعاليك ، أمثال تأبط

شرّا ، والشنفري ، وعروة بن الورد . وبهذا "كان الداعي إلى الحماسة كل ما كان داعيا إلى الحرب " في العصر الجاهلي . وبمجيء الإسلام ، وتغير الظروف ، وتطور الحياة ، وتطور الشعراء معها في مواقفهم وردود أفعالهم تجاه الأحداث والمواقف ، أصبح "مفهوم الحماسة الإسلامية يختلف عن مفهوم الحماسة الجاهلية ، فلا يقتصر على البطولات الحربية ، ولا على المفاخر والعصبيات ، بل أصبح الميدان الحماسي واسعا ، يتناول الفرد في خاصة نفسه ، وضمن الجماعة الإنسانية في حربه وسلمه ، وحبه وكرهه ، ومواقفه من الحق والباطل ، وجهاده ضد نفسه ، وضد الظلم والطغيان " .

وبات هذا المفهوم في تطور مستمر إلى أن وصل إلى العصر الحديث ، الذي ذابت فيه شخصية الفرد في الجماعة ، وإذا ما كان له موقف تجاه أمر ، فإنه يصدر فيه عما تشعر به الجماعة ، لا ما يشعر به وحده ، وكان هذا حال الشعراء في هذا العصر ، إذ كانوا في جميع أقطارهم يضربون في مجال السياسة والوطنية على أوتار متشابهة ، فتداخلت الحماسة بالوطنية ، والقومية ، والتحرر ، والوحدة أجمل اندماج . وبهذا أصبح له مفهوم جديد بأفق أرحب ، ودائرة أوسع ، وبات " المقصود بالشعر الحماسي ، ذلك الشعر الذي نظمه الشعراء في معارك النضال القومي ، ممجدين فيه بطولات الأبطال والشهداء ، منددين فيه بمظالم المستعمرين وأحابيلهم ، مستحثين فيه همم مواطنيهم كي يمضوا قدما في الكفاح حتى يستردوا حقوقهم المهضومة " .

(٢)

ولد الشاعر محمد رضا الشبيبي عام ١٣٠٦ للهجرة /١٨٦٩ للميلاد . وتوفي ١٣٨٤ للهجرة ، ١٩٦٥ للميلاد ، عن عمر بلغ (٧٦) ستة وسبعين عاما .

وصدر ديوانه الوحيد عام ١٩٤٠م ، أي قبل وفاته بربع قرن من الزمان . وكان شاعرا حريصا على أن يؤرخ لكل قصيدة في الديوان ، وأن يتحدث عن جوها العام ، والظرف الذي قيلت فيه ، في الأغلب الأعم ، وفي باب الحماسة خاصة . وبهذا وجدنا أن أول قصيدة مؤرخة قالها كانت عام ١٩٠٧ ، وأن آخر قصيدة أرخها كانت عام ١٩٣٦ ، أي قبل وفاته بتسعة وعشرين عاما . وبذلك يكون الزمن الذي قضاه شاعرا ، هو هو الزمن الذي قضاه متوقفا عن قول الشعر .

قدّم الشاعر لديوانه بمقدمة موجزة لكنها غنية ، تحدث فيها عن إعلان الدستور في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م ، وعدّ هذا التاريخ مدخلا لميل الناس " لمظاهر التقدم والرقي على اختلافها " . وعن امتياز هذا العصر " بكونه عصر اليقظة في الفكر والشعور ، تفنن الخيال العربي فيه في التعبير عن هواجس النفوس الطامحة إلى مجاراة الأمم الناهضة " ، وقد حاول الأدب أن يمثل تلك الحياة. وبهذا " لم يكن الديوان نابيا عن بيئته ، بل كان على الأرجح ملائما للزمان والمكان الذي نظم فيه ، كما أن أغراضه لم تكن سياسية قط ، وإنما كانت أغراضا إصلاحية ".

إن نفي الشاعر أن يكون للديوان وصاحبه موقف سياسي جامد ، وميله إلى أنه راغب في الإصلاح متمسك به ، انعكس واضحا في الديوان . فهو مع الدولة العثمانية بوصفها دولة الخلافة الإسلامية ، وضد خصومها الذي يريدون النيل منها وتفتيتها . وهو ضد الدولة العثمانية في تعسفها وظلمها للرعية ، ومحاربتها للإصلاح والمصلحين . وقل مثل هذا في الدعوة للتحرر والاستقلال من المحتل الأجنبي ، لكنه ضد الانتهازيين المستغلين لنفوذهم من أبناء جلدته .

قسم الشاعر ديوانه إلى ثمانية أبواب : باب الحماسة (١-٥٧) ، وباب الحكميات (٥٩-٧٨) ، وباب الاجتماعيات (٧٩-١٠١) ، وباب الأخلاقيات والإلهيات (١٠٢-١٣٠) ، وباب الوجدانيات (١٣١-١٦٢) ، وباب الوصفيات (١٦٣-١٧٩) ، وباب الرثاء (١٨٠-١٨٩) ، وباب المتفرقات (١٩١-١٩٩) .

كان باب الحماسة أول هذه الأبواب ، وأطولها . اشتمل على عشرين قصيدة . أقصرها طولها (١٢) اثنا عشر بيتا . وقد جاءت جميع قصائد هذا الباب مؤرخة ، وبين يديها المناسبة والظرف الذي قيلت فيه . وهو بهذا يختلف عن بقية أبواب الديوان " إذ كثرت فيها المقطعات القصيرة ، كما خلت من التاريخ والمناسبة .

وجاء في مقدمة الباب عنوانه " الحماسة " ثم ذيّله بقوله : " وهو باب ينتظم ما له من القصائد والمقطوعات التي اصطلح على تسميتها " بالقصائد الوطنية " . وهذا ملمح واضح على تمييز الشاعر بين مفهوم " الحماسة " عند القدماء ، ومفهومها في عصرنا الحاضر.

أما " القصائد والمقطوعات " ، فقد خلا الباب من المقطعات ، أو المقطوعات ، إذ كان أقصر قصيدة في الباب ، اثني عشر بيتا كما أسلفت .

وبقراءة هذا الباب ، وجدته يسير في ثلاثة اتجاهات موضوعية : واحد يتصل بالدولة العثمانية ، وواحد يرتبط بالجانب القومي ، وثالث معني بالجانب الوطني . وهي اتجاهات ترجيحية لا قطعية ، إذ يمكن أن يتداخل اتجاهان أو أكثر في القصيدة الواحدة .

(٣)

كان موقف الشبيبي من الدولة العثمانية مثيرا للعجب ، فهو مرة داعية إصلاح فيها ، وأخرى واقف إلى جانبها مناصر لها من المستعمرين – الإنجليز والطليان – الطامعين في أجزاء منها ، وثالثة ثائر عليها متمن زوالها ، ورابعة متعاطف معها متألم لما لحق بها من حيف وضيم وهزيمة . وهو في كل الأحوال ، صادق في موقفه ، منسجم مع نفسه ، راغب في الإصلاح ، يصدر عن نفس عربية إسلامية أبية.

لقد كانت قصيدته " الحرية والشعر " مفتاحا لكل هذا ، إذ قدم لها بالقول : " اتفقت إثر ثورة أحرار الأتراك في سبيل طلب الدستور من السلطان (عبدالحميد) سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ". وتشي هذه العبارة أنه كان مواكبا للحدث ، وليس متحدثا عنه بعد وقوعه .

إنها ثورة " بيضاء " راغبة في الإصلاح . وقد جسّد هذا مفردات القصيدة ومتقابلاتها: النهار والظلمة . الحر والعبد . ثم يأتي الأمل المنتظر ومؤشراته : البرق ، والسنا ، والضحك ، والابتسام ، والنجوم ، ويقابلها " الجنف المطاع وأهله " : الجور ، والظلم ، والخوف الذي يحيط بالأمة ، فيشل تفكيرها ، ويضعفها :

طرقت وضاحية النهار دجنّة ... والحر عبد ، والدنى أملاك

فأضاء عنها البرق ينبض عرقه ... سلكا عليه حلى السنا أسلاك

ضحك المحيط لوقعها وتبسمت ... عن ثغر أنجمها لها الأفلاك

أنساكها الجنف المطاع وأهله ... فمضوا وأحيا ذكرها الأتراك

طبعت على صحف الطبيعة أحرفا ... لا تنمحي ، أو ينمحي الإدراك

طلعت على سلم وكم لم تتفق ... والضرب طلق ، والطعان دراك

ويبدو انتماء الشبيبي – الشاعر واضحا حين يظهر أن أمامه خيارات عدة أيسرها اللهو والعبث ، والابتعاد عما يكدر الصفو ، ويجلب المشقة ، وأشقها القتل والأسر ، وهو ما اختاره ، في مناصرته للدعوة وتبنيها :

فالقتل لا تأتي عليه مقادةٌ ... والأسر لا يأتي عليه فكاك

وتظل الدولة العثمانية مصدر قلق للشاعر لسوء أوضاعها ، ولانسلاخ عدد من الأقطار العربية عن سيادتها . وقد جسّد هذا في قصيدة " في سبيل الشرق " ، " وقد توقع فيها تمزق شمل الدولة العثمانية ، وإنسلاخ الأقطار العربية عنها ، قبل الحرب العامة بعدة سنوات ".

يفتتح القصيدة بالحديث عن الهموم التي ألمت به من كل جانب ، حتى أصبحت متمكنة منه ، وهو يألفها ، وكأن الحياة لا معنى لها بدونها . وفي هذا مفارقة أن يألف المرء ما يبغض من باب الألفة والعشرة ، وكأن الحياة لا يوجد فيها غيره :

نزلت بجيرتي الهموم فلم تطق حتى نزلن بكاهلي فأطاقها

وكرهتها ومن العجائب أنني لشديد ألفتها كرهت فراقها

أشتاق أطرح الهموم ويقتضي ظمأي إلى الآلام أن أشتاقها

أما مصدر هذه الهموم ، فهو الواقع المرير الذي لحق بالشرق الذي فارق إشراقه ، والشمس التي غابت عنه ، وبالقمر الذي لحق له المحاق بعد اكتماله ، وبالأمة التي ضيعت أخلاقها ، فضاعت ، وصارت نهبا للأعداء . إنها نبوءة شاعر ذي بصر وبصيرة ، شخّصت واقعا ، وجسّدت نتيجة مؤلمة :

يا مشرق الشمس المنيرة إنها – وأبيك – شمسك فارقت إشراقها

أما لياليك التي قد أقمرت فلقد طوت لك محوها ومحاقها

فاقت وبذت أمة غربية من بذها في المشرقين ، وفاقها

وإذا أراد الله رقدة أمة – حتى تضيع – أضاعها أخلاقها

ملك الضلال زمامها فإذا حبت أو أمسكت سبب المعالي عاقها

رأت العدالة لا تروق لعينها فتلمست في الليل ظلما راقها

عجلت على البلوى فساقت نفسها   للموت أو عجل البلاء فساقهـــا

ما عذر طائفة أضاعت مصرها   أن لا تضيـع شآمهـا وعراقهـــا

ويبقى الشبيبي في صراع داخلي مع الذات . فهو عراقي عربي مسلم . وولاؤه لهؤلاء . ونظام الحكم السائد دولة عثمانية ظالمة ضعيفة متهالكة ، لكنها مهددة من دولة غربيَّة مستعمرة . وحين وضع بين خيارين أحلاهما مرّ ، رجحت كفة الدولة العثمانية إلى حين ، والولاء له حدود ، وقد نفد الصبر ، وزاد الظلم ، فكان رد فعله قويا ، وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ، وما دام الأمر كذلك ، فلابد من الثورة عليه ، للخلاص منه ، والفكاك من أسره . وقد تجلّى هذا في قصيدته " ثورة على الأتراك : أو شكوى وعذاب ". والحظه في استدراكه الرائع " أو شكوى وعتاب "! وكأنه دفع دفعا لهذه الثورة ، مثلما دفع شعبه من قبل لهذا.

واللافت للنظر هذه المقدمة الطويلة التي وضعها الشاعر بين يدي القصيدة – صفحة ونصف – ألأنه طفح الكيل ؟ أم لأنه يريد أن يسوّغ للثورة ، التي ما كان يريد لها أن تقوم ، وإن قامت فضد الإنجليز وحدهم وليس ضد الاثنين معا ، لما بينهما من فروق وتباين من جهة ، ولجسامة المسؤولية على شعب متعب منهك متواضع الإمكانات . ولهذا جاءت عبارة " أو شكوى وعتاب " استدراكا على " الثورة " ، وشتان ما بينهما من دلالة في الموقف وردة الفعل . ومع أن " الثورة " تصدّرت عنوان القصيدة ، إلا أنني أميل إلى " الشكوى والعتاب " ، لأن لغة القصيدة تشي بهذا : " يا من يعزّ علينا أن نؤنبهم " ، " كم تنبذون لنا ذنبا فنعذركم " ، " أما

صفحنا عن الماضي لأعينكم " ، " أما استجيشت كما شئتم كتائبنا "...
قال :

يا مـن يعـــز علينـا أن نؤنبهــم   في حيث لا ينفع التأنيب والعذل

جفوتمونـا وقلتـم: نحـن ساستكـم   منيَّ مطيتهـا الإخفاق والفشـل

كـم تتبـذون لنا ذنبـا فنعذركـم   لقـد تقطعت الأعذار والعلـل

أما صفحنا عن الماضي لأعينكم ؟   أمـا أديلت لكم أيامنـا الأول ؟

أما استجيشت كما شئتـم كتائبنـا   حتى تفايض منها السهل والجبل

أما مشت تذرع الدنيا ؟ أما انقطعت   بها المتايـه والغيطـان والسبـل

أما أطاعوا ؟ أما بروا ؟ أما عطفـوا   أما احتفوا بمواليهم ؟ أما احتفلوا ؟

وكـان الـثمن الـذي قبضـه هـؤلاء المخلصـون " عَـرَض فـي جنـب جوهركم ". و " وخز النحل حظهم " . و "عند المغانم لا ندعى ". و " في المغارم ثقل لا يحتمل " .! وماذا بعد ؟ ألا يكفي هذا للشكوى والعتاب ، بله التمرد والثورة ؟ :

نحن الألى عرض في جنب جوهركم   فيه نصال المنايا الزرق تنتصل

قوم من العرب وخز النحل حظهم   وحظ قوم سوانـا الأري والعسل

عند المغانـم لا ندعـى ويفدحنـا   من المغارم ثقـل ليس يحتمل!

ومع ذلك ، فقد ظل الشبيبي في صراع بين أمرين أحلاهما مر: الدولة العثمانية وما بها من ضعف وعجز وظلم ، وبين البديل المحدق المستعمر الإنجليزي ، فرجحت كفة العثمانيين عنده ، ولو إلى حين:

تأبى الحوادث إلا أن نملكم   ولا - ودين التآخي - ما بنا ملل

قلت : كان الشبيبي أميل للشكوى والعتاب ، منه للثورة والتمرد على الدولة العثمانية ، إدراكا منه أن البديل القادم أشد سوءا وقسوة وظلما منها . وكان الشبيبي مدركا ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن الوقوف في وجه المستعمر الإنجليزي من بداية الأمر ، أي من بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، فكان الشاعر سبّاقا لمعرفة نتائجها ، بزوال الدولة العثمانية عن العراق ، فقال قصيدته " الوداع " وقدم لها بقوله " نظمت إثر نشوب الحرب بين العثمانيين والإنجليز في العراق سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م . ويقصد بها وداع الدولة العثمانية " .

وقد امتزجت الحسرة واللوعة والألم ، باللوم والعتاب الرقيق الصادر عن المحب الغاضب ، لا الحاقد الناقم ، انظره يقول:

أنا ذا لا أقول أكثر ممــن	قال: هذا بناء مجد تداعــى
لسواكم زاد العــراق إتــاءً	ونمــى غلــة ودر ارتفاعــا
قدتموه هدية ما استبيعت	من سجايا الأعلاق ألا تباعا
الوداع الوداع يا آل عثمــا	ن فقولوا لنا الوداع الوداعــا
إن يسؤنا تركك الدفاع فأنتم	معشر تحسنون عنا الدفاعا

أرأيتم تلك القلـوب اللواتـي   سخرت بالقلاع كانت قلاعـا ؟

إن ذاك السماع صار عيانا   وسيغدو هذا العيان سماعـا

ما أظن الدنيا تضيق بقـوم   شحنوا قطرها صدورا وساعا

اتسم الشبيبي بالواقعية في مواقفه ، وفي اطروحاته ، بعيداً عن الغلو والتطرف في رؤاه . وكان موقفه من الدولة العثمانية خير شاهد ودليل على ذلك. وكانت " حماسته " الشعرية عصرية متزنة تقر بالواقع وتتعامل معه بظروفه وإمكاناته ، لا بالقفز عنه وتجاهل عقباته التي تقود للهاوية في نهاية المطاف .

(٤)

كان الشبيبي عربيا عروبيا بحكم بيئته ، ونشأته ، وثقافته ، ومواقفه . وقد شف ديوانه عن هذا ، كما نمَّ على ذلك التداخل والتشابك بين العروبة والإسلام على العموم ، لكن الأحداث والظروف هي التي فرضت نفسها ، وجعلته يفرد لها جانبا يخصها به . وشاءت الظروف الخاصة أن يرتبط الشبيبي - حياة وإقامة - بدمشق ، ارتباطه ببغداد ، فزاد هذا من تعلقه بها . كما شاءت الظروف العامة أن يكون مصير بغداد ودمشق واحدا في السّرّاء والضراء . في زمنه ، والضراء أعم وأشمل ، وأشدّ وأنكى . وقد رأى الشبيبي هذا بأم عينه . كما أن ما لم يره بعينه في مصر ، وبرقة ، وطرابلس ، عاشه بوجدانه شعوره ، وكان يصب في المجرى نفسه ، من تجرّع للألم والحزن ، على ما لحق بأمته العربية .

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨، تقاسم المنتصرون – الإنجليز والفرنسيون – النفوذ في بلاد العرب . وكان حال بغداد هو هو حال دمشق . مثلما هو الحال بالقدس وبيروت والقاهرة ! وعاش الشبيبي الأحداث ، وكان فرضا عليه أن يواكبها ، وينفعل بها ، ويتفاعل معها ، وهو الشاعر العاجز عن القيام بأي شيء ، سوى التعبير عن الشعور بما يدور حوله ، ولم يجد سوى " البكاء " شعرا ، فجاءت " قصيدته الباكية " واصفة للحال ، مغنية عن السؤال . وقد اختار لها عنوان " دمشق وبغداد ". وفي العنوان ما ينم على الاكتفاء ، ولك أن تكمل بما شئت : دمشق وبغداد في المأساة ، و ... الوجدان ، و ... ولم يفت الشاعر أن يضع إضاءة بين يدي القصيدة كعادته ، فيقول : " اتفقت سنة ١٣٣٧هـ أول تشرين الأول سنة ١٩١٨م ، حينما أذاع الإنجليز في العراق أنهم – لا العرب – أخذوا دمشق الشام ". والحظه في الاستدراك : أنهم لا العرب أخذوا دمشق الشام ، وما يعكس من حالة الهوان الذي أحاط بالعرب .

ويكمل : وقد وجد في التعاليق على النسخة الأصلية ما يأتي : " كنا في دمشق ساعة دخول الجنود الفرنسية دمشق ، في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ ، أي بعد مضي سنتين على تاريخ نظم القصيدة في العراق ، فقال الشاميون : لقد صح الآن مضمون هذه القصيدة ! وقد دعيت في محافل الأدب " القصيدة الباكية " . وحق للشاعر البكاء على الملك المضاع ، وهو جهد العاجز المقل ، شأنه في ذلك شأن أمته كلها ، التي منيت بالهزيمة من قوم غزاة " هجن " شأنهم شأن خيولهم الهجينة ، التي طردت " من الجياد

كرائما عربية " ! ولك أن تسحب هذا على فرسانها ، الذين " طردوا عربا كراما " ! فلا ساغ الشراب ولا الطعام بعدهم :

ماذا بنـــا وبذي الديـــار يـــراد ؟ فقدت دمشـــق وقبلها بغدادُ

من موطن الميـــلاد قامت نزعـــا خيـــل لهن بجلق ميعـــاد

ســـاءت وقائعها ما ســـرّت بهـــا لا الهجرة الأولى ، ولا الميلاد

وردت ميـــاه الرافـــدين مغيـــرة شقر من القـدّ البطون وراد

هجـــن طردن من الجياد كرائمـــا عربيـــة فكأنهـــن جيـــاد

(بردى) وأودية (الفـرات) و (دجلـة) (والنيل) غصّ بمائـك الوراد

حـــال العلـــوج من الأحامر بيننـــا وتعـــذر الإصدار والإيـراد

لا ساغ – يا بردى – الشراب ولا هنا عـذب من الماء القراح يراد

وتعوز الشاعر الحيلة ، ويشله العجز ، فيقع فريسة للضعف والبكاء ، ويسحب هذا على واقع أمته وما آلت إليه: " الشرق مسود الجوانب كله " ، وأعياده " صرن مآتما لكنها لعداتنا أعياد " ، و " الجو... يبكي لنا " ، والسبب في كل هذا ، أنّ أعداءنا شلوا جموعنا :

الشرق مسود الجوانب كلـــه ليس العـــراق ، وما لديه ســـواد

أعياد هذا الشرق صرن مآتما لكنهـــا لعداتنـــا أعيـــاد

الجو وهـو مقطب متجهـــم يبكي لنا ، والأرض ، وهي جماد

لسنا نحد عليك يوما واحـــدا أو ليلـــة ، كل الزمان حـــداد

شلّ العداة جموعنا فتفرقت ... في الخافقين كأنها أذواد

.. جارت علينا عصبة روحية ... شقيت بها الأرواح والأجساد

راجت نقائصها ولكن آذنت ... برواجها أن الكمال كساد

عاداتها بليت وتلك عوائد ... مما نفته لنا (ثمود) و (عاد)

ملت مسامعنا وملّ نجيننا ... مما يكرر ذكره ويعاد

وعظت شيوخ لو أصابت لارعوت ... ولنال منها الوعظ والإرشاد

فباتوا ، والأمر كذلك :

آحادهم فينا جموع جمة ... مرهوبة ، وجموعنا آحاد

ويحاول الشاعر أن يجد سببا لهذا الذي لحق بأمته ، فيقع في حيرة من أمر أمته . فهي تتمتع بخصال عريقة حميدة : عقيدة ، وأصالة ، ومجدا ، وتراثا ... ومع ذلك تمنى بالهزائم ، وترضى بالمذلة ! فيسعى للبحث عن الأسباب ، ويجدها بين يديه : تطاحن بين أقطارها في مصر والحجاز والعراق الخليج ، وأحقاد متبادلة ! فلله الشبيبي في رؤيته وتشخيصه لواقع أمته ، قبل قرن كامل من الزمان ، وإذا بهذه الرؤية هي هي ماثلة بيننا ، بل أشد وأنكى . فهل هناك من فرق بين الكيد والتآمر والتطاحن عند العرب كما تحدث عنهم *الشبيبي* ، وبين *ما* هو *ماثل* بيننا *اليوم* :

ما بين (مصر) و (الحجاز) تطاحن ... وبين (العراق) إلى (الخليج) جلاد

يتزودون من التجلد كلما ... قل المتاع ، وخفت الأزواد

ويعللــــون جريحهم بأدائـــه فرض الدفاع كأن ذاك ضمـــاد

يا للرزيـــة كم تفـــرق بيننــــا وتضننا الأضغـــان والأحقـــاد!

لا تبـــرد الأكباد فيما بيننـــا حتى تذوب ، وتعطب الأكبـــاد

لقد شكا الشبيبي من أولئك الذين كانوا أهم أسباب شقاء أمته وهزيمتها وتخلفها في زمنه ، وإن شكواه ما زالت ماثلة أمام ناظرينا ، بل إنها أشد مرارة : " تقدم الأوغاد " ، و " تكالب الأعداء " ، و " تحالف الاثنين معا " في زماننا ، فهي وإن كانت في زمن الشبيبي " شر العصور " ، فإنها في عصرنا كذلك " ! ألم يقل الشبيبي : " وفي العصور تفاوت " ! :

شر العصور – وفي العصور تفاوت – عصـــر به تتقـــدم الأوغـــاد

أمـــا مخازيهـــم فليســت تنتهـــي ولو انقضت وتناهت الأعداد

وإذا ارتبطت دمشق وبغداد في الظلم والحرب والاحتلال ، فإنهما كذلك ، ولكن بدائرة أوسع ، ورؤية أعمق حين يتصل الأمر بالجانب الوجداني : الذي لا يميز بين قطر وآخر في الحب ، والارتباط ، والحنين إذا ما ابتعد عن أحدهما ، شده الشوق للآخر . وإذا ما ضاق به الأمر وأراد أن يخفف عن نفسه لجأ للآخر أيضا ، وقد كان عنوان القصيدة " الهيام بين العراق والشام " مفتاحا لمضمونها ، ودليلا على تلك العلاقة الجدلية بين القطرين في السراء ، مثلما كانت من قبل بين المدينتين في الضراء . ولك أن تتأمل في عمق هذه العلاقة ، وقوة هذا الارتباط لديه وهو يقول :

" أواخر أيام إقامته في دمشق سنة ١٣٣٩هـ = ١٩٢٠م ، وقد اشتاق جدًا إلى العراق " :

ببغـداد أشتاق الشـآم وهاأنـا	إلى الكرخ من بغداد جم التشوق
فما أنا في أرض الشآم بمشئم	ولا أنا في أرض العـراق بمعرق
هما وطـن فرد وقـد فرقوهمـا	"رمى الله بالتشتيت شمل المفرق "

هذا على الإجمال ، أما في التفاصيل ، فلا يمل الشاعر تعداد أسماء المـدن والأنهـار علـى طريقـة الشـعراء القـدامى ، وهـم يعـددون جزئيـات الأطلال ، وآثار النوى ، فتزداد حسرتهم على ما مضى . أما شاعرنا فإنه موزع في هواه بين قطرين ، وما أن يحل بأحدهما حتى يشتاق للآخر . ومن حسن حظه أنه قادر على تحقيق مرامه ، بالعودة ، وتجديد اللقاء . فبغداد التي اشتاق إليها عنده :

إذا قمت نصب العين في عيد (تدمر)	ذكرت ادكار الطيف عهد (الخورنق)
وفي (بانياس) و(الفرات) و(دجلـة)	وفي (بردى) مجرى الجرود المصندق
أرى اليوم مـاء في الفراتين آسنـا	متى عبّ منه عاطش النفس يشرق
سيحدو غوادي الدمع بالدمع حفـلا	سنا بـارق من بابـل متألــق
رهنتك يا (بغـداد) قلبي ومن تكن	رهينتـه قلبـا (ببغداد) يغلــق

وهي بذلك حق له الحنين إليها . أما دمشق فهي " الأولى بالهوى " ! وبغداد كأنه قد " رهنها قلبه " ! ولا بأس في هذا ، عند العاشق الولهان المتعلق بالوطن : بأرضه ، وناسه ، وأشيائه ، وكل تفاصيله . أليس الأمر

في حال " هيام بين العراق والشام " ؟ ومن حقه أن يعبر عن هذا الهيام بطريقته التي يراها ويشعر بها ، لا بمنطق المراقب الذي لم يمر بالتجربة ، ولم يعش تفصيلاتها . قال :

أتينا نجوما في دمشق ولم نخل ... بها أننا في أنجم الأرض نلتقي

فهل بلد أولى من الشأم بالهوى ... وبالحب أجدر في دمشق وأخلق

وما الأرض – لولا أربع عربية – ... سوى عطن بالعبقرية ضيق

وفي خضم هذه الأحداث ، والهزائم المنكرة المتكررة في الوطن العربي ، و " اتسع الخرق على الراقع " ولم يعد هناك فسحة في أمل ، أو رجاء في خلاص ، ونجد الشبيبي جسد هذه الحال بقوله :

في جهات الأرض خرق كلما ... رفأ الساسة منه اتسعا

جاذبتنا بردة الملك يد ... ملأتها من فساد رقعا

كلما قام إمام جائر ... قادنا الضعف فصرنا تبعا

شتت الشمل جميعا نفر ... غبروا لا يشهدون الجمعا

لا يبالون إذا ما قلدوا ... ضرّهم ما فعلوا ، أم نفعا

وإذا ما بحثوا مشكلة ... لم تجدهم شيعة بل شيعا

صلة الشرقي بالماضي اسلمي ... لا تعودي سندا منقطعا

وتحقق شيء من رجاء الشاعر بـ " المحاولة " وليس بـ " الإنجاز " ! إثر ثورة الدروز على الحكم الفرنسي . واهتبل الشاعر المناسبة ، فهب مؤيدا

لها ، مباركا مسعاها . ولم يتوقف الأمر عنده ، بل امتد للشرق كله ، وبات الشرق ناهضا بمقدار وإلى حين ! لأن المحاولة لم تحقق مرتجاها : شأن محاولاتنا الكثيرة في ثوراتنا (انقلاباتنا) التي حملت شعارات التحرر والوحدة ، والتقدم ، وكان مصيرها الوبال والدمار لكل ما تبقى قبل حدوثها . أقول : بارك الشبيبي هذه المحاولة ، وانتصر لها. ولكن هيهات أن يكون لها نصر والهزائم تحيط بها من كل جانب :

وثب الريف من الغرب بـهم	فأثار الشـرق والغـرب معـا
وتعالى في العراقين صـدى	من (بني الأطرش) حتى أسمعا
جمـع العلـج لهم فانبعثـت	هجمـات فرقـت ما جمعـا
.. حضر تفتخر المدن بنـا	أو بـداة تتحـرى النجعـا
نضـر الله عهودا (بالحمـى)	سالفـات ، ورعاهـا ما رعـى
وسقى ممـا يلي "عاملـة"	ذلك المصطـاف والمرتبعـا
لا أغبّ الغيث "صيداء" ولا	أخلف النوء المرجى "جبعـا"
بلّ "حمصا" وتوخّى "حلبا"	ونحا "بصرى" وروّى "أذرعـا"
مدن لـو تركـت لاتصلـت	جـزءوها ليسـودوا تبعـا

"مدن لو تركت لاتصلت" !! وهيهات لها أن تتصل ، وهي مدن متقاربة متداخلة في القطر الواحد ، فما بالنا بالأقطار العربية التي جزأها أهلها قبل أن يجزئها الآخرون .

(٥)

وتتجلى " الحماسة " في أسمى معانيها – القديم والحديث – في شعر الشبيبي ، في البعد الوطني المتمثل في حديثه عن وطنه الأم " العراق " ، إن في الدفاع عنه في وجه العدو المعتدي المستعمر ، أو في تشخيص علله وأمراضه الذاتية من فساد ، وظلم ؛ وجهل ، وتخلف . وتقف قصيدته " يوم الشعيبة " عنوانا دالا على هذه الوطنية الصادقة . ويبدو أن الشبيبي نفسه كان مفتونا بهذا اليوم ، ولهذا أفرد له مقدمة نثرية طويلة مفصلة – صفحة ونصف – تحدثت عن ظروفه ، وعمن شارك فيه ، وعن سير أحداثه فهو " أشهر أيام الحرب العراقية – إن لم يكن أعظمها عند العراقيين – ذلك اليوم الذي استنفر إليه أهل البلاد ، من حاضر وباد ؛ قلّت قبيلة أو مدينة لم يشهده منها رجل أو رجال ؛ أضف إلى ذلك عظيم محنة القوم فيه ؛ قد رابطوا عدة شهور في (النخيلة) صابرين على أشياء لم يُصبر على مثلها من جدب المكان ، وشظف العيش ، إلى أن منوا بذلك الخذلان العظيم " . وقد تجسّد هذا الخذلان شعرا في مفتتح القصيدة بقوله :

نبت الرّبا حمر أشلاء وأوراد   منثورة لك بين القصر فالوادي

دون " الشعيبة " أجساد موزعة   في البيد توزيع أعضاء بأجساد

وفي " النخيلة " أرماس موثقة   علائقــا بين أسياف وأغمــاد

وإن هذه الأجساد الموزعة في البيد . لأناس صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فتجافوا عن ديارهم ، دفاعا عن الوطن ، وانتصارا لأهله ،

وما دروا أنهم يهاجمون – وهم رجالة كشف في البر -- جملة أسوار وأسداد ، فكانت النتيجة المأساوية :

مجمرون تجافـوا عن ديارهـم — واستبدلوا الوحش من أهل وأولاد

مكابدون على حالي حفا ووجـى — في الرمل كلفـة إغذاذ وإسئـاد

بحر من الرمل قامت عن تغطمطه — تنـزو غـوارب أمواج وأزبـاد

يهاجمـون – وهم رجالة كشـف — في البر – جملة أسوار وأسداد

فلّ العـدو جناحيهم وقلبهـم — من قبل تجهيز أعوان وأمـداد

إن الدمـاء التي حلت نحورهـم — قد أوهمتنا عقـودا فوق أجيـاد

أما قائد الجيش – سليمان العسكري – فكان حظه من التقدير بيّنا عند الشبيبي ، وكان إنصافه واضحا ، إذ كان مرد هزيمته أمرين خارجين عن إرادته وطوعه ، أحدهما قوة عدوه ممثلا في الإنجليز بعتاده ، وثانيهما خذلانه من " الأعراب " الذين تخلوا عنه ، وفتوا بأعضاده :

جرى " سليمان " في استعجال مصرعه — مجرى كفاة بأمر الحرب قـواد

قاد الألـوف فأرداهـا وأتبعهـا — في الحال نفس أبيّ غير منقاد

مخاطـر عاش أعمارا لأن لـه — في إثر كـل نجاة يوم ميـلاد

وكثـرة أعجبتـه مـن كتائبـه — فراح للنصر فيها أي مرتـاد

كأنـه والمقاديـر التي سـبقت — على مقرر ميقـات وميعـاد

ظن الألوف من الأعراب تعضده — فكان ما ظنـه فتا بأعضـاد

ومثلما كان الشاعر قلقا على العراق من أعدائه الخارجيين ، فإن قلقه عليه أكثر من أعدائه الداخليين من أبناء جلدته ، لذلك لحظناه متنبها لهؤلاء وأولئك ، حاثا لأبناء شعبه على أن لا يضعفوا ، أو ييأسوا من مواجهة أولئك وهؤلاء على حد سواء :

يسام العراق الذلّ وهي عزيزة ويخرس أهلوه وهن فصاح

أسكان أجواز العراقين هل لكم نزوع إلى نيل العلا وطماح؟

فلا تضعفوا إن السعادة قوة ولا تجبنوا إن الحياة كفاح

وظل الشبيبي المصلح يقظا ، واقفا بالمرصاد لكل المنحرفين عن سبيل الحق في وطنه ، فهم عنده :

لهم ما استقامت قط عندي طريقة وناهيك فيهم من وجوه وألوان

تعسف قوم بالعراق وساوموا على وطن – ماسيم يوما – بأثمان

هم احتقبوا الأوزار يقترفونها وقالوا : جنى عمدا وما هو بالجاني

هم استعجلوا اللذات ينتهبونها وهم بدلوا بالجوهر العرض الفاني

وقد تنكر الحر العراقي أرضه فينأى ليدنو منه من ليس بالداني

فهل تغير الأمر عما كان عليه قبل قرن ؟ لقد سيم العراق الذل وهو العزيز على أهله ، وعلى العرب جميعا . وأخرس أهلوه ، وهم معدن الفصاحة في عهود مضت ، وها هو يتماثل لالتقاط أنفاسه بعد حروب طاحنة ، واحتلال بغيض ليدنو من أرضه بعد نأي ، وينعم بخيرات وطنه بعد بؤس.

ويلتفت الشاعر لما في العراق من خيرات حباه الله بها ، وفي مقدمتها الماء الذي كان منه كل شيء حي ، والعراق وادي الرافدين ، ودجلة والفرات عنوانه في الخصب والخضرة والعطاء . ويحاول الشاعر أن يخلو لنفسه ، ليمتّع ناظريه بجمال دجلة ، بمائه المنساب ، والخضرة تحفّ به من كل جانب ، وما أن يتحقق له ذلك ببصره :

يد (لدجلة) عنــدي لست أجحدهـا   إلا إذا جحدت سلسالها الهيم

حلفت – يا ليل تعريسي – بشاطئها   ألاّ يميل برأسي عنك تهويم

إذ كل زمزمــة في الكــون هينمــة   بل كل ما فيه تغريد وترنيم

حتى ترده بصيرته إلى من يعيشون على ضفاف دجلة من الفلاحين الفقراء المعدمين ، الذين يزرعون ويكدحون من أجل رغيف الخبز ، ولا مجال لديهم ، ولا وقت للنزهة والمتعة التي رآها الشاعر ، فانقلب على نفسه ، وإذا بالأرض " جنات " ، وهي هي " مومات وديموم " ! إنها المفارقة التي أدركها الشاعر ، أو قل : أوجدها الشاعر ، للتمييز بين العرض والجوهر ، وبين الشكل والمضمون :

يا مـاء (دجلة) عذبا في مـوارده   لأنت في كبــد (الفلاح) يحمــوم

الفقــر فيك مــذود وهـو مفتقــر   والبحر منـك مجود وهـو محــروم

الظلم ينفيك عن أهليك مضطهـدا   ألأنـت أم كل مــاء الأرض مظلــوم

ناديت : قومي ، وحق القوم مغتصب   وصحت : شعبي ، وحق الشعب مهضوم

مالي أرى الأرض جنات ، وأرضكم   – يا أمة الخير – مومات وديمــوم

عجزتم فحياة المرء عندكم إلى السماوات تفويض وتسليم

أدعوكم وغروب العين دامية وأستثير وجنب القلب مكلوم

محيرون قد استهوى عقولكم جهل ، وبعض ضروب الجهل (تنويم)

إذا سمونا بجيد فهو منأطر وإن عطسنا بأنف فهو مخطوم

ولا يتوقف به الأمر عند دجلة ، بل إنه يتحدث هذه المرة عن " دجلة والفرات " ، وقد استثيرت شجونه ، وفاضت دموعه على العراق وأهله ، وما حلّ بهما من ألم وجوع وفقر وحرمان ، فانقلبت وسائل التعبير عن الجمال والسمع إلى " صوت حزن وعبرة مستهلّة " :

آه ما أكثر الجداول تجري في ربوع نعيمها ما أقلّه !

لست أبكي على فراتي فردا أنا أبكي على الجزيرة جمله

وحقيق إذا تألم عضو أن تناجي آلامه الجسم كله

جل ما بي أني أرى الماء عذبا أخذ المالح الأجاجي جله

من ترى حرم الزلال علينا وعلى الساكنات فيه أحله ؟

ليت من قال : أنت يا نهر سيف لحشا المحل ، حد سيفك سله

ما إخال الخرير والماء إلا صوت حزن وعبرة مستهلة

ويفجع الشاعر مما رأى من حال قومه ، ويبدو أنه يئس من إصلاح حالهم ، فما كان منه إلا أن يعود للماضي المشرق لعله يكون مثيرا

للحاضر ، وإلا ففيه " تعلّة ". إنها دعوة اليائس من الحاضر الذي استفحل فيه الجهل ولا مجال للحوار معه أو إصلاحه :

يا خليلـي إن تشاءا أسعدانــي   في شجوني فالخـل يسعد خلـه

عللانـي بذكـر نهضـة قومــي   قبــل ألا أرى لقلبــي تعلــة

أين ذاك العــراق؟ أين بنـوه؟   ليتهــم أبصـروا العراق وأهلــه

عمروه مــن كل أفــرع ســام   يمتيء السارون في الشمس ظله

أديــار؟ لا ، بل مكامن أســد   ورجــال ؟ لا ، بل ليوث مدلــه

أو لم تكف علة الفقـر قومــي   فاستزادوا من الجهالــة علــة ؟

مخطئ من يزيد في السيف كلا   ثلمة أو يزيــد في الطين بلــة

لقد تفاوتت مظاهر الحماسة الوطنية عند الشبيبي ، بين القوة والشدة والمنعة في " يوم الشعيبة " على ما فيه من هزيمة لقومه ، ونصر لأعدائه ، وبين مظاهر الفقر والجهل والفساد في مجتمعه ، وكان عليه أن يتعامل مع هذا وذاك في آن ! فكانت حماسته الوطنية متألقة في الدفاع عن الوطن ضد الأعداء المستعمرين . أما حماسته الوطنية في معالجة مظاهر الضعف والتخلف فكانت فاترة باهتة لا تغني شيئا ، لأن الواقع كان أقوى من الشاعر. وحسبه في هذا أنه نبّه مرة ، وحاول أخرى ، لكن التخلف في بلادنا منتشر منذ زمن الشبيبي قبل ما يزيد على قرن من الزمان ، إلى يومنا هذا ، فلا أكاد أجد فرقا في السوء ، كما لا نعدم من يحاول الإصلاح ، وإن كان بعيد المنال .

(٦)

كان الشبيبي واحدا من الشعراء العراقيين المعدودين في النصف الأول من القرن العشرين . وشكل شعر " الحماسة " لديه محور شاعريته موضوعا وفنا . وكان شعره مادة درس الباحثين الذين تناولوا الشعر العراقي في زمنه .

فقد أفرد قصي سالم علوان دراسة رصينة شاملة ، بعنوان " الشبيبي شاعرا " تحدث فيها عن حياته وشعره . وكان للحماسة عند الشبيبي – التي عدل عنها علوان إلى " الوطنية والقومية في شعر الشبيبي " – حظ وافر في دراسته . وكانت خلاصة رأيه أن : " آمن الشبيبي بالإسلام ، وآمن بالعروبة ، وعمل من أجلهما ... وآمن بالشعب وحقوقه وحريته ... آمن بالإسلام ، ورأى الدولة العثمانية دولة الإسلام ، فساندها ، وذب عن حياضها ، وبذل في سبيلها ما بذل ، ولكنه لم يكن يجهل أنواع الجراثيم ، التي كانت في جسم هذا " الرجل المريض ". وآمن بالعروبة ، وكان من أوائل الشعراء الداعين إليها ، فهو العربي العريق في عروبته ، وهو ابن هذه الأرض العربية " .

وحدد علي عباس علوان إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م مؤشرا على ظهور الاتجاه " الكلاسي " في الشعر العراقي الحديث ، وكان العامل السياسي عنده أقوى العوامل التي ساعدت على تطور هذا الشعر . وعد أربعة شعراء ممثلين لهذا الاتجاه الجديد هم: الزهاوي والرصافي والكاظمي والشبيبي .

ويرى أستاذنا المرحوم إبراهيم السامرائي أن " للشبيبي قصائد عامرة في الحرب لا تنأى عن منهجه البدوي الذي طبع فيه " .

والشبيبي عند عبدالكريم الدجيلي : " من الشعراء الذين تغنوا باليقظة العربية ، وكان من مظاهرها " التفجع واللوعة " على الأيام الزاهرة الزاهية التي مرت على العرب ، ثم أخيرا على ما حلّ بهم من تشتت وتقسيم واضطهاد من الغرب المستعمر الذي يدعو للإنسانية . كل هذا وغير هذا في قصيدة محمد رضا الشبيبي وعنوانها " عاذل وعاذر " .

ويعرض رؤوف الواعظ لمعركة الشعيبة ، ويقول : " وعلى الرغم من خطورة هذه المعركة ، فإنا لم نجد في وصفها سوى قصيدة واحدة ، وهي تلك القصيدة التي نظمها محمد رضا الشبيبي ، وجعل عنوانها " يوم الشعيبة " ".

وبعد ، فهذه وقفة مع محمد رضا الشبيبي الشاعر ، في جانب من جوانب شعره ، نمّت على أصالته وصلابته في مواجهة أحداث عصره ، في ظروف متسارعة متداخلة متقلبة ، يصعب على المرء الثبات على رأي فيها . إلا أن الشبيبي الشاعر كان هو هو العراقي العربي المسلم المصلح. عليه رحمة الله .

المصادر :

١. الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث . رؤوف الواعظ . دار الحرية للطباعة . بغداد ١٩٧٤.
٢. تحقيقات في اللغة والأدب . ناصر الدين الأسد . أروقة للدراسات والنشر . عمّان ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م .
٣. تطور الشعر العربي الحديث في العراق . علي عباس علوان . وزارة الإعلام . بغداد ١٩٧٥ .
٤. الحماسة . أبو تمام . تحقيق عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان . هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة . أبوظبي ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م .
٥. الحماسة في شعر الشريف الرضي . محمد جميل شلش . المكتبة العالمية . بغداد . الطبعة الثانية ١٩٨٥ .
٦. ديوان الشبيبي . عنيت بنشره جمعية الرابطة العلمية الأدبية . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م .
٧. الشبيبي شاعرا . قصي سالم علوان . وزارة الإعلام . دار الحرية للطباعة . بغداد ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
٨. الشعر والشعراء . ابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر .
٩. لسان العرب . ابن منظور . دار إحياء التراث العربي . بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
١٠. لغة الشعر بين جيلين . إبراهيم السامرائي . دار الثقافة . بيروت . بدون تاريخ .
١١. محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام . أمجد الطرابلسي . معهد الدراسات العربية العالية . القاهرة ١٩٥٧.
١٢. محاضرات عن الشعر العراقي الحديث . عبدالكريم الدجيلي . معهد الدراسات العربية العالية . القاهرة ١٩٥٩.

توظيف (كأنَّ) وأثرها التصويري
في شعر محمد رضا الشبيبي

الدكتور سعد جمعه الدليمي
كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى

الملخص :

يروم البحث الكشف عن وظيفة أداة التشبيه (كأنَّ) وأثرها ، وقد استند البحث إلى شعر محمد رضا الشبيبي ، لإظهار الأثر التصويري ومتعلقاته ، وقد توصل إلى نتائج بعضها يرتبط بمظاهر المغايرة ، فيما يتشكل بعضها الآخر من صياغات مبالغ فيها ، وأخرى ترتبط بالتقريرية بوصفها مظهرا من مظاهر التصوير .

المقدمة :

للأداة التشبيهية دور فاعل في توجيه الصورة الشعرية ؛ فهي توظف في سياقات كلامية تُلبس الفكرة ثوبا جديدا وتُشكّل الكلام تشكيلا مغايرا للمألوف وهذا دأب كل الأدوات المستخدمة في نظم النص .

في رحاب هذا التصور سعى البحث إلى الكشف عن قدرة الأداة (كأنَّ) وأثرها التصويري في إنتاج الصور ، وبيان قدرتها على إنجاز الوظيفة المناطة بها وهي (التشبيه والتوكيد) ومتعلقاتها ، في ظلال هذا التوجه

اختار البحث المتن الذي يشتغل عليه فجاء العنوان (توظيف (كأنَّ) وأثرها التصويري في شعر محمد رضا الشبيبي) ليعبّر عن ذلك ؛ وقد كشف التمهيد عن خصوصية الأداة (كأنَّ) في الاستعمال ، والأسباب المتعلقة بقدرتها على التصوير ، فيما عالج في بقية فقراته قدرتها على التصوير في شعر الشبيبي ، وكانت المصادر التي نهل منها البحث متنوعة وكان ديوان الشاعر هو الأساس الذي بنى عليه مادته العلمية .

توصل البحث إلى أنَّ التصوير بـ (كأنَّ) في أغلب السياقات أبلغ من التشبيه بالكاف لاعتبارات تتعلق بنظم الجملة وتركيبها النحوي ، ولاسيما أن التشبيه بالكاف يؤدي وظيفة التشبيه فقط ، ويحقق التصوير بـ (كأنَّ) وظيفتي (التشبيه والتوكيد) وما يتعلق بهما ، ويرافق ذلك شحذٌ للأخيلة في أغلب الصور ، كما وجد أنَّ التصوير بالأداة (كأنَّ) هو النمط السائد والطاغي في صوره الشاعر ، بسبب من قدرتها على فتح عوالم التخييل وتحويل هذا الخيال إلى واقع ملموس في ذهن المتلقي .

التمهيد :

اختلف البلاغيون في البناء التركيبي الذي تظهر فيه الأداة (كأنَّ) ، فذهب بعضهم إلى أنها منفردة في صورتها هذه ، وذهب بعضهم الآخر إلى أنها متشكلة من جزأين هما (الكاف) و (أنَّ) التوكيدية [1].

---

[1] ينظر : موسوعة النحو والصرف والأعراب ، إعداد الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار العلم ملايين بيروت ، ١٩٨٨م : ٥٤٤ .

لكن الشيء الثابت والمتفق عليه هو قوة هذه الأداة في صناعة عوالم من التشبيه تفوق من حيث القوة التشبيه . (الكاف وحدها) ، ولاسيما أنَّ ((تشبيه الرجل بالأسد فتقول " زيد كالأسد " ، ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول " كأنَّ زيد الأسد " ، فتفيد تشبيهه أيضا بالأسد إلا أنك تريد في معنى التشبيه زيادة لم تكن في الأول ، وهي أن تجعله من فرط شجاعته قوة قلبه ، وأنه لا يروعه شيء ، بحيث لا يتميز عن الأسد ولا يقصر عنه ، حتى يتوهم أنه أسد في صورة أدمي))[٢].

ويعلل عبد القاهر الجرجاني هذه الزيادة في قوة التشبيه إلى نظم الكلم حين قال ((فأنظر هل كانت هذه الزيادة وهذا الفرق إلا بما توخَّى في نظم اللفظ وتركيبه حيث قُدِّم "الكاف" إلى صدر الكلام ورُكب مع "أنَّ" وإذا لم يكن إلى الشك سبيل إنَّ ذلك كان بالنظم))[٣]. تفسير ذلك ، أنَّ الجملة التي فيها أداة التشبيه (كأنَّ) تتكون من الكاف المشبهة المنفردة الموضوعة في بداية الجملة ، ومضافة في البناء إلى (أنَّ) التي تفيد التوكيد ، ثم دمجتا في (كأنَّ) ، التي أصبحت تفيد التشبيه والتوكيد بينما (الكاف) ، لا يفيد إلا التشبيه .

والبحث يوجه ذلك من جانب آخر مفاده أنَّ القوة في المشابهة منبعها ترتيب التركيب ونظمه جميعا لا الأداة (كأنَّ) فقط ، إذ إنَّ جملة (زيد

---

[٢] دلائل الإعجاز أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني النحوي ، قراءه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني – مصر ، دار المدني بجدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م : ٢٥٨.

[٣] المصدر نفسه : ٢٦٥.

كالأسد) جملة خبرية نوع الخبر فيها ابتدائي وهذا يعني أنه خبر يكون فيه المتلقي خالي الذهن من أي فكرة عنه وهنا الصورة غير واضحة عند المتلقي عن طبيعة شجاعة فلان من الناس حتى يشبهونه بالأسد ، في حين أنَّ جملة (كأنَّ زيدا أسدٌ) جملة خبرية نوع الخبر فيها (طلبي) وهذا يعني أنه قائم على طلب السؤال عنه من قبل السامع الذي ترسخ في ذهنه الصفة لكنه يسأل عن الموصوف بهذه الصفة من هو فيأتي الجواب بإدخال أداة التشبيه (كأنَّ) بما تحمله من وظيفة توكيدية تشبيهية ، لتعقد صلة التقارب الذي قد يصل إلى حد التطابق بين المشبه والمشبه به .

هذا من جهة ومن جهة أخرى أنَّ التطابق بين المشبه والمشبه به في الصفات لدرجة المساواة بينهما ، أدى إلى عجز وجه للشبه على النهوض بدرجة المشابهة بينهما لذلك لم يذكر ، وهذا يفتح باب التأويل .

والواضح في الاستعمال الشعري أنَّ تركيب الأداة (كأنَّ) ، لم يرد إلا مدمجا في كلمة واحدة تدل على (المشابهة والتوكيد)[٤]. ولاسيما أنَّ لها ((إمكانات كبيرة في تشغيل الخيال وتحريك عناصر الصورة ، غالبا ما تُدخل المتلقي في أجواء تأملية [...] فهي تُرسخ الصورة وتحررها من المنطلق)) .[٥]

---

[٤] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط٢ ، ١٩٩٣م : ٣٤٥ .

[٥] التصوير المجازي أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة ، الدكتور إياد عبد الودود الحمداني ، دار مجدلاوي-عمّان- الأردن ، ط١، ٢٠١٣م -٢٠١٤م : ٣٦.

أولا : ظهور (كأنَّ) في سياقات تكرارية .

وهذا النوع من ((الصورة في الشعر والأدب عموما لا تترجم الشيء الغريب إلى كلمات مألوفة ، ولكنها على العكس من ذلك تحول الشيء المعتاد إلى أمر غريب عندما تقدمه تحت ضوء جديد وتضعه في سياق غير متوقع)).[٦]

يعد التكرر أساويا بلاغيا فاعلا لتثبيت صورة معينة يستطيع من خلال تكرارها توكيدها وأن يبني عليها عوالم تخيلية كثيرة ، ولاسيما ((أنَّ تكرر الجملة هو الملمح الأسلوبي الأكثر بروزا لتلاحم النص فهو يدخل في نسيجه لحمة وسدى)).[٧]

وقد وجد البحث أن تكرار (كأنَّ) يتحقق في سياقات يمكن إجمالها في الآتي :

أ : تكرار كلمة .

جاء تكرر (كأنَّ) بما تحويه من طاقة وقدرة على فتح عوالم تخيلية لدى المتلقي ولاسيما أنها تعقد صلات جديدة بين المبتدأ والخبر تفوق صلة المسند بالمسند إليه

---

[٦] نظرية البنائية في النقد الأدبي ، الدكتور صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٣ ، ١٩٨٧م : ٨٢ .

[٧] الأسلوبية وتحليل الخطاب ، الدكتور منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاري دار المحبة – دار آية ، ٢٠٠٩م – ١٤٢٩هـ : ٨٤ .

يقول الشبيبي في قصيدته المعنونة (في العراق) :[٨]

كأنَّ ذُكاءَ من أسنَّة نُورها   تُصَوِّبُ نَحوَ العالمين حِرابا

كأنَّ البرايا أحنقتها فأزبدت   وأرسلت النُّور النَّقيَّ لُعابا

كأنَّ شُعاع الشمس غَص به الفضا   فزمجرَ آذِيّا وماجَ عُبابا

تُلاحظ حالة من التحول في كل شيء ، وقد حققت (كأنَّ) مستويات متوازية دلاليا حقق تكاملا بين الأبيات الثلاثة ، فقد صوَّر في البيت الأول أشعة الشمس كأنها حراب موجهة إلى الناس ، فهي في حالة من الحرب والناس خصم لها ، وجاء البيت الثاني بتصويره مكملا للمشد الأول ومعللا له ، فـ (البرايا) هم الخلق الذين (أحنقوا) الشمس وجعلوا جمال ، بوصفه التقريري يتحوّل إلى شيء مادّي تشترك أكثر من حاسة في تلقيّه محوّلا الدال إلى مدلولات جديدة نقلت شعاع الشمس إلى عوالم تشخيصية ، وجاء البيت الثالث مكملا للصور ومزيدا في تعليل إعلان الشمس الحرب على الناس (العراقيين) ، فالفضاء يضيق بشعاع الشمس فزمجر صوتا عاليا وموجا مضطربا عاليا .

ولتكرار (كأنَّ) معطى بلاغي من جانب آخر فهو يقترن بالتعليل البديعي ، فضلا عن أنَّ ((ما يبرر للتكرار وجوده ، أنه يسهل استقبال الرسالة))[٩] ، فهو يسلط الضوء على قضية واحدة ويرسم لها صورة واحدة

---

(٨) ديوان الشبيبي ، محمد رضا الشبيبي ، عنيت بنشره جمعية الرابطة العلمية الأدبية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٩هـ- ١٩٤٠م : ٨ .

(٩) الأسلوبية : ٧٩-٨٠ .

من صور متعددة ، ولاسيما أنَّ وظيفة التكرار ((تخدم النظام الداخلي للنص وتشارك فيه ، وهذه قضية هامة لأنَّ الشاعر يستطيع بتكرار بعض الكلمات أن يعيد صياغة بعض الصور من جهة ؛ كما يستطيع أن يكشف الدلالة الإيحائية للنص))[١٠].

قال في قصيدته المعنونة (حلوان بعد العراق)[١١]

كأنَّ رواسيها مدافنُ شُيِّـدت   وقد دُفِنت فيها قُرونٌ وأزمـانُ

كأنَّ سكون الموت خيَّم فوقها   ولولاه لم تُنسج من الثلج أكفانُ

تشكّل حلوان حالة من التشاؤم لدى الشاعر ، فيصور لنا فجبالها الرواسي أصبحت كأنها مقابر لكنها أي مقابر ، مقابر للزمن الفائت المدفون بالحروب . نلاحظ كيف أنَّ (كأنَّ) ترسم حالة من التوحد بين المدافن والرواسي حتى أنَّ المتلقي لا يجد غرابة من ذلك بسبب من قدرة الشاعر على إحداث العلاقة وتعليلها . وترسم (كأنَّ) في البيت الثاني ملمحا من ملامح الحزن على أسوان ذلك بأن يصبح الموت جمعيا جماعيا حتى أصبح غيمة تغطي سمائها في كل وقت ، وتكتمل الصورة في الشطر الثاني فالثلج الدائم أصبح هو الكفن ، . فأيُّ نحرٍ نُحرت (حلوان) حتى صورها الشاعر هكذا ويقنع المتلقي أنَّ هذه هي السمة الغالبة في وصفك .

---

(١٠) الأسلوبية : ٨٠ .

(١١) ديوان الشبيبي : ١٢.

ب : تكرار التوازي :

في قصيدة (طلائع الحرب العامة)[١٢]

كأن لم تَجِد أينا ولم تَشكُ غُلّةً　　ولم تضطرم حرا ولم ترتجف بردا

حققت (كأن) نمطا نصويريا يفتح أفق التكرار المقترن بالتوازي الدلالي في هذا البيت

١- لم يجد أينا
٢- لم تشكُ غلة
١- لم تضطرم حرا
٢- لم ترتجف بردا

فالشاعر يصور الحرب ومقدمها وكيف أنها لم تأخذ بعين الاعتبار ما يعانيه البلد من ويلات العطش والجوع والحر والبرد .

ثانيا : (كأن) وقدرتها على المبالغة في التصوير :

إنَّ صور المبالغة في شعر الشبيبي لا تختلف كثيرا عن طرائق التصوير المألوفة لدى شعراء القرن العشرين ، ولاسيما أنها قصائد ((تكشف عن الانشغال بقضايا أثارات حيرتهم في وقت مبكر في العشرينات كالتفكير في

---

[١٢] ديوان الشبيبي : ١٦.

سر الوجود ومصير النفس وغير ذلك))[١٣] من مدركات الحياة وتشعبات تفاصيل الكون ، وهذا النوع من الصور كان في الأغلب يتحدث عن صور دارجة ومعروفة كونيا للجميع والإيمان بها يشغل مساحة مشتركة من حياة الناس في بقاع المعمورة ، ولاسيما ((أنَّ شعراء العراق في هذه الفترة مغرمون بهذا النوع من المبالغة والغلو المبنيين على الإيهام في برودة عقلية لا تمت إلى العمل الفني بصلة))[١٤]

قال الشاعر[١٥]

كأنّي موسى ذو العصا غيرَ أنّني رجعت ومقباسي رمادٌ ، ودخانُ

نلاحظ كيف بنى الصورة باستعمال الأداة (كأنَّ) وحاول من خلالها لملمة خيوط شخصيتين متباعدين هما (ذات) الشاعر المعبر عنها بـ (الياء) ، والنبي (موسى) (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) ومحاولة دمجهما في صورة واحدة ؛ لكن التطابق بين المشبه والمشبه به بقي مجاله ضيق ومساحته محصورة ، فتنبه الشاعر لذلك وعلله بالشطر الثاني من قوله (رجعت ومقباسي رمادٌ ، ودخانُ) ، وقد سبقت هذه الجملة بأداة التوكيد (أنَّ) ، ليؤكد حالة التراجع الاتي أصابته ، ويبنى لنا فرقا ذهنيا بين

---

(١٣) أضداد الكلام نحو اتجاهات جديدة في القصيدة العربية في العراق ، الدكتور علي متعب جاسم ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٥م-١٤٣٦هـ : ٢٦٧.

(١٤) تطور الشعر العربي الحديث في العراق منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية ، الدكتور علي عباس علوان ، ١٩٧٥م ، (لا ، ط) : ٥٢.

(١٥) ديوان الشبيبي : ١٦.

رجوعه وبين عصا نبي الله موسى ، وهذا نوع من التناص الخفي بين الحالتين .

وقال في قصيدة (الشعر بين الحق والباطل) في باب (الحِكميّات)[١٦]

كأنَّ البرايا في الوجود قوافلٌ   تسيرُ إلى الأجداثِ إثر قوافل

يتضح في هذا البيت الشعري قدرة (كأنَّ) على أحداث نوع من التصوير بين صورتين متناقضتين ، الأولى : (البرايا في الوجود قوافل) ، والثانية (سيرُ هذه القوافل بصورة متتابعة إلى الأجداث) .

وقال في القصيدة نفسها :

كأنَّ شُهبَ الدَّياجي ثلةٌ رُصِدَت   فعالجتها ذِئابُ الليل بالطـــردِ

كأن كتابي – وهواياتُ حِكمـــةٍ   بما يُرجفُ السَّبع الطِّباقَ مُدوَّنُ

وقال في قصيدة (لغة الحب)[١٧]

ثالثا : استثمار (كأنَّ) في صور تقريرية :

ينسج الشاعر نظم شعره بما يتناسب وجمهوره الذي يخاطبه ، فضلا عن أنَّ قصائده جميعها تتسم بالمنبرية ، ترتبط بطبيعة التلقي ، فهذه الصور تقوم على نصوص شعرية مفهومة لا تعقيد فيها ، بناؤها الفني والتصوري

---

[١٦] ديوان الشبيبي : ٦٥ .

[١٧] ديوان الشبيبي : ١٣٣ .

بسيط ، فهي قصائد تعبوية ، من هنا كان للأداة (كأنَّ) حضورا في تصوير الأشياء وبثها بلقطات مباشرة .

وقال في قصيدة (يوم الشعيبة)[١٨]

كأنَّه والمقادير التي سبقت   على مُقرَّر ميقاتٍ وميعاد

تتحدث الصورة في الإيمان بالقضاء والقدر وهو ما يعبّر عنه في الحياة اليومية (كل شيء مقدر ومكتوب) .

وقال في قصيدة (أوطار وأوطان)[١٩]

كأنك تدعو حين تدعو حجارةً   وتقرعُ صُمّا من صياخيد صفوان

تصوّر (كأنَّ) دعوات الإصلاح التي تصطدم في نداداتها لأشخاص هم كالحجارة في الاستجابة ، والصورة هنا توظف عنصرا متداولا مألوفا .

وقال في القصيدة نفسها :

كأن لم يكن إنجيلُ عيسى بن مريمٍ   ولا أُوحيَتْ توراةُ موسى بن عمرانِ

تصور (كأنَّ) ، عجز الإنسان في الإفادة من الديانات السماوية ، مخاطبا ذهن المتلقي بطريقة مباشرة .

وقال في قصيدة (خواطر اليوم أقوالُ غد وأعمالُ ما بعد)[٢٠]

كأنَّ سرَّ الحياة المُستكنَّ بنا   وديعةٌ من صفايا الواحد الأحدِ

---

[١٨] ديوان الشبيبي : ٤٩ .

[١٩] ديوان الشبيبي : ٥٠ .

[٢٠] ديوان الشبيبي : ٨٤ .

ينقل صورة من أسرار الحياة التي تعبر عن وحدانية الله تعالى ، مفيدا من حالة التوحّد بين الطرفين المتحققة من توظيف (كأنَّ) .

هكذا تسير بقية استعمالات الأداة (كأنَّ) ، في الصور التقريرية في شعر الشبيبي فيما يقارب السبعة عشر بيتا . فهي صور معروفة صيغت صياغات مباشرة لا غموض فيها ، فهي أشعار (حماسية) بعضها ينتمي إلى الحكمة .

وقال في قصيدة (الاجتماع والشعراء)[٢١]

كأنَّ العِلمَ حاصرُ كهرباءٍ   وكم وصلوا به سلك اطلاع

وقال في قصيدة (منتصف شوال)[٢٢]

كأنَّ انحداري بالأفكار يكرُبُني   فحانَ في سُلَّمِ الأفكار إصعادي

وقال في قصيدة (حول لندن)[٢٣]

كأنّي مُسيءٌ بين أظهُر جيراني   ولو أنصفوني قيل: إنّك مُحسنُ

وقال في القصيدة نفسها

كأنَّ الذي حاولت ثمَّ وحاولت   من الحُبِّ مَعنًى بينا مُتواردُ

---

[٢١] ديوان الشبيبي : ٩٦.

[٢٢] ديوان الشبيبي : ١١٢.

[٢٣] ديوان الشبيبي : ١٢٩.

وقال في قصيدة (بين العقل والقلب)[٢٤]

كأنَّ مُعطى الهوى لم يُبقِ باقيةً   من الهوى للذاتي أو لأترابي

وقال في قصيدة (ذكريات الماضي)[٢٥]

كأنَّني لُقمةٌ للدهر سائغةٌ   أو مُضغةٌ بلَهاةِ الحادث الجللِ

وقال في قصيدة (تذكروا أنا عطاشى)[٢٦]

وكأنَّها لمَّا رأت   نار الهوى حامت فراشا

وقال في قصيدة الفيضان)[٢٧]

كأنَّك إذ تخيَّرتَ المباني   هَممتَ بهنَّ قصداً لا اتفاقا

وقال في قصيدة (تينتيك)[٢٨]

وكأنَّكِ القمرُ الذي ألقى به   ليُضيئنا فلكُ السَّماءِ أبوكِ

وقال في قصيدة (وصف حديقة)[٢٩]

كأنَّ الغُصونَ وقد أزهرت   تباشيرُ عالمنا المُقبلِ

---

[٢٤] ديوان الشبيبي : ١٣٧.

[٢٥] ديوان الشبيبي : ١٤١.

[٢٦] ديوان الشبيبي : ١٤٥.

[٢٧] ديوان الشبيبي : ١٦٥.

[٢٨] ديوان الشبيبي : ١٦٩.

[٢٩] ديوان الشبيبي : ١٧٢.

وقال في قصيدة (ليالي دجلة)[٣٠]

كأنَّ الطبيعة في غفوةٍ   وجرى الجداول مثل الغطيط

وقال في قصيدة (وحي الغروب)[٣١]

وكأنني في وحدتي   مُستعرضُ الحِقبِ المواضي

وقال في قصيدة(أيدي الربيع)[٣٢]

فكأنَّ النرجس الغضَّ بها   عينُ صبٍّ بُليت بالسهر

خلاصة القول : إنَّ الصورة التقريرية في شعر الشبيبي بدت ذات طابع إيضاحي يفيد من التصوير في حدود يتحدد عندها التعامل مع الأخيلة ، فكلما تقدمت التصويرية تراجعت التقريرية ، بيد أنَّ السياق والعلاقة المتحققة بين الشكل والمضمون هي التي تقرر ذلك .

---

[٣٠] ديوان الشبيبي : ١٧٥.

[٣١] ديوان الشبيبي : ١٧٧.

[٣٢] ديوان الشبيبي : ١٧٩.

الخاتمة :

بعد هذا العرض المكثف لوظيفة الأداة (كأنَّ) ، توصل البحث إلى عدد من النتائج منها .

- إنَّ شاعرية الشبيبي تتضح ملامحها عند توظيف (كأنَّ) ، ولاسيما حين تخاطب الذهن ، فالصور التي تحدث بين المشبه والمشبه به ترافقها تعليلات ، حتى يكون هذا التعليل دافعا لدى المتلقي لتقبل عوالم الوهم وتصورها في ذهنه وتصديقها في فكره وهذا أسلوب من أساليب الشاعر .

- يثبت البحث أنَّ التصوير بـ (كأنَّ) في أغلب السياقات أبلغ من التشبيه بالكاف لاعتبارات تتعلق بنظم الجملة وتركيبها النحوي .

- وجد البحث أنَّ التصوير بالأداة (كأنَّ) هو النمط السائد والطاغي في صور الشاعر ، بسبب قدرتها على فتح عوالم التخييل وتحويل هذا الخيال على واقع ملموس في ذهن المتلقي .

- إنَّ عوالم التصوير بالأداة (كأنَّ) لا تكتمل إلا بمشاركة مخيلة المتلقي وجعله يشارك في عملية بناء الصور وتشكلها ، فهي أداة تتجاوز ذهن المتكلم إلى أفق السامع .

- وجد البحث أنَّ استعمال (كأنَّ) أنتج صورا شعرية تنقسم على ثلاثة أقسام ، صور فيها إبداع تتشكل في مخيلة المتلقي ، وصور مبالغ في بنائها الفني ، وصور تقريرية غالبا ما تكون نتيجة واستجابة بمتطلبات السياق .

- إنَّ دلالة المشبه والمشبه به في نص شعري لا تتضح دلالته من جانب انفراده فهي تكتسب دلالتها من خلال سياقها ، وكأنَّ في قول الشاعر هذا تؤدي وظيفة بناء علاقات دلالية بين المشبه والمشبه به ، وقد يتعدى الارتباط بينهما حدود المشابهة السطحية إلى نوع آخر من المشابهة التي توهم المتلقي أنَّ المشبه به هو المشبه نفسه إيهاما وهنا تبرز خصوصية (كأنَّ) في العملية التشبيهية .

المصادر :

- الأسلوبية وتحليل الخطاب ، الدكتور منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري دار المحبة – دار آية ، ٢٠٠٩م – ١٤٢٩هـ : .

- – أضداد الكلام نحو اتجاهات جديدة في القصيدة العربية في العراق ، الدكتور علي متعب جاسم ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٥م – ١٤٣٦هـ .

- التصوير المجازي أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن ، الدكتور إياد عبد الودود الحمداني ، دار مجدلاوي– عمّان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٣م – ٢٠١٤م .

- تطور الشعر العربي الحديث في العراق منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية ، الدكتور علي عباس علوان ، ١٩٧٥م ، (لا ، ط) .

- دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني النحوي ، قراءه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني– مصر ، دار المدني بجدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م .

- ديوان الشبيبي ، محمد رضا الشبيبي ،عنيت بنشره جمعية الرابطة العلمية الأدبية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٩هـ– ١٩٤٠م .

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط٢ ، ١٩٩٣م .

- موسوعة النحو والصرف والأعراب ، إعداد الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار العلم ملايين بيروت ، ١٩٨٨م .

- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، الدكتور صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٣ ، ١٩٨٧م .

منهج البحث اللهجي
عند الشيخ محمد رضا الشبيبي

الأستاذ الدكتور أحمد هاشم السامرائي
كلية التربية – جامعة سامراء

الملخص :

تعد الدراسات اللهجية فرعا مهمّا من فروع الدراسات اللغوية ، إذ تكشف هذه الدراسات عن سعة استعمال المتكلمين وتصرفهم في اللغة ، صوتا وبنية ودلالة وتركيبا ، فظهرت مجموعة من الدراسات اللهجية المستقلة في التراث اللغوي العربي سميت بـ (كتب اللغات) ، فضلا عن احتواء كتب اللغة المختلفة كبيرها وصغيرها على نصوص كثيرة تمثل صور الاختلاف اللهجي عند العرب .

أحس المحدثون بهذه الأهمية فانكب اللسانيون على دراسة اللهجات وتقعيد القواعد على وفق الاستعمال ، وإن تفاوتت فيها مناهجهم ، وشاع في المدارس اللسانية الغربية دراسة اللهجات المحلية الحديثة ، حتى سرى هذا الخط من الدراسة على نهج عدد من المستشرقين حين كرَّسوا جهودهم لدراسة اللهجات العربية الحديثة ، فظهرت البحوث والمؤلفات في اللهجة العراقية والشامية والمصرية ، فضلا عن لهجات دول الخليج وغيرها ، فأعطت هذه الدراسات نتائج بحثية ممتازة .

أما المدارس اللغوية العربية الحديثة فقد تأخرت كثيرا في هذا الميدان لأغراض كثيرة ، منها أن دراسة اللهجات الحديثة أو القديمة يؤثر في سلامة اللغة الفصحى ، حتى وجدنا جيلا من الدارسين ذهبت بهم العصبية المقيتة إلى وصف من يدعو إلى دراسة اللهجات بأقذع الصفات ، وعلى الرغم من هذه الحملة اللاعلمية نجد دراسات هنا وهناك تفصح عن كنوز لغوية حوتها اللهجات الحديثة ، فظهرت هذه الدراسات في العراق والشام ومصر ، وكان رائد هذه الحركة في العراق الشيخ محمد رضا الشبيبي .

اعتنى الشيخ محمد رضا الشبيبي بدراسة اللهجة العراقية ، وهي واحدة من الأعمال اللغوية والأدبية الكثيرة التي تركها فامتلأت بها رفوف المكتبات ، وكانت مصادر مهمة للدارسين في العراق وخارجه ، ولمكانة الشيخ في هذا الميدان ، وقلة الدراسات البحثية عنه ، أو بعبارة أدق انعدامها ، عقدت العزم متوكلا على الله ﷻ في دراسة جانب من جوانب الدراسات اللهجية عنده فوسمت بحثي بـ

منهج البحث اللهجي عند الشيخ محمد رضا الشبيبي

المقدمــة :

ترمـي هذه الدراسـة إلـى الكشـف عن معـالم منـهج البحـث اللـهجـي عنـد الشيخ الشبيبي ، وبما أن للشيخ دراسات لـهجية متعددة ومتناثرة ، فقد وجدت أبرزها دراسته الموسومة بـ (أصـول اللـهجـة العـراقيـة)[1] ، فاخترتـهـا لمـيدان البحث ، وسبب الاختيار ما يأتي :

١. تعدُّ هذه الدراسـة أوسـع دراسـة لـهجية للشيخ الشبيبي ، فأعطتني هذه السعة مساحة كافية لاكتشاف معالم منـهجه البحثي .

٢. كتبت هذه الدراسة ونشـرت فـي العام ١٩٥٦م ، وإذا علمنا أن الشيخ توفي في العام ١٩٦٥م ، فيعني هذا أنها نشرت في العقد الأخير من عمره ، وهي أعلى مراحل النضوج العلمي عنده ، ولا نظن أنه تراجع عن آرائه أو غيّر منـهجه في السنوات التسع الأخيرة من حياته .

٣. اختصت هذه الدراسة باللهجة العراقية الحديثة ، وهو ميدان بحثي ثر يتصل بنا اتصالا مباشرا ، لأنه يدرس كثيرا من الألفاظ التي ما زلنا نستعملها في حياتنا اليومية .

وبنـاءً علـى هذا وغيره فقد قامت دراستي هذه علـى اكتشـاف منـهج البحث الذي سار عليه الشيخ ، وكما هو معلوم لـدى الدارسين أن دراسـة المنـاهج البحثيـة لأي علم من العلوم ليست بالدراسـة السـهلة ، فهـي تختص

---

[1] وهي دراسة واسعة جاءت في سبع وتسعين صفحة ، نشرها في : مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد (٢) ، ابريل ، ١٩٥٦م ، ص ٣٩٥ . ٤٩٢ .

بدراسة فكر المؤلف ومنهجه في دراسته ، وإنما اخترت (منهج البحث اللهجي) دون غيره من عناصر الدراسات اللهجية لأسباب هي :

١. الكشف عن منهج بحثي خاص في اللهجات في الوقت الذي يفتقد فيه الدارس اللهجي إلى كتاب يرسم له خريطة طريق في الدراسة اللهجية .

٢. إظهار جانب من جوانب الإبداع اللغوي العراقي في تلك الحقبة التي تسيّد فيها عدد من الراكضين وراء الغرب ودراساتهم .

٣. إبراز بدايات الدراسات اللهجية في العراق في العصر الحديث .

اقتضت طبيعة البحث ان يكون مقسما على ثلاثة مباحث ، هي :

المبحث الأوّل : خصصته لـ (العقليَّة التَّنظيميّة (البنائيَّة)) ، وتناولت فيه خطة الدراسة ، فقسمته على : (علم اللهجات ، واللهجة العراقية ، وموادُّ اللهجة العراقية ، ومعجم الألفاظ العراقية) .

المبحث الثاني : خصصته لـ (المستويات اللغوية) ، وتناولت فيه : (التطور الدلالي ، والحقول الدلالية ، وبنية الوحدة اللغوية) .

المبحث الثالث : خصصته لـ (مصادر البحث اللهجي) ، وتناولت فيه : (الشواهد ، والمصادر النقلية ، والمادة اللغوية) .

المبحث الأوَّل

العقليَّة التَّنظيميَّة (البنائيَّة)

تعدُّ خطة البحث من الأسس المهمَّة والبارزة الَّتي يقوم عليها العمل البحثي ، فبها يستقيم وبها يضطرب ، لذلك نجد الدَّارسين بتخصُّصاتهم المختلفة يعتنون بخطَّة بحوثهم ودراساتهم قبل الشُّروع في الكتابة ، فيحاولون تغطية مفردات العنوان العلمية والفكرية ، لتكون شاملة لميدان البحث .

قبل الشُّروع في بيان منهج الشَّيخ الشَّبيبيَّ في تقسيم دراسته ، لابدَّ لنا من ذكر شيء عن الخطط البحثية ، وهي على قسمين :

١. خطط تقوم على تقسيم مادَّة الدراسة على أبواب وفصول ومباحث .
٢. خطط تقوم على تقسيم مادَّة الدراسة على عنوانات مقاليَّة .

وبين هذه وتلك يختلف تقسيم كلّ موضوع عن الآخر ، وكل علم عن آخر ، حتَّى يختلف التقسيم باختلاف المجالات العلمية .

حاول الشَّيخ الشبيبي الإلمام بجزئيات الموضوع وإعطاء الفكرة المركزية الَّتي تقوم عليها دراسته أهمية كبيرة فجاءت خطة دراسته في صورتين هما :

- الخطة الموجزة .
- الخطة المفصلة .

ومن خلال النَّظرة الفاحصة والقراءة الدَّقيقة في هذه الدراسة نجد أنها مقسَّمة على مجموعة من العنوانات التي أوردها الشيخ الشبيبي بطريقة مقالية وهذه العنوانات هي :

١. علم اللهجات :

ابتدأ الشيخ الشبيبي دراسته بمدخل لمعرفة اللهجة العراقية الحديثة[٢] ، تناول فيه ثلاثة أمور مهمة ، هي :

- تعدد اللهجات العربية الحديثة واختلافها .
- أوجه اتفاقها .
- أسباب ولادة اللهجات الحديثة .

ويظهر من خلال هذا المدخل أن الشيخ تركه بلا عنوان ، ويبدو لي أنَّ سبب إهمال العنوان أن ما ذكره فيه لا يعدو أن يكون أفكارا تمهيدية للموضوع الرَّئيس ، وممَّا يؤيِّد ما ذهبت إليه أننا نجد مادتها خالية من الأفكار العلمية المهمة أو التوجهات الفكرية .

وبعد هذا المدخل شرع الشيخ بالكلام على (علم اللهجات)[٣] ، وحاول التركيز على ثلاثة محاور علمية فيه ، وهي :

- نشأة علم اللهجات في الغرب .
- الغرض من دراسة اللهجات .
- خلاصة الدعوة إلى دراسة اللهجات .

---

[٢] ينظر : أصول اللهجة العراقية ٣٩٥ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه ٣٩٦ - ٤٠٠ .

تعدُّ هذه المحاور منطلقا علميًا للدَّرس اللهجي ، وإن تبدو للقارئ أنها شائعة ومستهلكة دراسة ، إلاَّ أن التركيز عليها في زمن كتابة هذه الدِّراسة ونشرها أمر كبير ، إذ أحسَّ الدارس اللغوي في ذلك الوقت تقدُّم الدراسات اللسانية الغربية (اللسانيات التطبيقية) على الدراسات العربية التي شهدت صراعا علميًا كبيرا بين دعاة التَّجديد ودعاة التَّمسك بالقديم ، فوصل الأمر بأصحاب القديم إلى وصف المجدِّدين بأوصاف لا تليق بالمعارك العلمية .

ويبدو لي أن الشيخ الشبيبي أصاب في هذا الطرح إلى حد كبير ، لأننا نلمح خلطا كبيرا عند عدد من الدارسين بين دعوتين هما : (الدعوة إلى العامية ، والدعوة إلى دراسة العامية) ، ففي الوقت الَّذي يرفض فيه الجمَّاء الغفير من أهل العلم العرب الدَّعوة الأولى ، نجد عددا منهم يؤيِّدون الدعوة الثانية ، وهو ما بان واضحا فيما تناوله الشيخ الشبيبي ، فقال : ((وهناك من ينظر إلى اللهجات ودرسِها نظرة اصطلاحية تختلف عن النظرة السابقة ، فإنَّ هذه اللهجات تحفل بمادة صالحة من : المفردات ، والمركبات ، والفصح الشاردة ، على ما فيها من فساد والتواء واعوجاج ، فعلينا أن نعنى بإصلاح ذلك ، وبذل الجهد في التوفيق بين الفصحى ولهجاتها من هذه الناحية ، لنخلص إلى لغة موحَّدة سليمة ، ومن البين أنَّ إصلاح اللغة وتغليب اللهجة الفصحى على غيرها لا يتأتَّى بمراعاة قواعد النحو والصَّرف والإعراب فقط ، فإنَّ ذلك متعذِّر على الجمهور ، وإنَّما يتأتَّى بتنقية لهجتنا من الألفاظ والأساليب المبتذلة ، والاقتصار على استخدام [كذا] المواد الفصيحة ، ثمَّ بإصلاح المنطق ، والتلفظ بالألفاظ على النحو المأثور عن الفصحاء ، دون تحريف أو فساد أو اختلال في الحركات والسكنات والتَّخفيف والتضعيف

والتقديم والتأخير ، وبلا شذوذ عن الصول والقواعد اللغوية ، والواقع أنَّ منطقنا سقيم ، وفي تلفظنا ما فيه من الفساد والعجمة))[٤] ، حتَّى نجده يصرح بأن هذا عرضه ، فقال : ((هذا هو الغرض الذي توخيته من دراسة تاريخ اللهجة العراقية في هذه الكلمة))[٥] .

٢. اللهجة العراقية :

من هنا بدأ صلب الموضوع والفكرة المحورية في هذه الدِّراسة ، إذ حاول الشيخ الشبيبي الدخول إلى رحاب اللهجة العراقية من خلال مجموعة من الأفكار الَّتي طرحها ، فنجده يعالج مسألتين مهمتين في هذا الموضوع هما :

- العلاقة بين تاريخ العراق ولهجة أهله .
- صور تأثر المجتمع العراقي بالشعوب الاخرى ، كالعادات ، والأوضاع الاجتماعية والأخلاق وغيرها[٦] .

تؤكِّد معالجة هاتين المسألتين على حقيقة ثابتة في الدرس اللهجي وهي : (علاقة الزمان والمكان باللغات) ، وهذا ما أكده الدَّرس اللساني الحديث ، قال دي سوسير : فـ ((من الخطأ الاعتقاد بأنَّ المكان وحده هو السبب ، فالمكان وحده لا يمكن أن يؤثِّر في اللغة ، فالمستوطنون القادمون من (S) كانوا يتكلَّمون اللغة نفسها التي تكلَّموها في اليوم السابق ، وذلك يوم وصولهم إلى جزيرة (S') ، ومن السهل أن ننسى عامل الزمن ، لأنَّه

---

[٤] المصدر نفسه ٣٩٩ .

[٥] المصدر نفسه ٤٠٠ .

[٦] ينظر : المصدر نفسه ٤٠٠ . ٤٠٣ .

أقل وضوحا من المكان ، ولكنَّه في الحقيقة العامل الذي يؤدِّي إلى التمييز اللغوي ، فالتنوُّع الجغرافي ينبغي أن يسمَّى بـ (التنوُّع الزمني)))[٧] ، فتاريخ العراق وموقعه بين الشعوب المختلفة كفيلان في وجود التنوع اللهجي .

ومن جميل الصُّور البحثية عن الشيخ الشبيبي محاولته الربط بين حياة المجتمع العراقي ولغته ، لأن اللغة بلا شك تعكس التنوع المجتمعي ، فوجود مجموعة من العادات والأوضاع الاجتماعية والأخلاق الشائعة والآداب والخرافات والخزعبلات يدلُّ على اتصال المجتمع العراقي بالمجتمعات الأخرى[٨] ، فوصل إلى نتيجة هي : ((أن اللهجة الحضرية الشَّائعة في العراق لم تتغير كثيرا عمَّا كانت عليه في المئتين السابعة والثامنة ، فهذه اللهجة المحكية الآن قديمة ، وهي تخالف أمها الفصحى في كثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها ونغمتها وجرسها وما إلى ذلك))[٩] .

اذا صار واضحا لدينا أنَّ الشيخ الشبيبي اتَّخذ منهجا بحثيا متسلسلا ، حاول الربط بين العناصر المختلفة الَّتي تؤدِّي إلى الاختلاف اللهجي ، وهو منهج يعطي للدَّرس اللغوي أبعاده العلمية ويلملم شتاته المبعثرة .

---

[٧] علم اللغة العام ٢١٩ . ٢٢٠ .

من اللافت للنظر أنَّ الشيخ الشبيبي لم يطلع على محاضرات دي سوسير في علم اللغة العام حين كتب هذا البحث ، لأنَّها لم تترجم إلى العربية في ذلك الوقت .

[٨] أصول اللهجة العراقية ٤٠٠ . ٤٠١ .

[٩] المصدر نفسه ٤٠٢ .

٣.موادُ اللهجة العراقية :

تعدُّ دراسة الموادّ اللغوية في أي لهجة أساس الدرس اللهجي ولبّه ، ويمكن أن نطلق عليها (الدراسة التطبيقية) ، إذ يحاول الباحث اللهجي استنباط أحكامه اللهجية ومقرراته من خلال النصوص التي بين يديه ، فيقابل ويعارض ويؤصّل ويعلّل ويناقش ، حتى يستقيم عنده الجواب وتظهر النتيجة .

ولابدَّ لي أن أسجل هنا أن الشيخ الشبيبي أحسن الانتقال من الدرس النظري في الموضوعين السابقين إلى الدرس التطبيقي ، لأن الدرس النظري وحده لا يمكن أن يؤدي الغرض البحثي ، فضلا عن أن الاقتصار على الدرس التطبيقي يفقد القارئ المعرفة الكاملة عن مقدمات ميدان البحث ، ولهذا يعدُّ الدرسان من أسس إقامة البحث اللهجي[١٠] .

عرض الشيخ الشبيبي موضوع (مواد اللهجة العراقية)[١١] ، مستعينا بمجموعة من كتب التُّراث التي رفدته بما يريد ، ومنها كتاب (الحوادث الجامعة)[١٢] ، فضلا عن مصادر أخرى أفادته في الألفاظ المستعملة في اللهجة العراقية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ودرس في هذا الموضوع ثلاثة أمور مهمة ، وهي :

---

(١٠) ممَّا يؤسف له أنَّنا نجد مجموعة من البحوث والدراسات اللهجية قد أهملت الدرس النَّظري ، وهذا خطأٌ كبير في أصول البحث اللهجي .

(١١) ينظر : أصول اللهجة العراقية ٤٠٣ . ٤١٠ .

(١٢) وهو كتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة) ، لأبي الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الصابوني ، المعروف بابن الفوطي (٧٢٣ هـ) .

- أقسام اللهجة العراقية : ذكرها تحت عنوان (نظرة في تقسيمها) .
- التصرُّف في الألفاظ الأعجمية .
- لهجة عراقية في عصر الغياثي[١٣] .

ومن الجدير بالقول هنا أن تقسيم العنوان على هذه الموضوعات الثلاثة يمثل دراسة أغلب جزئياته ، وهو تقسيم يصل إلى درجة الصواب العليا ، إذ تمكِّنُ هذه الإحاطة الباحثَ من تتبع مفاصل المادة المختارة (ميدان البحث) ، فيأخذ بواحدة تلو الأخرى ، فضلا عن ارتباطها مع بعضها ، فلا نجد الفروق العلمية والمنهجية بينها ، ففي الوقت الذي انتهى فيه من معالجة قسمي اللهجة العراقية وهما :

- ألفاظ دخيلة من اللهجات الفارسية والمغولية والتركية .
- ألفاظ عربية مولدة .

انتقل إلى (دراسة تطبيقية على قسم مهمٍّ وبارز من هذه الأقسام) ، وهو : الألفاظ الأعجميَّة ، لأنَّه رأى ، على ما يبدو لي ، أنَّها ظاهرة بارزة في الاستعمال العراقي ، فمن أسس التصرف اللهجي عند المتكلم شيوع الاشتقاق ، وهو اشتقاق كلمات من كلمة واحدة ، حتى يصل الحال بالاستعمال اللهجي إلى إهمال الكلمة الأصلية ودلالتها اللغوية وشيوع المشتقات اللهجية .

ولي أن أسجل ملاحظة على الأمر الثالث الذي درسه ، وهو (لهجة عراقية في عصر الغياثي) ، وإن سوّغ الشيخ الشبيبي لنفسه ذكره في هذا

---

[١٣] اعتمد في دراسة هذا الأمر على كتاب (تاريخ الغياثي) ، لعبد الله بن فتح الله البغدادي المعروف بالغياثي (ق ٩ هـ) .

الموضع ، فقال : ((يمثل كتاب الغياثي دورا من أدوار الانتقال في تاريخ اللهجة العراقية ، أو العامية الحديثة في عصر المغول في العراق ، ففي هذا الدور ، وهو الدور الذي انحلَّت فيه الدولة الايلخانية ، وتمكن خلاله الشقاق والانقسام بين قبائل المغول ، وظهرت ملوك الطوائف وحكَّام العشائر وأمراء الأطراف من المغول ، ... ، في هذا الدو استعملت أحيانا في التأليف لهجة شاع فيها اللحن والخروج عن قواعد العربية في الكتابة ، وأهمل الإعراب ، اسقطت الحركات ، وحلَّ الوقف محل الإعراب في أواخر الكلم حتَّى في الكتابة))[١٤] .

ويبدو لي أن هذا الكتاب لا يمثل حالة لهجية عراقية ، إذ ذكر محقق هذا الكتاب أن مؤلفه عاش أكثر حياته في حلب ، فقال : ((وقد ظهر لنا أنَّ مؤلفه بغدادي المنشأ نزح إلى حلب وعاش فيها مدة ليست بالقصيرة تخلصا من الظلم والاضطهاد ، ... ، وقد أشار عدَّة مرات إلى أنه كان مقيما في حلب ، حيث كان يتابع أخبار العراق وهو فيها))[١٥] .

٤.معجم الألفاظ العراقية :

وهو الجزء الأخير من دراسة الشيخ الشَبيبي ، إذ عرض فيه مادة لغوية كبيرة ، فدرس (٨٦) ستا وثمانين لفظة[١٦] ، دراسة لغوية تأصيليَّة[١٧] ، فاعتمد التَّرتيب الألفبائي في سرد الألفاظ ناظرا إلى لفظة

---

[١٤] أصول اللهجة العراقية ٤٠٨ . ٤٠٩ .

[١٥] التاريخ الغياثي ٧ .

[١٦] ينظر : أصول اللهجة العراقية ٤١١ . ٤٩٢ .

[١٧] سأفصِّل القول في منهج دراسة اللفاظ في (المبحث الثاني : مستويات اللغة) بعد قليل .

الكلمة لا إلى جذرها ، وعلى النَّحو الآتي : (الإدارة ، والأسباب ، وانكسار ، وإنهاء ، وأوردو ، والإيلجية) وغيرها .

ويمكن لي تلخيص مميزات هذا المعجم من النَّاحية التنظيمية بالنقاط الآتية :

١. اعتمد الشيخ الشبيبي الترتيب الألفبائي بحسب الحرف الأول من الكلمة فالثَّاني فالثَّالث في بناء معجمه ، ويوفر هذا الترتيب للقارئ فائدتين هما :

- الارتباط بالمعجم التراثي ، فهي طريقة معجمية استعملها الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) ، إلاَّ أن الزمخشري اعتمد جذر الكلمة أساسا في الترتيب ، في حين اعتمد الشيخ لفظ الكلمة ، فضلا عن ذلك فإن هذا الترتيب هو الشائع في المؤلفات المعجمية الحديثة العربية منها وغير العربية ، فمن المعجمات العربية : محيط المحيط ، وقطر المحيط لبطرس البستاني (١٨٨٣م) ، وأقرب الموارد لعبد الله الشرتوني (١٩١٢م) ، والمعجم التاريخي للمستشرق فيشر وغيرها[١٨] ، وهذا يعني أنه جمع المنهجين التراثي والحديث .
- سهولة الوصول إلى المفردة اللغوية ، إذ لا يلزم القارئ البحث عن جذر الكلمة ، وقد يخطئ في الوصول إلى الجذر ، لأننا نعلم أن

---

[١٨] ينظر تفصيل القول في مناهج المعاجم الحديثة : مظاهر التجديد في العجم العربي في العصر الحديث ١٤٤ . ١٦٨ .

البحث عن الجذر يتطلب معرفة كافية بأصول التحليل الصرفي وقواعده ، ومنها : الإعلال والإبدال .

٢. حاول الشيخ الاجتهاد في مجموعة من الكلمات التي تنطق بأصوات ليس لها حروف في العربية فوضعها في أقرب حرف لها ، مثل :

(پ) = ب ، كقولهم : (البايزة)[١٩] .

(چ) = ج ، كقولهم (الايلچية)[٢٠] ، و (الچاو)[٢١] ، و (الچتر)[٢٢] ، و (چرخ)[٢٣] ، و(الكَلّچية)[٢٤] .

٣. جمع أكثر من كلمة في الفقرة الواحدة ، ولهذا الجمع صور هي :

- اجتماع كلمتين من جذر واحد ، مثل : (الإدارة والمدير)[٢٥] ، و (دوشاخة ، ودوشخ)[٢٦] ، و(الراكبدار ، الركبدارية)[٢٧] ، و (سبيلدارية وسبيلداريات)[٢٨] ، و (المخلط والمخلطون)[٢٩] .

---

(١٩) ينظر : أصول اللهجة العراقية ٤١٧ .

(٢٠) ينظر : المصدر نفسه ٤١٦ .

(٢١) ينظر : المصدر نفسه ٤٢٧ .

(٢٢) ينظر : المصدر نفسه ٤٢٨ .

(٢٣) ينظر : المصدر نفسه ٤٣٠ .

(٢٤) ينظر : المصدر نفسه ٤٧٥ .

(٢٥) ينظر : المصدر نفسه ٤١١ .

(٢٦) ينظر : المصدر نفسه ٤٤٢ .

(٢٧) ينظر : المصدر نفسه ٤٤٧ .

(٢٨) ينظر : المصدر نفسه ٤٥١ .

(٢٩) ينظر : المصدر نفسه ٤٨٠ .

- اجتماع كلمتين من جذرين مختلفين ، مثلا : (التطبيق والتبنيد)[٣٠] .

٤. حاول الشيخ تفسير الكلمة بكلمة تقاربها في المعنى العربي ، مثل :

- الأسباب ، بمعنى الامتعة[٣١] .
- الإنهاء ، بمعنى : العريضة[٣٢] .
- الأوردو ، بمعنى : العسكر أو المخيم أو الجيش[٣٣] .
- تعلَّق على فلان ، أي : احتمى به[٣٤] .
- رفيع ، بمعنى : دقيق[٣٥] .
- الشدة ، بمعنى : الحزمة[٣٦] .
- الشربة ، بمعنى : الجرة[٣٧] .
- صانع ، بمعنى : خادم[٣٨] .
- الضمان ، بمعنى : الإجارة[٣٩] .

---

(٣٠) ينظر : المصدر نفسه ٤٢٥ .

(٣١) ينظر : المصدر نفسه ٤١١ .

(٣٢) ينظر : المصدر نفسه ٤١٢ .

(٣٣) ينظر : المصدر نفسه ٤١٤ .

(٣٤) ينظر : المصدر نفسه ٤٢٦ .

(٣٥) ينظر : المصدر نفسه ٤٤٦ .

(٣٦) ينظر : المصدر نفسه ٤٥٥ .

(٣٧) ينظر : المصدر نفسه ٤٥٥ .

(٣٨) ينظر : المصدر نفسه ٤٥٨ .

(٣٩) ينظر : المصدر نفسه ٤٥٨ .

- الطبق ، بمعنى : دور الضيافة[٤٠] .
- طيِّب ، بمعنى : معافى[٤١] .
- الظواهر ، بمعنى : العجائب[٤٢] .
- العالم ، بمعنى : جمهرة الناس[٤٣] .
- قاعد ، بمعنى : جالس[٤٤] .

٥ . وصف الألفاظ بالكلمات والعبارات : يعدُّ وصف بناء الكلمة بالكلمات والعبارات من المناهج الشائعة في المعجم التراثي ، إذ يوفر هذا المنهج ضرورة الضبط بالحركات أو اختلاطها ، وقد سار عليه الشيخ الشبيبي من ذلك :

- بطل : بَطَلَ الأجير ، بالتخفيف[٤٥] .

٥. الفصل بين مشتقات الجذر الواحد ، من ذلك :

- (دَرْوَزَ) ، وهو فعل مشتق من (الدروازة) ، ففصل الشيخ بين الفعل وما اشتق منه فجعل (الدروازة) برقم (٣١) ، و(دروز) برقم (٣٢)[٤٦] .

---

(٤٠) ينظر : المصدر نفسه ٤٦٠ .
(٤١) ينظر : المصدر نفسه ٤٦١ .
(٤٢) ينظر : المصدر نفسه ٤٦١ .
(٤٣) ينظر : المصدر نفسه ٤٦٣ .
(٤٤) ينظر : المصدر نفسه ٤٦٦ .
(٤٥) ينظر : المصدر نفسه ٤١٨ .
(٤٦) ينظر : المصدر نفسه ٤٤١ .

٧. العناية بذكر صور النطق ، وهو منهج شائع في المعاجم اللغوية ، فكما هو معلوم أن للحرف صورا صوتية في الاستعمال ، ولهذا نجد للكلمة عدَّة صور في نطقها صوتيّا ، ولأهمية تحديد صورة نطق صوت الحرف ذكره الشيخ الشبيبي من ذلك :

- (الروزكارية أو الروزجارية)[٤٧] .
- (سربوش ، ويقال أيضا : شربوس)[٤٨] .
- (الكشك ، أو الكوشك)[٤٩] .

٨. التوسع في دراسة الكلمة ، ليصل به الحال إلى دراسة كلمة لم يذكرها في بابها ، من ذلك كلمة (التاني) ، إذ نجده درسها في كلمة (التسقيم)[٥٠] ، وذكر كلمة (الختمة) مع كلمة (الربعة)[٥١] .

٩. إعادة الكلام في الكلمة الواحدة مرتين ، علما أن دلالة الكلمتين واحدة ، فتارة تكون مركبة وأخرى مفردة ، مثل : (بند[٥٢] ، ودربند)[٥٣] .

هذه أبرز المميزات المنهجية التي نلحظها في المعجم اللهجي .

---

(٤٧) ينظر : المصدر نفسه ٤٤٨ .

(٤٨) ينظر : المصدر نفسه ٤٥١ .

(٤٩) ينظر : المصدر نفسه ٤٤٧ .

(٥٠) ينظر : المصدر نفسه ٤٢٥ .

(٥١) ينظر : المصدر نفسه ٤٤٥ .

(٥٢) ينظر : المصدر نفسه ٤١٩ . ٤٢١ .

(٥٣) ينظر : المصدر نفسه ٤٣٩ . ٤٤٠ .

وخلاصة القول :

اتبع الشيخ الشبيبي في كتابة دراسته منهجا قائما على الإلمام بجزئيات البحث اللهجي ، وهو منهج توافرت فيه عناصر البحث النظري والتطبيقي ، فالمعروف عن البحث اللهجي أن يقوم على أسس ثلاثة ، يمكن لي أن أسمّيها مقدمات ، وهي :

- المقدمة النظرية .
- المقدمة التطبيقية (التنظيرية) .
- المقدمة التأصيلية .

إذ تكون المقدمة الأولى (النظرية) مدخلا يتعرَّف فيه القارئ على مفاتيح البحث ، ويمهِّد لمعرفة جزئياته ، وهذا واضح من خلال العنوانين السّابقين (علم اللهجات ، واللهجة العراقية) ، وممّا يحسب لهذه الخطة من إيجابيات أنَّ المقدمة النظرية تدرجت من العام إلى الخاص ، وهو تدرج علمي تدعو إليه مناهج البحث المختلفة .

يمثِّل اعتماد الشيخ الشبيبي على التدرج الموضوعي العلمي في سرد مفردات ميدان البحث خطوة كبيرة في تقدُّم منهج البحث العلمي بعامة واللهجي بخاصة ، في وقت كانت الدراسات الأكاديمية قليلة جدا ، وأستطيع أن أقول : إن وجود هذا المنهج البحثي في اللهجات قبل أكثر من سبعة عقود مدعاة للفخر لما وصل إليه البحث العلمي في العراق .

المبحث الثاني

المستويات اللغوية

تعدُّ دراسة المستويات اللغوية من أسس منهج البحث اللهجي ، إذ يلزم على الباحث العناية بهذه المستويات ، وهي : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية (التركيبية) ، والمعجمية (الدلالية) ، لأننا لا نجد اختلافا لهجيا يخلو منها ، فهي العناصر التي تتكون منها اللغة ، وإن تفاوتت فيما بينها عددا ونوعا .

يختلف منهج البحث اللهجي في دراسة هذه المستويات باختلاف ميدان البحث وطبيعته ، فنجد دراسات لهجية قائمة على دراسة مستوى واحد أو أكثر ، أو نجد دراسة أخرى يفرض عليها ميدان البحث الاهتمام بمستوى أو أكثر ، وعلى هذا الأساس لا يكون الباحث ملزما بدراسة المستويات كافة ، لأنه لا يجد ظواهر لهجية توافقها جميعا .

حاول الشيخ الشبيبي تغطية المستويات اللغوية ، ولكن دراسته فرضت عليه مستويين هما : الصَّرف والدلالة ، وإن كان المستوى الدلالي هو الشَّائع ، ولكننا نجد إشارات صرفية بحسب ما تفرضه الظاهرة اللهجية ، ويمكن أن أذكر مجموعة من القضايا اللغوية التي اعتنى بها الشيخ ، وهي :

١. التطور الدلالي :

وهو من القضايا اللغوية المهمة التي تتعرض لها الظاهرة اللهجية ، فالتطور من سنن اللغات ، ولا نجد لغة بلا تطور ، وقد حاول الشيخ الشبيبي بيان ما يطرأ على الألفاظ من تطور دلالي ، من ذلك :

- قال : ((الإدارة ، والمدير) : أدار الشيء : أماله ، وفاعله : (المدير) ، هذا هو معنى الكلمة في لغة العرب ، ومنذ عصر المغول تحوَّل مدلول هذه الكلمة ، فأطلقت على تصريف الأعمال وتدبيرها ، وأطلقت كلمة (المدير) على المتصرف ، وشاع استعمالها بهذا المعنى في عصور الأتراك والعصور الحديثة))[٥٤] .

- وقال : ((الأسباب ، بمعنى : الأمتعة : (السبب) في أصل اللغة : الحبل والسُّلَّم والصِّلة والعلاقة من قرابة أو نحوها ، والجمع : (أسباب) ، هذا هو مدلول كلمة (السبب ، والأسباب) في الأصل ، ولكن هذه الكلمة في لهجة العراقيين الشائعة اليوم تعني : الأثاث والمتاع وآلة المنزل ، فتراهم يقولون : (باع أسبابه) ، أي : أثاثه ومتاع بيته ، وليس استعمال لفظة (الأسباب) بهذا المعنى حديثا))[٥٥] .

- وقال : ((الإنهاء ، بمعنى : العريضة) ، ... ، و(الإنهاء) : هو الإبلاغ في أصل اللغة ، مصدر (أنهى الشيء) ، أي : ابلغه ، ولكنهم جعلوه اسما على ما يُعْرَض ويُنْهَى إلى المقامات العليا في الدولة ، وقد تصرفوا بهذه الكلمة))[٥٦] . وغيرها من النُّصوص .

---

[٥٤] المصدر نفسه ٤١١ .

[٥٥] المصدر نفسه ٤١١ .

[٥٦] المصدر نفسه ٤١٢ .

نلحظ من خلال كثرة ورود نصوص التطور الدلالي عند الشبيبي أنه أحس بأهمية التركيز عليه ، لأنه عنصر بارز من عناصر البحث اللهجي ، ووسيلة من وسائل الوصول إلى علة الاستعمال وحدوده .

٢. الحقول الدلالية :

تحظى الحقول الدلالية بمكانة كبيرة في الدرس اللهجي ، فلا يخلو بحث لهجي من بيان الحقول الدلالية للألفاظ اللهجية ، لأن دراستها تفصح عن التوجهات الفكرية والثقافية والعلمية لميدان البحث ، وتتفاوت هذه الحقول كثرة وقلة أو نوعا بحسب طبيعة ميدان البحث ، وبعد قراءة مدونة الشيخ الشبيبي اللهجية حصرت الألفاظ الواردة فيها بالحقول الآتية :

أ. **المصطلحات الإدارية والسياسية** : وردت المصطلحات الإدارية والسياسية كثيرا ، وهذا راجع إلى مصادر اللهجات التي اعتمدها الشيخ ، إذ اعتمد على عدد من كتب التاريخ ، وهذه الكتب تعتني كثيرا بالجانب الإداري والسياسي ، فضلا عن أن الألفاظ الإدارية والسياسية من أكثر الألفاظ اللهجية عرضة للتطور والتغيير ، لأنها متَّصلة بحاكم البلاد وإدارته ، والمصطلحات التي ذكرها الشيخ هي :

- الإدارة والمدير[٥٧] .
- الإنهاء ، بمعنى : العريضة[٥٨] .
- الأيلجية ، أي : البريد السريع[٥٩] .

---

[٥٧] ينظر : المصدر نفسه ٤١١ .

[٥٨] ينظر : المصدر نفسه ٤١٢ .

[٥٩] ينظر : المصدر نفسه ٤١٦ .

- البايزة ، أي : أمر سلطاني أو فرمان[٦٠] .
- بطل الأجير ، أي : أنهى عمله[٦١] .
- التخت ، وهو : كرسي الملك أو سريره أو عرشه[٦٢] .
- خاتم الأمان ، أي : رمز الوفاء بعهد السلطان[٦٣] .
- الخربندية ، أي : خواص الخدم والفدائية[٦٤] .
- الركبدار أو الركبدارية ، أي : الذين يحملون الغاشية بين يدي السلطان في المواكب الكبرى[٦٥] .
- الروزكارية أو الروزجارية ، أي : العمال الذين يتقاضون اجرتهم مياومة[٦٦] .
- السحنكية ، أي : المكلف بضبط شحنة البلد من جهة السلطان[٦٧] .
- الضمان بمعنى : الإجارة ، أي : التعهد والكفالة[٦٨] .
وغيرها[٦٩] .

---

(٦٠) ينظر : المصدر نفسه ٤١٧ .
(٦١) ينظر : المصدر نفسه ٤١٨ .
(٦٢) ينظر : المصدر نفسه ٤٢٢ .
(٦٣) ينظر : المصدر نفسه ٤٣٢ .
(٦٤) ينظر : المصدر نفسه ٤٣٧ .
(٦٥) ينظر : المصدر نفسه ٤٤٧ .
(٦٦) ينظر : المصدر نفسه ٤٤٨ .
(٦٧) ينظر : المصدر نفسه ٤٥٤ .
(٦٨) ينظر : المصدر نفسه ٤٥٨ .
(٦٩) ينظر : المصدر نفسه ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢ .

ب. **المصطلحات العسكرية :** لا تختلف المصطلحات العسكرية عن الإدارية ورودا في المدونة اللهجية ، لأنَّ لغة هذه المصطلحات عرضة للتغيير والتطور ، فضلا عن الاختلاف اللهجي الكبير الذي يطرأ عليها ، فتتميَّز كل ولاية لها مؤسسة عسكرية خاصة بها بألفاظ عسكرية تختلف عن ألفاظ الولاية الأخرى ، ومن هنا تنشأ الظواهر اللهجية .

اعتنى الشيخ الشبيبي بإيراد المصطلح العسكري ، لأنه يمثِّل جزءا مهمّا من عناصر البحث اللهجي ، فضلا عن أنه يرسم لنا صورة لحياة مستعمل اللغة ، ومن هذه المصطلحات :

- الأوردو ، أي : المعسكر أو المخيم أو الجيش[٧٠] .
- بكش ، أي : اقتل[٧١] .
- تعلّق على فلان ، أي : احتمى به[٧٢] .
- دوشاخة ودوشخ ، وهي : آلة تستعمل في التعذيب[٧٣] .
- سرخيل ، أي : قائد جماعة من الفرسان[٧٤] .
- سرهنكية ، وهي : رتبة عسكرية[٧٥] .

---

[٧٠] ينظر : المصدر نفسه ٤١٤ .
[٧١] ينظر : المصدر نفسه ٤١٩ .
[٧٢] ينظر : المصدر نفسه ٤٢٦ .
[٧٣] ينظر : المصدر نفسه ٤٤٢ .
[٧٤] ينظر : المصدر نفسه ٤٥٤ .
[٧٥] ينظر : المصدر نفسه ٤٥٤ .

- الشدة ، بمعنى : الحزمة ، وهي : الحملة في الحرب[٧٦] .
- الكَلَّجية ، وهي : فرقة خاصة من الحرس أو الشرطة[٧٧] .
- البارغو ، أي : المحاكمة أو إجراء التحقيق[٧٨] .
- جرخ ، وهي : نوع من الآت الحرب ترمى بواسطتها السهام والنبال والحجارة[٧٩] .
- وزدار ، بمعنى : صاحب الحصن والقلعة[٨٠] .

ت. **ألفاظ المجتمع** : تتَّصل اللغة بالمجتمع اتصالا مباشرا ، فتتأثر بعوامل تأثره كافَّة ، إذ نلحظ أنها تتطور بتطوره وتتخلف بتخلفه ، فتكون اللغة المتحضرة دليلا على الشعب المتحضِّر ، واللغة البدائية دليل على الشعب البدائي ، ومن الصور الواضحة والجلية لهذا الارتباط أننا لا نجد لغة بلا مجتمع ولا مجتمع بلا لغة .

أولى منهج البحث اللهجي الحقل الدلالي المرتبط بالمجتمع أهمية كبيرة ، دراسة وتحقيقا وتأصيلا ، حتَّى عدَّ من العيوب المنهجية الواضحة إهمال هذا الجانب اللغوي الثرّ ، وقد أحس الشيخ الشبيبي بهذه الأهمية فأعطاها مساحة كبيرة في بحثه ، حتى وجدت هذه الألفاظ أكثر الألفاظ

---

(٧٦) ينظر : المصدر نفسه ٤٥٥ .
(٧٧) ينظر : المصدر نفسه ٤٧٥ .
(٧٨) ينظر : المصدر نفسه ٤٩١ .
(٧٩) ينظر : المصدر نفسه ٤٣٠ .
(٨٠) ينظر : المصدر نفسه ٤٤١ .

وورودا ، ولكي نعطي مساحة جيدة من البحث فيها قررت أن أوردها ضمن المحاور الآتية :

أوَّلا : محور الإنسان : يعدُّ هذا المحور من أبرز محاور ألفاظ المجتمع في اللغة ، وقد اعتنى به اللغويون قديما ووضعوا فيه المؤلفات التي وسموها بـ (كتب خلق الإنسان) أو ما شابهه[٨١] ، وتشمل هذه الألفاظ : أسماء أعضاء جسم الإنسان وصفاته وأحواله ، وقد اورد الشيخ الشبيبي ألفاظا دالة على صفات الإنسان وأحواله ، وهي :

- التزوير ، أي : تزيين الكلام بالكذب[٨٢] .
- خست ، أي : مريض[٨٣] .
- درْوَزَ ، أي : ألف السير في الشارع[٨٤] .
- الرَّجُل ، أي : الزوج[٨٥] .
- الساذجية ، أي : البساطة في الطبع[٨٦] .
- الشنقصة ، أي : الدس والمكر والتصدي للضرر[٨٧] .

---

[٨١] ينظر تفصيل القول فيه : المعجم العربي ١ / ١٣٠ . ١٣٤ .

[٨٢] ينظر : أصول اللهجة العراقية ٤٢٣ .

[٨٣] ينظر : المصدر نفسه ٤٣٨ .

[٨٤] ينظر : المصدر نفسه ٤٤١ .

[٨٥] ينظر : المصدر نفسه ٤٤٥ .

[٨٦] ينظر : المصدر نفسه ٤٤٩ .

[٨٧] ينظر : المصدر نفسه ٤٥٦ .

- طيّب ، أي : معافى[٨٨] .
- عدم ، أي : فقدان[٨٩] .
- قاعد ، أي : جالس[٩٠] .
- الناموس ، أي : الشرف والالتزام بالأصول والمحافظة على العادات الحميدة[٩١] .

ثانيا : محور الجماعات البشرية : شاعت دراسة الألفاظ والمصطلحات الدالة على الجماعات البشرية ، فاعتنى البحث اللهجي فيها كثيرا ، ونلمس هذه الأهمية في الألفاظ التي أوردها الشيخ الشبيبي ، وهي :

- التتر ، أي : جماعة بشرية معروفة[٩٢] .
- العالم ، أي : جماعة الناس[٩٣] .
- القلندرية ، أي : جماعة الصوفية[٩٤] .
- نفر ، أي : جماعة من الناس[٩٥] .

---

(٨٨) ينظر : المصدر نفسه ٤٦١ .
(٨٩) ينظر : المصدر نفسه ٤٦٤ .
(٩٠) ينظر : المصدر نفسه ٤٦٦ .
(٩١) ينظر : المصدر نفسه ٤٨٣ .
(٩٢) ينظر : المصدر نفسه ٤٢١ .
(٩٣) ينظر : المصدر نفسه ٤٦٣ .
(٩٤) ينظر : المصدر نفسه ٤٦٧ .
(٩٥) ينظر : المصدر نفسه ٤٨٥ .

ثالثا : محور العادات والطبائع : تتصل العادات والطبائع البشرية باللغة اتصالا مباشرا وتتأثر بالتأثر اللهجي ، فهي تمثِّل صورة لمصدرها ، وهذه الصورة كفيلة بتشكيل اللفظة اللهجية .

ذكر الشيخ الشبيبي ألفاظا في هذا المحور ، منها :

- الدعوة ، أي : الدعاء إلى الطعام[٩٦] .
- الظواهر ، أي : العجائب[٩٧] .

رابعا : محور **المنزل وما يتصل به** : حظي هذا المحور بثراء لغوي كبير ، إذ ملئت المعاجم التراثية بالألفاظ الدالة عليه ، وهي ألفاظ تعبر عن استعمال الفصحى ، وأخرى تمثِّل الاختلاف اللهجي .

ذكر الشيخ الشبيبي مجموعة من الألفاظ ، وهي :

- الأسباب ، أي : الأمتعة والأثاث[٩٨] .
- التطبيق ، أي : فرش أرض المنزل بالطابوق[٩٩] .
- التبنيد ، أي : تقوية الجدران[١٠٠] .
- الشربة ، أي : الجرَّة[١٠١] .
- الطبق ، أي : دار الضيافة[١٠٢] .

---

[٩٦] ينظر : المصدر نفسه ٤٤٢ .
[٩٧] ينظر : المصدر نفسه ٤٦١ .
[٩٨] ينظر : المصدر نفسه ٤١١ .
[٩٩] ينظر : المصدر نفسه ٤٢٥ .
[١٠٠] ينظر : المصدر نفسه ٤٢٥ .
[١٠١] ينظر : المصدر نفسه ٤٥٥ .
[١٠٢] ينظر : المصدر نفسه ٤٦٠ .

– المراكن ، أي : علبة من خشب يحفظ فيها اللبن[١٠٣] .

– الكشك أو الكوشك ، وهو : منزل صغير[١٠٤] .

– الكنبثة ، وهي : قُبَيْبَة صغيرة أو مظلة تبنى على السطح[١٠٥] .

خامسا : محور الثياب والحلي والمفروشات : لا يقلُّ هذا المحور أهمية عن المحاور السابقة ، إذ يمثل جانبا لهجيًا خاصًا ، ولهذا نجد دراسته ركنا مهمًا من أركان منهج البحث في اللهجات .

أورد الشيخ الشبيبي مجموعة من الألفاظ في هذا المحور ، وهي :

– بقيار ، وهو : ثوب أو نسيج من الوبر أو من مادة أفخر منه[١٠٦] .

– الجتر ، وهو : مظلة أو ستار من حرير مزركش[١٠٧] .

– خار ، وهو نسيج من الحرير فيه تموّج[١٠٨] .

– الخشل ، أي : رؤوس الخلاخيل والأسورة[١٠٩] .

– سربوش أو شربوش ، وهو : غطاء الرأس[١١٠] .

خامسا : محور المهن وأدواتها : تمثِّل ألفاظ هذا المحور جزءا من الألفاظ المعبرة عن صورة المجتمع ، فهي تعكس طبيعة الحياة اليومية

---

[١٠٣] ينظر : المصدر نفسه ٤٨٢ .

[١٠٤] ينظر : المصدر نفسه ٤٧٤ .

[١٠٥] ينظر : المصدر نفسه ٤٧٧ .

[١٠٦] ينظر : المصدر نفسه ٤١٨ .

[١٠٧] ينظر : المصدر نفسه ٤٢٨ .

[١٠٨] ينظر : المصدر نفسه ٤٣٧ .

[١٠٩] ينظر : المصدر نفسه ٤٣٨ .

[١١٠] ينظر : المصدر نفسه ٤٥١ .

للمتكلمين ، ولهذه المكانة الكبيرة نجد منهج البحث اللهجي يركز كثيرا على دراستها .

ذكر الشيخ الشبيبي مجموعة من الألفاظ الدالة على هذا المحور ، وهي :

- التمغة ، أي : الختم[١١١] .
- الخط ، أي : الرسالة والكتاب[١١٢] .
- سبيلدارية وسبيلداريات ، وهي : مهنة أداء الحج بالنيابة[١١٣] .
- صانع ، أي : خادم[١١٤] .
- القنارة ، وهي : خشبة ذات كلاليب معقفة[١١٥] .
- الكارة ، وهو : وزن معروف للتمور[١١٦] .
- الكلك ، وهي : قرب تنفخ وتوضع عليها المرادي من أخشاب الحور ، فتكون كالقارب[١١٧] .
- النوبة ، وهي : مجموعة من الآلات الموسيقية[١١٨] .

---

(١١١) ينظر : المصدر نفسه ٤٢٦ .
(١١٢) ينظر : المصدر نفسه ٤٣٩ .
(١١٣) ينظر : المصدر نفسه ٤٥١ .
(١١٤) ينظر : المصدر نفسه ٤٥٨ .
(١١٥) ينظر : المصدر نفسه ٤٧٠ .
(١١٦) ينظر : المصدر نفسه ٤٧٢ .
(١١٧) ينظر : المصدر نفسه ٤٧٦ .
(١١٨) ينظر : المصدر نفسه ٤٨٨ .

سادسا : محاور أخرى : ذكر الشيخ الشبيبي مجموعة من الألفاظ المفردة التي لا تكفي لعدّها محورا ، وهي :

- الفردة ، أي : المفرد ضد الاثنين[١١٩] .
- الكنبوش ، وهو : غطاء مؤخر الفرس[١٢٠] .
- المزاوير ، وهو : حساء يطعمه المريض[١٢١] .
- الوفر ، وهو : البرد الذي يسقط من السماء (الثلج)[١٢٢] .

نخرج من هذا العدد الكبير من الألفاظ المرتبطة بالمجتمع أنها أحد الأسس المهمة والبارزة في بناء البحث اللهجي ، واللافت للنظر أن العناية بمثل هذه المحاور من مقرورات اللسانيات التطبيقية ، إذ دعا الكثير من المتخصصين بهذا الميدان الى البحث فيها او في احد محاورها ودراسة مظاهر التطور فيها فضلا عن وضع المعاجم التي تجمع الفاظها ، وظهرت هذه المقررات منذ زمن ليس ببعيد ، وأغلب الظن أن الشيخ الشبيبي لم يطلع عليها حين كتب هذه الدراسة ، وإنما ألهمه حسّه اللغوي وتذوقه السير في هذا المنهج .

ث. **المصطلحات الجغرافية** : تحظى المصطلحات والألفاظ الجغرافية بمكانة بارزة في الدرس اللهجي قديما وحديثا ، وتشمل هذه الألفاظ أسماء المواقع والمدن والأماكن وغيرها .

---

(١١٩) ينظر : المصدر نفسه ٤٦٤ .
(١٢٠) ينظر : المصدر نفسه ٤٧٨ .
(١٢١) ينظر : المصدر نفسه ٤٨٢ .
(١٢٢) ينظر : المصدر نفسه ٤٩٠ .

ذكر الشيخ الشبيبي مجموعة من هذه الألفاظ وهي :

- بز النهر ، وهو : مصبه أو مؤخره[١٢٣] .
- بند ، أي : السد الضيق[١٢٤] .
- دربند ، أي : المضيق والعقبة[١٢٥] .
- الدروازة ، أي : الشارع[١٢٦] .
- الهور ، وهو : البحيرة أو مستنقع الماء[١٢٧] .

ج. **المصطلحات الصناعية** : اعتنت الدراسات اللهجية بالألفاظ الدالة على الصناعات المختلفة ، لأنها تحمل طابعا لهجيًا مميزا ، فهي تمثل صورة واضحة للمجتمع ، فضلا عن تأثره بالمجتمعات الأخرى .

ذكر الشيخ الشبيبي مجموعة من الألفاظ الصناعية ، وهي :

- الربعة ، وهو : صندوق تحفظ فيه أجزاء المصحف[١٢٨] .
- رفيع ، أي : دقيق[١٢٩] .
- زركش ، أي : صناعة التذهيب[١٣٠] .

---

[١٢٣] ينظر : المصدر نفسه ٤١٧ .

[١٢٤] ينظر : المصدر نفسه ٤٢٠ .

[١٢٥] ينظر : المصدر نفسه ٤٣٩ .

[١٢٦] ينظر : المصدر نفسه ٤٤١ .

[١٢٧] ينظر : المصدر نفسه ٤٨٩ .

[١٢٨] ينظر : المصدر نفسه ٤٤٣ .

[١٢٩] ينظر : المصدر نفسه ٤٤٦ .

[١٣٠] ينظر : المصدر نفسه ٤٤٩ .

- الكارخانة ، أي : المعمل أو المصنع[١٣١] .
- كمّل ، أي : أتم[١٣٢] .
- مس ، أي : النحاس[١٣٣] .
- النقرة ، أي : الفضة[١٣٤] .

ح. **المصطلحات المالية** : زخرت التعاملات المالية بالألفاظ الّتي تدل عليها ، ولم تبتعد هذه **الألفاظ** عن الاختلاف اللهجي كثيرا ، لذلك حرص دارسو اللهجات على العناية بها ودراستها وتأصيلها .

ذكر الشيخ الشبيبي مجموعة من الألفاظ ، وهي :
- انكسار الدرهم ، أي : هبوط سعر النقد[١٣٥] .
- البقايا ، وهي : المبالغ المالية الباقية في ذمة المكلفين[١٣٦] .
- التاني ، وهو : صاحب المال أو العقار[١٣٧] .
- الچاو ، أي : الأوراق النقدية[١٣٨] .

---

[١٣١] ينظر : المصدر نفسه ٤٧١ .
[١٣٢] ينظر : المصدر نفسه ٤٧٧ .
[١٣٣] ينظر : المصدر نفسه ٤٨٣ .
[١٣٤] ينظر : المصدر نفسه ٤٨٦ .
[١٣٥] ينظر : المصدر نفسه ٤١٢ .
[١٣٦] ينظر : المصدر نفسه ٤١٨ .
[١٣٧] ينظر : المصدر نفسه ٤٢٥ .
[١٣٨] ينظر : المصدر نفسه ٤٢٧ .

خ. **الألفاظ الزراعية** : تعدُّ الألفاظ الزراعية مصدرا مهمّا من مصادر اللهجات ، إذ تختلف البيئات الجغرافية في استعمال ألفاظ هذا الحقل ، وقد أسهمت هذه الألفاظ في رفد البحث اللهجي بمادة غزيرة ملئت بها كتب اللغة المختلفة .

ذكر الشيخ الشبيبي لفظة زراعية واحدة ، وهي :

- التسقيم ، أي : إعداد العدة لفلاحة الأرض[١٣٩] .

بعد هذا العرض التفصيلي للألفاظ اللهجية نجد أن الشيخ الشبيبي أجاد إلى حد كبير في تنوعها ، إذ إن من أصول البحث اللهجي أن لا يركز الباحث على جانب لهجي دون آخر ، أو أن لا يَغْلِب محورٌ محورا ، ويمكن أن نخرج من هذا العرض بأمرين مهمَّين هما :

أ . الاتساع في استعمال ألفاظ المجتمع بمحاورها المختلفة ، وهذا ليس غريبا ، فالشيخ الشبيبي استقى أغلب مادته من كتب التاريخ التي تصور للقارئ حياة المجتمع وما يمرُّ به من أحداث سياسية واقتصادية وعسكرية وغيرها ، ولا غرابة أيضا حين نجد شيوع استعمال الألفاظ السياسية والإدارية والعسكرية .

ب . شملت الألفاظ المذكورة أغلب جوانب حياة الإنسان ، وهذا شيء رائع ، لأن اللغة تتأثر بهذه الجوانب تأثيرا كبيرا ، حتى إن الدارس ليجد هذا الأثر واضحا على بنية الكلمة أو دلالتها .

---

[١٣٩] ينظر : المصدر نفسه ٤٢٣ .

٣.بنية الوحدة اللغوية :

اعتنى منهج البحث اللهجي ببنية الألفاظ المدروسة وتركيبها ، فحاول الدارسون تقسيم هذه الألفاظ بحسب البنيات المختلفة ودراسة كل بنية على حدة ، فكلما كانت الألفاظ مختلفة بنيةً كانت الدراسة أوفر .

بعد النظر والقراءة في دراسة الشيخ الشبيبي وجدت أنَّ الألفاظ العربية تقسم على النحو الآتي[١٤٠] :

أ. الاسم : وردت مجموعة من الألفاظ على بنية الاسم ، وأقصد بالاسم اللفظ الخاص ، وليس المقابل للفعل ، وهذه الألفاظ هي : (الخَشْل ، والخَطُّ ، والرَّبْعة ، والرَّجُل ، والشَّدَّة ، والشَّرْبَة ، والضَّمَان ، والطَّبَق ، والعَالَم ، وعَدَم ، والفَرْدَة ، والمَسُّ ، ونَفَر ، والوَفر) .

ب. المصدر : وردت في مدونة البحث مجموعة من المصادر ، وهي : (الإدارة ، والإنهاء ، والتزوير ، والتسقيم ، والتطبيق ، والتبنيد ، والدعوة) ، فضلا عن ورود المصدر الصناعي مرة واحدة ، وهو (الساذجية) .

ت. المشتقات : وردت مجموعة من المشتقات في مدونة البحث ، وهي :

- اسم الفاعل ، كقولهم : (صانع ، وقاعد) .
- اسم المفعول ، كقولهم : (مخلَّط) .
- الصفة المشبهة ، كقولهم : (رفيع ، وطيّب) .

---

[١٤٠] أودُّ الإشارة هنا إلى أنّني استبعدت الألفاظ غير العربية لأنّها مجهولة البنية ، إلاّ ما ورد منها على التركيب .

ث. الجمع : وردت مجموعة من الألفاظ الدالة على الجموع ، وهي :
(الأسباب ، والبقايا ، والظواهر ، والمراكن ، والمزاوير) .

ج. المُركَّب : وردت مجموعة من الألفاظ في المركب الإضافي وهي :
(انكسار الدراهم ، وبز النهر ، وخاتم الأمان) .

ح. الفعل : وردت مجموعة من الألفاظ الدالة على الأفعال ، وهي :
(بَطَّلَ ، وتعلّق ، وعيّن ، وكمّل) .

هذه هي الألفاظ العربية التي وردت في مدونة البحث ، ونلحظ فيها الآتي :

١. كادت الألفاظ تشمل الأبنية الصرفية الشّائعة ، إذ المطلع على البحث اللهجي يجد أن أغلب تصرف العرب في كلامهم في هذه الأبنية أو زيادة عليها .
٢. شاع التصرف في بناء الاسم بمفهومه الخاص ، أو ببناء الاسم بمفهومه العام .
٣. غطت هذه الأبنية عدة جوانب من البحث اللهجي ، فجاءت موافقة للمنهج البحث .

المبحث الثالث

مصادر البحث اللهجي

يقوم كل علم من العلوم على مجموعة من المصادر التي يستقي منها قواعده وأحكامه ، كعلم النحو والصرف والفقه والتفسير وغيرها ، فيجعلها العلماء المتخصصون مفاتيح لهم أو مسالك يسلكون من خلالها نصوصهم ، ونجد هذا الأمر نفسه في البحث اللهجي ، إذ يقوم على مجموعة من المصادر التي لا يمكن للدارس أن ينفك عنها ، حتى إذا خلا بحث منها أو من بعضها آل إلى الضعف أو الفشل .

حاول الدارسون اللهجيون الإفادة من هذه المصادر كثيرا في دراسة النص اللهجي والكشف عن غوامضه وأسراره ، فكما هو معلوم لدى الدارسين المتخصصين في هذا المجال أن النص اللهجي من أكثر النصوص حاجة إلى فتح أقفاله وحل غوامضه وكشف أسراره ، ابتداءً من تحديد طبيعة الاستعمال اللهجي ، إلى الكشف عن القائلين باللهجة والمشاركين بها ، ومعرفة أوجه التعدد اللهجي في الظاهرة اللغوية الواحدة ، ومدى استعمال اللهجة في النصوص الأدبية وغيرها من عناصر النص المختبئ خلف لغته .

سار الشيخ الشبيبي على الخط العلمي في استعمال مصادر البحث اللهجي ، فلم يفقد القارئ هذه المصادر في لفظة مدروسة ، إلاَّ إذا كان استعمالها قليلا ، ولم يرد فيه شيء ، والمصادر التي استعملها هي :

١. الشواهد :

شاع استعمال الشواهد في كتب اللغة المختلفة ، حتى أصبح معروفا لدى الدارسين كافة ، فضلا عن معرفة أهميته في توثيق القواعد وتأييدها ، والشواهد عدة أنواع هي :

أ. النص القرآني : استشهد الشيخ الشبيبي بالقرآن الكريم في مواضع من دراسته ، من ذلك :

- قال في استعمال كلمة (طيّب) : ((فإن (الطيّب) عندهم ، أي : العرب ، ضد الخبيث ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [١٤١] [سورة النور ، من الآية : ٢٦] ،﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٤٢] [سورة الأعراف ، من الآية : ١٥٧]))[١٤٣] .

---

[١٤١] لم يذكر الشيخ هذه الآية بهذا النَّص ، وإنّما ذكرها بـ (الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات) .

[١٤٢] لم يذكر الشيخ هذه الآية بهذا النَّص ، وإنّما ذكرها بـ (أحل لكم الطيبات ، وحرم عليكم الخبائث) .

[١٤٣] أصول اللهجة العراقية ٤٦١ .

- وقال أيضا في استعمال كلمة (قاعد) : ((ويستفاد من كلام بعض الأدباء واللغويين أن الفرق بين (الجلوس والقعود) هو أنَّ (القعود) يعني أحيانا ضربا من المكث واللبث بخلاف الجلوس ، ومن ذلك في التنزيل : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [144] [سورة النور ، من الآية : ٦٠] ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر ، من الآية : ٥٥] ، ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبداً مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [سورة المائدة ، من الآية : ٢٤]))[145] .

ب. الحديث النبوي الشريف : استشهد الشيخ الشبيبي بالحديث النبوي الشريف في عدة مواضع هي :

- قال في استعمال كلمة (الاسباب) : ((وإنَّما (رَحْلُ الرَّجلِ) : منزله ، بدليل قوله (عليه الصلاة والسلام) : (إذا ابتلَّت النعال فالصلاة في الرحال) ، أي : صلُّوا في منازلكم عند ابتلال أحذيتكم من المطر))[146] .

---

[144] لم يذكر الشيخ هذه الآية بهذا النَّص ، وإنَّما ذكرها بـ (القواعد من النساء) .

[145] أصول اللهجة العراقية ٤٦٦ .

[146] المصدر نفسه ٤١١ .

- وقال أيضا في استعمال كلمة (الشربة) : ((و(الشّربة) أيضا ، وتجمع على (شَرَبَات) : الحُوَيض يُحْفَر حول النَّخلة أو الشجرة يسع ريَّها ، وفي الحديث : (اذهب إلى شربة من الشربات فادلك رأسك) ، وفي حديث جابر : (أتانا رسول الله ﷺ فعدل إلى الربيع ، فتطهَّر ، وأقبل إلى الشربة) ، فـ (الربيع) : النهر ، و(الشربة) : المسقاة))(١٤٧) .

- وقال أيضا في استعمال كلمة (الفَرْدة) : ((وقال اللغويون : (فَرْدَة) : اسم جبل ، وفي الحديث : (فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة)))(١٤٨) .

ت . الشعر : حظي الشعر بمكانة كبيرة في الدرس اللهجي ، وشاع استعماله حتَّى غلب على مصادر السماع الأخرى ، فلا ترى بحثا في اللهجات إلاّ والشعر شائع فيه ، لأنَّ الشعر يمثل صورة نطق القبيلة التي ينتمي إليها الشاعر ، أو البيئة التي يسكنها ، فلا نجد سجلا حفظ لنا الظواهر اللهجية مثله .

عرف منهج البحث اللهجي أهمية الشعر في استكشاف مكنونات النص وحل غواضه ، فقدمه على كل شاهد ، وأعطي الحظ الأوفر من الدراسات ، ومن فوائد الرجوع إلى الشعر في البحث اللهجي أن الباحث يقف

---

(١٤٧) المصدر نفسه ٤٥٥ .

(١٤٨) المصدر نفسه ٤٦٥ .

على ظواهر لهجية عند شعراء لم تنسب اللغة إليهم ، وفي هذا الميدان بحث واسع[149] .

أولى الشيخ الشبيبي اهتماما لافتا للنظر بالشعر ، فذكر مجموعة من الشواهد يمكن تصنيفها بحسب عصور أصحابها ، وهي :

أ. قبل الإسلام : استعمل الشيخ الشبيبي شعر ما قبل الإسلام (٣) ثلاث مرات ، والشعراء هم :

- امرؤ القيس : قال الشبيبي في كلمة (دربند) : ((وجاءت أكثر حروف هذه المادة الفارسية في كلمة (درب) العربية ، قالوا : هو باب السكة الواسعة ، والباب الأكبر ، وكل مدخل إلى مضايق بلاد الروم ، قال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُوْنَهُ   وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصرَا))[150] .

- عبد المطلب بن هاشم : استشهد له في موضعين ، هما :

- قال في كلمة (الأسباب) : ((ومن شعر عبد المطلب :

لَاهُمَّ إنَّ المَرْءَ يَمْـ   ـنَعُ رَحْلَه فَامْنَعْ رِحَالَكْ))[151] .

- وقال في كلمة (الشنقصة) : ((ولا تخلو الفصحى من كلمات تسدُّ مسدَّ لفظة (الشَّنْقصة) العامي المذكور ، ومن ذلك (المِحَال) ،

---

[149] ينظر : اللهجات العربية والتراث اللغوي ٢٣٥ . ٢٦٦ .

[150] أصول اللهجة العراقية ٤٤١ .

[151] المصدر نفسه ٤١٢ .

كـ : كِتَاب ، قالوا : هو الكيد والقوَّة والمكر ، وبه فسر قول عبد المطلب بن هاشم :

لاَ يَغْلِبَنَّ صَلِيْبُهُمْ   وَمِحَالُهُمْ أبَدا مِحَالَكْ))[152] .

ب. المخضرمون : استشهد الشيخ الشبيبي بشعر المخضرمين في (٣) ثلاثة مواضع أيضا ، والشعراء هم :

- متمم بن نويرة : قال في كلمة (الأسباب) : ((إنَّ (الرَّحْل) : المنزل ، ومتاع الرجل ، وما يستصحبه من الأثاث ، كما في الصحاح ، وعليه قول متمم بن نويرة :

كَرِيْمُ الثَّنَا حُلْوُ الشَّمَائِلِ مَاجِدٌ   صَبُورٌ عَلَى الضَّرَّاءِ مُشْتَرَكُ الرَّحْلِ))[153] .

- الحطيئة : استشهد الشيخ الشبيبي له في موضعين ، هما :

- قال في كلمة (الزَّجُل) : ((الفرق بين (البَعْل والزَّوج) أنَّ الرَّجُل لا يكون بعلا للمرأة حتَّى يدخل بها ، .... ، قال الشَّاعر [وهو الحطيئة] :

وَكَمْ مِنْ حَصَانٍ ذَاتِ بَعْلٍ تَرَكْتَهَا   إذَا اللَّيْلُ أدْجَى لَم تَجِدْ مَن تُبَاعِلُهْ))[154] .

- وقال في كلمة (قاعد) : ((ويستفاد من كلام بعض الادباء واللغويين أنَّ الفرق بين (الجلوس والقعود) هو أنَّ (القعود) يعني أحيانا

---

[152] المصدر نفسه ٤٥٧ . ٤٥٨ .

[153] المصدر نفسه ٤١٢ .

[154] المصدر نفسه ٤٤٦ .

ضربا من المكث واللبث ، بخلاف (الجلوس) ، ... ، وقول الشاعر [وهو الحطيئة] :

إِلَى بَيْتٍ قَعِيْدَتُهُ لَكَاعِ))[١٥٥] .

ت. الإسلامي : استشهد الشيخ الشبيبي ببيت واحد لشاعر إسلامي ، وهو العجاج :

- قال في كلمة (العَالَم) : ((قال بعض العلماء : أهل كل زمان : (عَالَمٌ) ، وانشد :

وَخِنْدِفٌ هَامَةُ هَذَا العَالَمِ))[١٥٦] .

أقول : نخرج من الشَّواهد السابقة أنها ضمن عصور الاحتجاج ، وقد يلحظ القارئ قلَّتها ، وهذا خلاف ما نصَّ عليه منهج البحث اللهجي ، إذ دعا إلى الإكثار من الاستشهاد بشعر الاحتجاج اللغوي ، ويبدو لي أن الأبيات السبعة التي ذكرها الشيخ ، وإن كانت قليلة ، لا تعدُّ هذا عيبا منهجيًا ، لأن ميدان بحثه في لهجة متأخرة الاستعمال ، ومتأثرة بألفاظ دخيلة كثيرة ، ولو أنه درس **ظواهر** لهجية من عصور الاحتجاج لوجدنا الشواهد أكثر ، ومما يؤيِّد ما ذهبت إليه أننا نجد الشواهد الشعرية للعصور اللاحقة أكثر. كما سأذكره بعد قليل .

---

(١٥٥) المصدر نفسه ٤٦٦ .

(١٥٦) المصدر نفسه ٤٦٣ ، ورواية البيت هي : (فَخِنْدِفٌ) ، بالفاء .

ث. العباسي : استشهد الشيخ الشبيبي بمجموعة من الأبيات لشعراء عباسيين والشعراء هم :

- كشاجم : استشهد له في موضعين هما :

- قال في كلمة (البند) : ((و(بند) بمعنى : الرباط ،... ، وخشبة يربط بها البازي على اليد ، ويقال له : (الدستبان) ، قال كشاجم :

بِمَخْلِبٍ يَهْتِكُ دَسْتَبَانِي يَفِلُّ حَدَّ السَّيْفِ وَالسِّنَانِ))[١٥٧] .

- وقال في كلمة (المزاوير) : ((وقال الفقهاء : هي ما يطبخ خاليا من الأدهان ، وقال كشاجم :

شَيْخٌ لَنا مِن مَشَايِخِ الكُوفَه نِسْبَتُهُ لِلْمَرِيْـضِ مَوصُوفَـهْ
لَو حَـوَّلَ اللهُ قَمْلَهُ غَنَمـا مَا طَمَعَ النَّاسُ مِنْهُ فِي صُوفَهْ))[١٥٨] .

- ابن الرومي : استشهد له في موضع واحد هو :

- قال في كلمة (البند) : ((وأُطلقت كلمة (الدستبند) على نوع من أنواع رقص الفُرْس ، ... ، وبهذا المعنى وردت في شعر ابن الرومي :

يَلْعَبُ الدَّستبندَ فَرْدا وَإِنْ كَا نَ بِهِ شَاغِلٌ عَنِ الدَّستبندِ))[١٥٩] .

---

[١٥٧] المصدر نفسه ٤٢٠ . ٤٢١ .
[١٥٨] المصدر نفسه ٤٨٢ .
[١٥٩] المصدر نفسه ٤٢١ .

– ابن المعتز : استشهد له في موضع واحد هو :

● قال في كلمة (البند) : ((وأُطلقت كلمة (الدستبند) على نوع من أنواع رقص الفُرْس ، ... ، وقال ابن المعتز :

وَدِنَانٍ كَمِثْلِ صَفٍّ رِجَالٍ   قَد أُقِيمُوا لِيَرْقُصُوا وَسَتَبَنْدا))[١٦٠] .

– خلف بن خليفة : استشهد له في موضع واحد هو :

● قال في كلمة (الربعة) : ((سميت (رَبْعة) لكونها في الأصل ذات أربع طاقات ، أو لكونها ذات أربع أرجل ، قال خلف بن خليفة :

وَقَدْ كَانَ أَفْضَلَ مَا فِي يَدَيْكَ   مَحَاجِمُ نُضّدْنَ فِي رَبعَةْ))[١٦١] .

. ابن حجاج : استشهد له في موضع واحد هو :

● قال في كلمة (القنّارة) : ((قال أبو منصور : ليست من كلام العرب ، قال ابن حجاج :

كَأَنَّ سَاقَيْهَا عَلَى عَاتِقِي   كُرَاعُ شَاةٍ فَوقَ قَنَّارَه))[١٦٢] .

– مزيد الخشكري النعماني : استشهد له الشيخ ببيت واحد وهو :

● قال في كلمة (الهور) : ((ولا تعرف هذه الكلمة في بقية اللهجات العربية الشائعة اليوم ، ... ، وقد وردت هذه الكلمة في بيت لشاعر العراقي مزيد المعروف بالخشكري النعماني ، ... ، وهو القائل :

---

(١٦٠) المصدر نفسه ٤٢١ .

(١٦١) المصدر نفسه ٤٤٤ .

(١٦٢) المصدر نفسه ٤٧٠ . ٤٧١ .

وَكَأَنَّمَا الهورُ الطُّفُوفَ وَأَهْلَهُ الشُّـ   ـهَدَاءَ وَابْن معية ابن زِيَادِ))[١٦٣].

– السهروردي : استشهد له الشيخ في موضع واحد وهو :

• قال في كلمة (الوفر) : ((ومن أقدم الشواهد على ورودها في لهجتهم بمعنى : الثلج ، ما جاء في ترجمة محيي الدين السهروردي ، ... ، أنشدني ، أي : السهروردي ، ... ، وكان الوفر ينزل :

وَلَمَّا شَابَ رَأْسُ الدَّهْرِ غَيْظا   لِمَا قَاسَاه مِن فَقْدِ الكِـرَامِ
أَقَامَ يُمِيطُ هَذَا الشَّيْبَ عَنْـهُ   وَيَنْثُرُ مَا أَمَاطَ عَلَى الأَنَامِ))[١٦٤] .

ج. العصور المتأخرة : استشهد الشيخ الشبيبي بمجموعة من الأبيات لشعراء من العصور المتأخرة ، أي : بعد سقوط بغداد ، والشعراء هم :

– الملك الامجد : استشهد له الشيخ في موضع واحد هو :

• قال في كلمة (سربوش) : ((كما أن العمائم كانت أزياء خاصَّة برجال الدين والقضاة ، ... ، قال الملك الأمجد من بني أيوب :

له نظرات كـرر الحقد شزرهـا   لما ضمنته نفسه من سخائـم
فما الفضل من أهل الشرابيش سبة   ولا العلم مخصوص بأهل العمائم))[١٦٥] .

– السراج الوراق : استشهد له الشيخ في موضعين هما :

---

[١٦٣] المصدر نفسه ٤٩٠ .
[١٦٤] المصدر نفسه ٤٩٠ . ٤٩١ .
[١٦٥] المصدر نفسه ٤٥١ .

• قال في كلمة (القلندرية) : ((وما أحسن قول السراج الوراق :

عشقت من ريقته قرقـف   وما له إذ ذاك من شارب
قلنـــدريا حلقوا حاجبـــا   منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد في عدله   فاختار أن يبقى بلا حاجب))[١٦٦] .

• وقال في كلمة (المحفدارية) : ((وفي لهجة المولدين المصريين يقولون : (مِحَارة) بكسر الميم وبالحاء والراء المهملتين الهودج صغير ، ... ، قال الوراق :

بَاتَ عَيْشِي عَلَى المِحَا   رَةِ عَيْشا مُنَغَّصَا))[١٦٧] .

– محمد بن الوزير : استشهد له في موضع واحد وهو :

• قال في كلمة (البند): ((وأُطلقت كلمة (الدستبند) على نوع من أنواع رقص الفُرْس ، ... ، وقال الحافظ محمد بن الوزير :

كَأَنَّمَا يلعبن دستبندا   أحدثت بالأمس بهن عهدا))[١٦٨] .

. ابن الفوطي : استشهد له الشيخ في موضعين هما :

• قال في كلمة (الكراثة) : ((وكان الموفق عبد القاهر بن الفوطي من جملة تلامذته ، فعمل فيه أبياتا طويلة ، ... ، وأول الأبيات :

ناديت شيخي من شدة الحرب   وشيخنا في الحرير والقصب

---

[١٦٦] المصدر نفسه ٤٦٩ .
[١٦٧] المصدر نفسه ٤٨٠ .
[١٦٨] المصدر نفسه ٤٢١ .

منها :

أعطيت كراثة فتهت بهـا   عن طلب كان أشرف الطلب
لو أنها نجمة خشيت على   دينك شركا يكون عن كثب))[١٦٩] .

• وقال في كلمة (الناموس) : ((وقال الموفق عبد القاهر بن الفوطي من قصيدة داعب بها شيخا صوفيًا ... :

لو كانت الأرض كلها ذهبا   أعرض عنها إعراض مكتئب
أسفر ذاك الناموس مختتلا   عن راغب في التراث مستلب))[١٧٠] .

ح. مجهولـون : استشـهد الشـيخ الشـبيبي بشـعر لمجهـولين فـي موضعين هما :

• قال في كلمة (جرخ) : ((وفي اللغة العربية يقال للدولاب والجرخ : (المنجنون) :

وَمَا الدهر الا منجنون   وما صاحب الحاجات إلاّ معذبا))[١٧١] .

• وقال في كلمة (رفيع) : ((ويلاحظ (كذا) ورود هذا الاستعمال في شـعر قـدماء العـرب المتقـدمين علـى عصـر الحريـري ، مـن ذلـك قولهم :

بالعبقري وبالديباج تحمله   وكل ثوب رفيع وشيه حسن))[١٧٢] .

---

(١٦٩) المصدر نفسه ٤٧٣ .

(١٧٠) المصدر نفسه ٤٨٤ .

(١٧١) المصدر نفسه ٤٣١ .

(١٧٢) المصدر نفسه ٤٤٧ .

هذا آخر ما وجدته في دراسة الشيخ الشبيبي من الاستشهاد بالشعر ، ويمكن لنا تحديد خطوط منهج البحث عنده بالآتي :

١. اتساع دائرة الاستشهاد بالشعر قياسا على الشواهد الأخرى ، وذلك لأهمية الشعر في تحديد صورة اللهجة لغة ونطقا ، فضلا عن أن الشعر ينتظم بمستويات الأداء المختلفة فليس غريبا أن نجد شاعرا يستعمل لفظة عامية أو أعجمية دخيلة أو غريبة ، في حين نفقد مثل هذه الكلمات في لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .
٢. لم تكن الشواهد التي أوردها الشيخ منه ، فمنها ما تضمنتها النصوص المنقولة من المصادر ، ولكن ما يحسب للشيخ أنه أجاد في تطويع الشاهد لغرضه اللهجي .
٣. لم يلتزم الشيخ بالحدود الزمنية التي وضعها النحويون للاستشهاد بالشعر ، فنجده يستشهد بشعر العباسيين والمتأخرين ، وليس هذا فحسب وإنما يستشهد بشعر الأدباء كابن المعتز .
٤. لم يكثر الشيخ من الاستشهاد بشعر المجهولين .

١. المصادر النقلية :

تعدُّ المصادر النقلية من أبرز مصادر الظاهرة اللهجية ، وهي : المصادر التي ينقل منها الباحث اللهجات ، وإنما سمَّيتها بـ (النقلية) لحصول النقل منها .

يتوافر للدارس اللهجي مصدران يمكنه أخذ اللهجات منها ، وهما :

١. النقل مشافهة .
٢. النقل بالواسطة .

أما المصدر الأول فليس من المصادر الأساسية لدراسة الشيخ ، وإنما هو مصدر مساعد ، لأن دراسته قائمة على اللهجة العراقية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، وقد صرح بذلك في قوله : ((لقد استدرجني البحث في تاريخ العراق على عهد المغول ودراسة شؤونه إلى النظر في أصول اللهجة العراقية المعروفة الآن وصلتها بلهجة أبناء المئتين السابعة والثامنة من العراقيين ، فظفرت بمجموعة من المواد اللغوية مفردة ومركبة ، ونبذة من الأساليب التي كانت شائعة في عصر المغول ، وقارنت بينها وبين أمثالها من المفردات والمركبات الشائعة على ألسنتنا اليوم ، فخرجت من ذلك بأن لهجتنا الحاضرة لا تختلف كثيرا عن لهجة العراقيين القدماء في عصر مؤلف كتاب (الحوادث الجامعة) ، وعصر مؤرخ العراق ابن الفوطي وأمثالهما من مؤرخي عصر المغول كما ترى ذلك في الدراسة))[١٧٣] .

يجد قارئ دراسة الشيخ الشبيبي أنه اعتمد على الكتب في نقل المادة اللغوية اللهجية وموازنتها بما يستعمل في العصر الحديث ، فجعل اللغة المسموعة مصدرا مساعدا للغة المنقولة ، وسأذكر مجموعة من الأمثلة على ذلك ، وهي :

- قال في كلمة (بقيار) : ((لفظة فارسية على الأكثر ، وتجمع على : (بقابير) ، ثوب أو نسيج من الوبر أو من مادة أفخر منه ، وهو من خلع الملوك ، وقد يتخذ منه عمائم ، والغالب أنه النسيج الذي يسمى

---

[١٧٣] المصدر نفسه ٤٠١ .

الآن (بَرَك) في بلاد فارس ، ... ، ولا تعرف هذه اللفظة الآن في اللهجة العراقية ولا في اللهجات الأعجمية الحديثة))[١٧٤] .

- وقال في كلمة (بند) : ((وقد استعملت هذه الكلمة وحدها تارة ، ومركبة مع كلمة فارسية أخرى ، فقالوا : (دربند) ، ويعنون بذلك : المضيق أو السد أو الغلق وما إلى ذلك ، وفي أخبار سنة ٦٧٩ من كتاب (الحوادث الجامعة) : (فيها أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل جسر وحمله إلى تستر مكملا بسلاسله وآلاته ، فنُصب تحت البند عند دروازة دزفول) ، فـ (البند) هنا : منطقة معينة من المدينة المذكورة ، هذا ولا أثر لهذه الكلمة في اللهجة العراقية الآن ، وإنما يقولون : (بند) لفاصلة أو فقرة قائمة بنفسها من قانون أو نظام ما أو بحث ما ، وما إلى ذلك))[١٧٥] .

- وقال في كلمة (الچاو) : ((بالجيم الفارسية ، لفظة مغولية تعني : الأوراق النقدية ، ... ، غير أن هذه الكلمة المغولية هجرت ، بل ماتت بعد ظهورها بقليل ، ولم يكتب لها البقاء غير مدة قصيرة في بلاد فارس واذربيجان ، وبعض الأقطار الأخرى التي ملكها المغول ، والظاهر أنها لم تعرف في العراق إلا في الأوامر الديوانية المغولية))[١٧٦] .

---

[١٧٤] المصدر نفسه ٤١٩ .

[١٧٥] المصدر نفسه ٤٢٠ .

[١٧٦] المصدر نفسه ٤٢٧ . ٤٢٨ .

نلحظ من هذه النصوص الثلاثة وغيرها كثير أن الشيخ الشبيبي لم يتبع منهج اعتماد اللهجة العراقية الحديثة أساسا للبحث ، وإنما اعتمد اللهجة المنقولة ووازنها بالمستعمل الآن ، وهذا منهج متبع في الدراسات اللهجية الحديثة .

إذا صار واضحا لدينا أن الشيخ الشبيبي اتخذ لنفسه منهجا بحثيّا واحدا ، وهو جمع الألفاظ اللهجية من مصادر التاريخ التي دونت أحداث القرنين السابع والثامن الهجريين ، وعرضها على اللهجة العراقية الحديثة وبيان ما يوافقها أو يخالفها ، واتخذ منهجه هذا عدة صور هي :

١.الاكتفاء بذكر اللفظة اللهجية الواردة في مصادر التاريخ : وردت عند الشيخ مجموعة من ألفاظ المعجم اكتفى بذكر معناها والنص التاريخي ، ولم يذكر ما يقابلها في اللهجة العراقية الحديثة ، ومن ذلك :

- قال في كلمة (انكسار الدراهم) : ((عبارة يراد منها هبوط سعر النقد في العصر المذكور ، جاء في الحوادث الجامعة : (لقوا شدة من شدة الغلاء وكسر الدراهم)))[١٧٧] .
- وقال في كلمة (البايزة) : ((بالباء الفارسية : لفظة مغولية و تركية ، ... ، ومعنى (بايزة) : أمر سلطاني أو فرمان ، جاء في الحوادث الجامعة : (أمر أن يحضر إلى الديوان كل من معه فرمان وپايزة) ،

---

(١٧٧) المصدر نفسه ٤١٢ .

ويكثـر ورود هـذه الألفـاظ الأعجميـة فـي الكتـب المعنيـة بتـاريخ المغول))[١٧٨] . ثم ذكر بعد ذلك نصين فقط .

- وقال في كلمة (بكش) : ((فارسية بمعنى : اقتل ، جاء في أخبار سنة ٦٤٩ من (كتاب الحوادث الجامعة) : (فيها وصل الشيخ محمد بن الداية الواعظ إلى بغداد من تستر ، وقال : إن الله أمرني أن أستنجد جماعة ، وألقى عساكر المغول ، فقال له الوزير : أفي المنام قيل لك ذلك ؟ قال : لا ، ووقع لي أنني إذا لقيتهم لا أبالغ في القتل ، فقال لي الله تعالى : (بكش) ، ومعناه بالعربية : اقتل))[١٧٩] .

نخرج من هذه النصوص وغيرها أن الشيخ اكتفى بذكر اللفظة اللهجية وترك موازنتها بالاستعمال الحديث ، علما أن هذا النهج ليس قليلا في دراسته ، ويبدو لي أنه رأى في هذه الألفاظ غرابة في استعمالها ، وترك الإشارة إلى ذلك ، ولكن لفت نظري استعمال التركيب (انكسار الدراهم) ، علما أنه استعمال مشابه لاستعمال موجود في العراقية الحديثة ، وهو قولهم : (انكسر الدولار) أو (الدولار مكسور) ، وهناك استعمال آخر قريب منه وهو قولهم : (انكسر السوق) إذا هبطت أسعار البضائع فيه .

ويبدو لي أن سبب عدم ذكر ما يوافقها أو يقرب منها هو عدم وجود هذا الاستعمال في زمانه حين كتب هذه الدراسة ، إذ كتبت قبل أكثر من سبعين سنة .

---

[١٧٨] المصدر نفسه ٤١٧ .

[١٧٩] المصدر نفسه ٤١٩ .

٢. ذكر اللفظة اللهجية وموازنتها مع المستعمل في العصر الحديث ، وهذه الصورة أكثر من الأولى ، وقد وجدتها في قسمين هما :

أ. أن يكون للفظة اللهجية أثر في الاستعمال الحديث ، وهذا شائع في دراسة الشيخ الشبيبي من ذلك :

- قال في لفظة (تخت) : ((بمعنى : كرسي الملك أو سريره أو عرشه ، كلمة فارسية شاع استعمالها منذ استيلاء الأعاجم على هذه البلاد من عهد المغول إلى عهد الأتراك حديثا ، فقالوا : (جلس السلطان على التخت) أو (أُجلس عليه) ، ومن كلامهم : (تخت جمشيد) ،... ، وتعني كلمة (التخت) في لهجة العراقيين والشاميين وغيرهم من أقطار العربية هذا اليوم : سرير النوم لا سرير الملك ، أو هذا الذي يجلسون عليه في البيوت والأندية وما إلى ذلك))[١٨٠] .
- وقال في كلمة (التزوير) : ((هو في الأصل من (الزور) ، وهو تزيين الكذب وإبطال الشهادة ، ... ، غير أن المولدين في أواخر العصور العباسية استعملوا لفظة (التزوير) بمعنى : تلاوة المأثور من الأدعية وغيرها عند زيارة المشاهد ، قال مؤلف (الحوادث الجامعة) ، وهو يذكر رحلة المستعصم آخر خلفاء بني العباس إلى الكوفة ، مودعا والدته في سبيلها إلى أداء فريضة الحج : (ثم توجّه إلى الكوفة ودخل جامعها وقصد مشهد أمير المؤمنين عليه السلام ، وزوّره محمد بن كتيله العلوي) ، وهذه اللهجة شائعة إلى الآن على ألسنة العراقيين ، ومن

---

[١٨٠] المصدر نفسه ٤٢١ .

معاني (التزوير) عندهم : تلاوة المأثور في زيارة المشاهد ، و(المزوّر) هو الذي يقوم بذلك))[١٨١] .

- وقال في كلمة (التبنيد) : ((و(التبنيد) بمعنى : تقوية الجدران أو تأزيرها ممَّا يلي الأرض خاصةً ، من اصطلاحات البنائين المعروفة إلى هذا اليوم في العراق ، كما كانت في المئتين السابعة والثامنة ، أو في عصر الدولة الايلخانية في العراق))[١٨٢] .

نلحظ من هذه النصوص وغيرها كثير أن الشيخ الشبيبي تتبع الاستعمالات اللهجية القديمة وموازنتها بالحديثة ، ويدل هذا الاتفاق ، بلا شك ، على أنَّ الأجيال توارثت هذا الاستعمال حتَّى وصل إلينا ، ويعدُّ هذا المنهج في التأصيل اللهجي من الأسس التي يقوم عليها التأصيل ، إذ يدعو الدرس اللهجي باحثيه إلى ضرورة التأصيل اللهجي ، فيأخذ منحيين هما : التأصيل بما موجود في الاستعمال الحديث ، والتأصيل بما موجود في اللغات المشتركة معها في الأسرة اللغوية أو اللغات المشتركة معها في الجغرافيا .

٣. وردت صورة أخرى في دراسة الشيخ ، وهي تقديم الاستعمال العراقي الحديث على الاستعمال القديم ، ومن ذلك :

- قال في كلمة (التطبيق) : ((وتستعمل لفظة (التطبيق) في لهجة العراقيين اليوم بمعنى : فرش أرض المنزل أو الغرف بالطابوق ، ... ،

---

(١٨١) المصدر نفسه ٤٢٣ .

(١٨٢) المصدر نفسه ٤٢٥ .

جاء في (الحوادث الجامعة) عند ذكر ترميم المستنصرية : (جُدّد تطبيق صحنها وتبنيد حيطانها)))[183] .

- وقال في كلمة (تعلّق على فلان) : ((يكثر في لهجتنا الشائعة هذا اليوم قولهم : (فلان متعلق على فلان) ، أي : محتمٍ أو متحرم به ، ويقولون : (لنا معلقة بآل فلان) أي : أرحام أو أقارب أو أصهار وما إلى ذلك ، و(العلق) يعنون به في اللهجة الريفية : الهدنة الموقتة ، وهذا الاستعمال قديم في اللهجة العراقية ، ففي أخبار سنة ٦٥٦ من (الحوادث الجامعة) : (كان ببغداد جماعة من التجار قد تعلَّقوا على أمراء المغول) ، يعني : احتموا أو تحرّموا بهم))[184] .
- وقال في كلمة (الدعوة) : ((بمعنى : الدعاء إلى الطعام ، عربية صحيحة ، وهي معروفة في لهجة العراقيين هذا اليوم ، ووردت بهذا المعنى في كتاب (الحوادث الجامعة) : (عملت دعوة عظيمة بلغت الغرامة عليها عشرة آلاف دينار)))[185] .

نلحظ من هذه النصوص وغيرها أن الشيخ الشبيبي سار على منهج مختلف عما سبق ، إذ بدأ كلامه بالاستعمال الشائع في اللهجة العراقية الحديثة ويردفه بالنصوص التاريخية ، ويبدو لي أن الشيخ لو سار على هذا المنهج في المواد اللهجية كافة لكان أفضل ، لأن عنوان دراسته يتطلب

---

(١٨٣) المصدر نفسه ٤٢٥ .

(١٨٤) المصدر نفسه ٤٢٦ .

(١٨٥) المصدر نفسه ٤٤٢ .

ذلك ، فقوله : (أصول اللهجة العراقية) يعني ذكر المادة اللهجية ودلالتها وبعدها التأصيل .

٤. وجدت في قراءتي دراسة الشيخ صورة لفتت نظري ، وهي قوله في كلمة (دروازة) : (((الدروازة) ، بمعنى : الشارع ، فارسية ، عرفت في عهد المغول في العراق ، ففي أخبار سنة ٦٧٩ من كتاب (الحوادث الجامعة) : (فيها أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل جسر وحمله على تستر مكملا بسلاسله وآلاته ، فنصب تحت البند عند دروازة دزفول) ، والمقصود عند الشارع الأعظم في المدينة المذكورة ، وهذه الكلمة شائعة الآن في اللهجة الفارسية بالمعنى المذكور))[١٨٦] .

هذا نص ما ذكره في هذه المادة اللهجية ، ونلحظ منه أنه لم يذكر الاستعمال العراقي الحديث ، وهذا ليس ما لفت نظري ، لأنني ذكرت مثل هذه الصورة قبل قليل ، وإنما لفت نظري أن هذه الكلمة مستعملة في اللهجة العراقية الحديثة ، وفيها اسم منطقة في مدينة الكاظمية ببغداد ، ولا يمكن أن تخفى على الشيخ الشبيبي .

إذا صار واضحا لدينا معالم المصادر النقلية وكيف وضع الشيخ الشبيبي لنفسه منهجا خاصا في دراستها وتأصيلها .

---

[١٨٦] المصدر نفسه ٤٤١ .

المادة اللغوية :

تعدُّ المادة اللغوية المصدر الثالث من مصادر البحث اللهجي ، فبها يقوم البحث وتقعّد القواعد وتؤصل الأصول ، وقد عرف اللغويون قديما وحديثا أهمية هذه المادة ، لأنها روح البحث وحياته .

اختلفت طبيعة المادة المدروسة بحسب الاستعمال ، وقد أشار الشيخ الشبيبي إلى أقسامها في أول دراسته وهي :

أ . ألفاظ دخيلة من اللهجات الفارسية والمغولية والتركية : شاع استعمال هذا النوع من الألفاظ في دراسة الشيخ الشبيبي ، ويمكن تقسيمها على النحو الآتي :

- الألفاظ الفارسية : وهي أكثر الألفاظ ورودا ، إذ بلغت (٢١) إحدى وعشرين لفظة ، وهي : (بكش ، والبند ، والتخت ، والچرخ ، وخار ، والخربندية ، وخست ، ودربند ، والدروازة ، ودروز ، ودزدار ، ودوشاخة ، والروزكارية ، وزركش ، وسربوش ، وسرهنكية ، والكاخانة ، والكنبوش ، والمس ، والنقرة ، والنوكرية) .
- الألفاظ التركية : وردت مجموعة من الألفاظ التركية ، وبلغت (٤) أربع ألفاظ ، هي : (الأيلجية ، والفرمان ، والكشك ، والكلّچية) .
- الألفاظ المغولية : وردت مجموعة من الألفاظ المغولية ، وبلغت (٣) ثلاث ألفاظ ، هي : (الچاو ، واليارغو ، واليرليغ) .

واللافت للنظر أن هذه الألفاظ الثلاث غير موجودة في اللهجة العراقية الحديثة ، وهو ما صرح به الشيخ الشبيبي مع كل لفظة ، ولا أعلم السر في ذكر ألفاظ انقرضت بانقراض الحكم الساسي الذي تنتمي اليه .

- الألفاظ الآرامية وردت لفظة واحدة آرامية الأصل ، وهي : (التسقيم) ، وذكر الشيخ الشبيبي أنها آرامية نقلا عن المتخصصين باللغات السامية ، ولم يرجح أو يرد ، فقال : ((ويقول بعض الباحثين في موضوعات المقارنة بين اللغتين العربية والآرامية إن أصل كلمة (التسقيم) الشائعة في العامية العراقية من اللغة الآرامية ، فإن الفعل من هذه المادة في الآرامية يعني : رتّب ونظّم ومسح وما إلى ذلك))[١٨٧] .

هذه مجمل الألفاظ الأعجمية التي نص الشيخ عليها ، وهناك ألفاظ أخرى شكَّ الشيخ الشبيبي في أصلها وهي :

- ألفاظ تركية أو مغولية : وردت لفظتان شكَّ الشيخ في أصلهما بين التركية والمغولية ، وهما : (الأوردو ، والبايزة) .
- لفظة فارسية ، وهي : (بقيار) ، قال الشيخ الشبيبي : ((لفظة فارسية على الأكثر))[١٨٨] .

---

[١٨٧] المصدر نفسه ٤٢٤ .

[١٨٨] المصدر نفسه ٤١٨ .

- لفظـة هنديـة أو عربيـة ، وهـي : (الـچتـر) ، قـال الشـيخ الشـبيبي : ((كلمــة شــائعة فــي اللغــة الهنديــة ، وأصـلها مــن العربيــة فيمــا نرى))[189] .
- لفظـة سامية أو فارسـية ، وهـي : (الكَلَك) ، قـال الشـيخ الشـبيبي : ((واختلف المعنيون بالبحوث اللغوية في أصل الكلمة ، فمن قائل : إنها آشورية أو أكدية ، ولا دليل لهم على ذلك سوى أن هذا المركب عرف عند الأكديين والآشوريين ، ومن ذهب إلى أنها فارسية ، وقال بعضـهم : إن أصـلها مـن الآراميـة ، وممـا يعـزز رأي مـن يـرى أنهـا آشورية أو أكدية أو آرامية أن هذا المركب لا يعرف في بلاد فارس ، وإنما عرف قديما في العراق))[190] .
- لفظــة يونانيــة ، وهــي : (النــاموس) ، قــال الشــيخ الشــبيبي : (((النـاموس) فـي الأصـل : مختبـأ الصـائد وقترتـه ، ... ، ويـزعم بعضـهم أنهـا مـن اليونانيـة ، ككثيـر مـن الكلمـات التـي تختـم بحـرف السين))[191] .

نخرج مما سبق أن الألفاظ الأعجمية المعروف أصلها والمشكوك فيه كثيرة ، وهذا وإن دلّ على شيء إنما يدلُّ على أن اللهجة العراقية تأثرت كثيرا بلغة الشعوب المجاورين أو الغازين ، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المكان

---

(189) المصدر نفسه ٤٢٨ .

(190) المصدر نفسه ٤٧٦ .

(191) المصدر نفسه ٤٨٣ .

أن الألفاظ الأعجمية الواردة في دراسة الشيخ الشبيبي ليست هذه فقط ، فهناك ألفاظ أخرى مجهولة الأصل سأذكرها في المجموعة الثالثة .

ب. ألفاظ عربية مولدة : ذكر الشيخ الشبيبي مجموعة كبيرة من الألفاظ العربية المولدة ، وقد فصَّلت القول فيها في المبحث الثاني في (مستويات اللغة / بنية الوحدة اللغوية).

ت. الألفاظ المجهولة الأصل : لم يتطرَّق الشيخ إلى هذا القسم في بداية دراسته ، ولكنني لمحته حاضرا في أنواع الألفاظ ، إذ وجدت (٨) ثماني ألفاظ لم يذكر الشيخ أصلها اللغوي ، وسأذكرها مع ما ذكره الشيخ في كل واحدة منها ، وهي :

- التتر ، قال فيها : ((اقتصر أكثر اللغويين على إيراد (تَتَر) بالتحريك ، وزن (قمر) ، لهذا الجيل المعروف الذين يصاقبون الترك ، وقد شاعت في عصر المغول كلمة (التتار) واقتصر عليها مؤلف (الحوادث الجامعة) ، ووردت بهذه الصيغة في كثير من كتب التاريخ بعد طبقة مؤلف الحوادث الجامعة ، قال بعض اللغويين المتأخرين : (أما قول الناس : (التتار) فممَّا لم أجده))[١٩٢] .
- الركبدار ، أو الركبدارية ، قال فيها : ((والكلمة من التراكيب الأعجمية التي كثر استخدامها [كذا] بعد غلبة الدول الأعجمية ، ... ، وأمثال هذه الكلمة ، أعني : (الركبدار) المركبة على الأساليب الأعجمية كثيرة جدًا في كتب الأدب والتاريخ المصنفة

---

[١٩٢] المصدر نفسه ٤٢١ .

في عصور الدول الأعجمية من الأتراك والمغول والفرس والمماليك ، ومن ذلك : (دفتردار ودفترداريـة ، خزنـدار وخزنداريـة ، بمعنـى : الصراف أو الجهبذ)...... وغير ذلك كثير))[١٩٣] .

ويبـدو لـي أن هـذه الكلمـة ليسـت أعجميـة ، وإن جـاء تركيبهـا موافقا لاستعمال الأعاجم ، فالناظر فيها يجد أنها مركبة من كلمتين هما : (الركب ، ودار) ، وكلتا الكلمتين عربي ، ولا دليل على أن هذا التركيب أعجمي ، إذ أراه من المولد العربي .

- سبيلدار وسبيلداريات ، قال فيها : ((تكرر ورودهما في كتاب (الحوادث الجامعة) في معرض البحث عن حج البيت ، فالمكلف بالحج إما أن يؤدي الفريضة بنفسه أو يستنيب شخصا آخر يحج عنه أو عن غيره من الأشخاص أحياء أو أمواتا ، أي : إنه يحج في سبيلهم ، ... ، كثر استعمال هذه الألفاظ في آخر العصر من عصور الدولة العباسية ، وهكذا شاعت العجمة في دار الخلافة))[١٩٤] .

نلحظ من نص الشيخ الشبيبي أنه لم يصرح بأصل هذه الكلمة (التركيب) ، ولكنه لمح إلى أنه أعجمي حين قال : (وهكذا شاعت العجمة في دار الخلافة) ، ويبدو لي أن هذا التركيب كالتركيب السابق (الركبدار) من المولد العربي .

---

[١٩٣] المصدر نفسه ٤٤٨ .

[١٩٤] المصدر نفسه ٤٥١ .

- سرخيل ، قال فيها : ((جاء في أخبار سنة ٦٣٧ من (الحوادث الجامعة) : (جعله سرخيل جماعة من المماليك) ، أي : قائد جماعة من فرسانهم ، وقد مرَّ أن كلمة (سر) تعني : الرأس بالفارسية ، يضاف إليها ما بعدها ، فيقال : (سردار ، وسرهنك ، وسرتيب ، وسربوش) ، إلى غير ذلك ، ولا يوجد هذا التركيب المزجي (سرخيل) في موضع آخر من هذا الكتاب ، ولم نعثر عليه في أمثاله من الكتب التاريخية ، ولا تعرف هذه الكلمة أيضا في اللهجات العربية والأعجمية الشائعة هذا اليوم))[١٩٥] .
- القلندرية ، قال فيها : ((نسبة إلى (قلندر) ، لفظة أعجمية ورد ذكرها مرتين في كتاب (الحوادث الجامعة) ، ولم يشرح مؤلفه معنى هذه اللفظة ،... ، ولا شكَّ في غموض معنى لفظة (قلندر) أو (قلندرية) ، فهناك من يقول : إن (قلندرية) نسبة إلى رجل أو علم أعجمي هو قلندر ، ويقول ابن فضل الله العمري : إن معنى (قلندري) : حليق ، ... ، هذا وليس لهذه المادة أصل في معجمات أئمة اللغة))[١٩٦] .
- القنَّارة ، قال فيها : ((يراد بـ (القنَّارة) في لهجة العراقيين هذا اليوم : خشبة ذات كلاليب معقفة يعلق القصاب عليها شاته ، وفي (شفاء الغليل) قال أبو منصور : ليست من كلام العرب))[١٩٧] .

---

[١٩٥] المصدر نفسه ٤٥٤ .

[١٩٦] المصدر نفسه ٤٦٧ .

[١٩٧] المصدر نفسه ٤٧٠ .

- الكارة ، قال فيها : (((الكارة) في اللهجة العراقية الشائعة وزن معروف ، وأكثر ما توزن به تمور البصرة ، والكلمة شائعة في لهجة البصريين هذا اليوم ، ولم تكن (الكارة) كذلك في قديم الزمان ، فـ (الكارة) لغة : الحمل الذي يحمله الرجل على ظهره ،... ، ويستفاد من موارد استعمال (الكارة) في أواخر عصور العباسيين وأوائل عصور الدولة المغولية أنها وزن أو مقدار معلوم توزن به الغلات والحبوب ، وليس التمور فقط كما هو شائع اليوم))[١٩٨] .
- الكنبثة ، قال فيها : ((وردت هذه الكلمة أكثر من مرة في (الحوادث الجامعة) ، ويستفاد من موارد استعمالها أنها قُبَيْبَة صغيرة أو شبه مظلة أو سقيفة تبنى على سطح البيت ، وفيها منافذ إلى داخله ، وقال آخرون : (كنبثة الدار) : أعلى ما فيها المعقود على حجرة واسعة ، وليس في أصل مادة (كنبث) من المعجمات ما يناسب معنى الكلمة المصطلح عليه))[١٩٩] .

---

[١٩٨] المصدر نفسه ٤٧٢ .
[١٩٩] المصدر نفسه ٤٧٧ . ٤٧٨ .

مصادر البحث ومراجعه

المصادر :

- أصول اللهجة العراقية ، محمد رضا الشبيبي ، بحث منشور في : مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد (٢) ، ابريل ، ١٩٥٦م .

المراجع

- التاريخ الغياثي ، عبد الله بن فتح الله البغدادي المعروف بالغياثي (ق ٩ هـ) ، دراسة وتحقيق : طارق نافع الحمداني ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٥ م .
- علم اللغة العام . فردينان دي سوسور . ترجمة : الدكتور يوئيل يوسف عزيز . مراجعة النص العربي : الدكتور مالك يوسف المطلبي . دار آفاق عربية للصحافة والنشر . بغداد . ١٩٨٥م .
- اللهجات العربية والثراء اللغوي ، الأستاذ الدكتور أحمد هاشم السامرائي ، دار دجلة ناشرون وموزعون ، عمان ، ط ١ / ٢٠١٤ م .
- مظاهر التجديد في العجم العربي في العصر الحديث النقد والاستدراك مثالا ، الأستاذ الدكتور أحمد هاشم السامرائي ، بحث منشور في مجلة العميد ، السنة (٥) ، المجلد (٥) ، العدد (٢٠) ، ربيع الأول ١٤٣٨ هـ . كانون الأول ٢٠١٦ م .
- المعجم العربي نشأته وتطوره ، الدكتور حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ط ٤ / ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م .

The Methodology of The Dialect Research of Sheikh Mohammad Redha Al - Shabibi

Dr. Ahmed Hashim Al-Samarai
College of Education / University of Samarra

Abstract:

The dialect studies are an important branch of the linguistic studies, as these studies reveal the capacity of the speakers and their behavior in the language, voice, structure, significance and composition. A series of independent dialectical studies appeared in the Arabic linguistic heritage called "Language Books" as well as the different books of languages include many texts which represent the images of the difference dialects among the Arabs.

The modernists were aware of this importance, and the Linguistics were able to study the dialects and lay down the rules according to their usage, although their curricula differed. In the Western linguistic schools, the study of modern local dialects was practiced. This line of study was followed by a number of orientalists when they devoted their efforts to the study of modern Arabic dialects. Research and publications in the dialect of Iraq, Shami and Egyptian, as well as the dialects of the Gulf countries and others, these studies gave excellent research results.

Modern Arabic language schools have been long delayed in this field for many purposes. The study of modern or old dialects affects the safety of the classical language. The study of non-scientific studies here and there reveals the treasures of the language of modern dialects, these studies appeared in Iraq, Syria and Egypt, and the leader of this movement in Iraq was Sheikh Mohammad Redha Al-Shabibi.

Sheikh Mohammad Redha Al-Shabibi took care of studying the Iraqi dialect, which is one of the many linguistic and literary works that he left behind and the library shelves were filled with it and were important sources for scholars in Iraq and abroad. The position of Sheikh in this field and the lack of research studies about him, made the researcher write a research about a side of the dialect studies entitled:

The Methodology of The Dialect Research of Sheikh Mohammed Redha Al - Shabibi

Employment of (as) " Ka'ana" and Its Graphic Effect in The Poetry of Mohammad Redha Al-Shabibi

Dr. Sa'ad Jum'ah Al- Duleimi
College of Education for Humanitarian Sciences / University of Diyala

Abstract:

The research tends to reveal the function of the similarity tool " Ka'ana" and its effect. It is based on the poetry of Mohammad Redha Al-Shabibi to show the graphic effect and its implications. Some of the findings of the research are related to the different aspects, others form exaggerated formulations, and others are associated with discretion as a manifestation of photography.

The Enthusiasm in The Poetry of Al- Shabibi

Dr. Mohammad Ibrahim Howar

Abstract:

The Diwan of Mohammed Redha Al-Shabibi included several poetic purposes, including enthusiasm. The research sheds light on this point, which explains the poet's position from the national and Arab issues in which he believed and worked for.

Community Reformism & Integration of The Political Role
(Mohammad Redha Al-Shabibi As a Model)

Dr. Dhafar Abid Matar Altimimi
Al-Mustansiriyah Center For Arabic and International Studies

Abstract:

The idea of reform is an old idea of humanity, manifested in the first calls of the prophets and messengers, to become a divine law, from which the people subsequently derived the foundations on which their cities and empires were founded. The writings of ancient Greek philosophers such as Plato and Aristotle also featured many reformist ideas, such as: society, state, political stability, fair distribution of wealth, etc., which served as a guide to the establishment of civilized societies and peaceful states. Reform and integration can be said to complement each other within the political alphabet that one leads to the other. The idea of reform has been and remains the ultimate goal of many philosophers, leaders , political and social movements around the world, as well as being a major theme in the political theories of philosophers and thinkers. One consequence of the reform is that there will be intellectual and practical integration. Reform advocates are often based on their reformist calls on ideological creed to help them justify and defend the reformist

ideas. Reformist rhetoric based on ideological doctrine is clearly visible and argumentative. For example, secularism, democracy, rationality and citizenship are ideologies that reform leaders can depend on to defend or justify their reformist tendencies and convince the masses of their necessity. However, it is not necessary that all reformist calls be the result of political doctrines. Mohammad Redha Al-Shabibi was brilliant in expressing the need of the Iraqi nation to adopt a modern approach in all aspects of Iraqi society and state.

In the royal era, Al-Shabibi witnessed exceptional political situations ranging from excessive change of ministries, repetition of people, a growing tendency to disrupt the constitution and impose martial law. Since the election of the first House of Representatives (1925) until the end of the royal phase, sixteen parliamentary councils have been elected. With the exception of one council (ninth session: 1939-1943), the rest of the councils were dissolved before completing their four-year sessions. Through these political events witnessed by Iraq during the reign of the monarchy and its contemporary Al-Shabibi, we note that it has gone a long way in the political perspective, which accompanied the progress made then due to the transformations experienced by Iraq as a nascent state and its transition from a group of states under the Ottoman Empire to a state with its independent political entity and governance on the basis of legal, laying the foundation stone of the new constitutional order after the enactment of the basic law in 1925, which is a turning point in the level of regulation of public life in the country and became for the first time in modern

history, a democratic parliamentary system, as well as the recognition of Iraq as an independent state officially after the membership of the League of Nations. The Iraqi society also witnessed tangible development during that period and Iraq has economic relations with different countries of the world, and has a strong army played an active role in all the battles fought, and the cultural awareness of the community increased relatively. All this has happened to the connection of reform with the clear desire of Iraqi politicians and leaders to reach a state of integration in the roles entrusted to each side. Even before the fall of the monarchy, Iraq was not at the least level, whether on the cultural, economic or social level, from most other independent Arab countries and in accordance with the economic potentials that was available during the royal era under the many challenges faced by the Iraqi governments formed during that era. What has been achieved is a great progress that contributed to laying the foundations of the reform process of the political, economic and social structure of the Iraqi society despite all the negatives that accompanied it in order to achieve a successful integration.

The Influence of Sheikh Mohammed Redha Al-Shabibi in The Cairo Academy of Language

Dr. Anwar Shinnawi Thiyab
College of Law / University of Alnahrain

Abstract:

Sheikh Mohammed Redha Al-Shabibi is a distinguished personality in Iraq and the Arab nation, grew up in the environment of Najaf Al-Ashraf and received his knowledge in it, even if he intensified his return and witnessed the reality of Iraq and the Arab, he turned to the national action and had a prominent role in the policy of governance in Iraq, he became a minister and chaired the House of Representatives and the Senate. He was interested in politics, but was more interested in science and culture. He headed the Iraqi Academy of Sciences twice in 1948 and 1963 and was elected as a member of Damascus Academy in 1923 and Cairo Academy in 1948.

This research sheds light on his efforts at Cairo Academy, where he remained a member until his death in 1965.

Sheikh Mohammad Redha Al - Shabibi in The Iraqi Academy of Sciences

Dr. Mohammad Hussein Ali
College of Education for Humanitarian Sciences / University of Kerbala

Abstract:

The days go on and the years go by, men come and others go, and history remains a living witness to those who have served in various fields of science and the arts. However, no one can fold the bright pages of the scientist's books. It is time for us to gather what is available in our hands from the sheets and pages that document a small part and a bright side of the efforts of a working scientist who vows himself and stops his life and knowledge to serve the Arabic language and preserve and defend it.

This annexation of papers is a clear document of the march of Sheikh Mohammad Redha Al-Shabibi, may God have mercy on him, at the Iraqi Academy of Sciences starting from his election as the first president of this Academy through the most important committees of the Academy where he worked with reference to the achievements of researches or articles included in the journal of the Iraqi Academy or which included works related to the Academy, as well as his words during his presidency of the Academy, to the words of the eulogy that were said in his right.

We write about Al-Shabibi more than 50 years after his death. This may be a long way off, but it is undoubtedly a task to chronicle an era in which the speaker spent most of his time and effort to serve this ancient linguistic scientific institution.

Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription : In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100 Dollars)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٩٧٦ لسنة ٢٠١٨م



Journal Of the ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No. 1

Vol. 65

1439H - 2018